

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسمّاة

تحفة النظار
في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

قدّم له وحقّقه ووضع خرائطه وفهارسه
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلّد الثالث

1417 هـ /1997 م

إهـــــــداء ٢٠٠٧
جمعية أصدقاء المكتبة
المغرب

مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسّماة

تحفة النظار
في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

قدّم له وحقّقه ووضع خرائطه وفهارسه
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلّد الثالث

1417 هـ /1997 م

أكاديمية المملكة المغربية

شارع الإمام مالك، كلم 11، ص.ب. 5062

الرمز البريدي 10.100

الرباط – المملكة المغربية

تليفون : 75.51.13 / 75.51.24

75.51.35 / 75.51.89

فاكس : 75.51.01

محتوى الكتاب من مصطلحات

وتعليقات وخرائط وصوَر

يلزم المحقق وحده

حقوق الطبع محفوظة للأكاديمية

رقم الإيداع القانوني : 1997/321

ردمك 0-006-46-9981 (المجموعة)

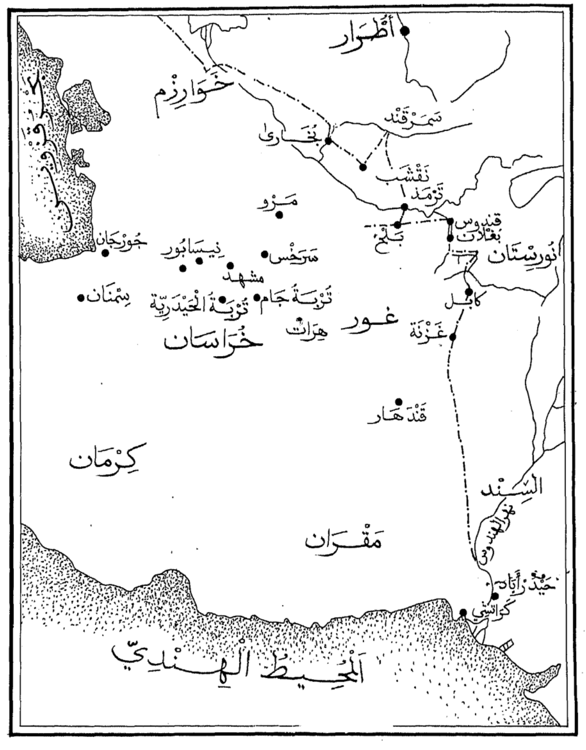
ردمك 5-009-46-9981 (الجزء الثالث)

الفصل التاسع

آسيا الوسطى

- الاتجاه إلى خوارزم عبر سراجوق
- أولية التتر وتخريباتهم
- أخبار علاء الدّين طَرْمِشِرين سلطان تركستان وماوراء النهر
- مدينة سمرقند ...
- بين مسجد بلخ وجامع رباط الفتح !
- مدينة هرات وسلطانها والحديث عن السنة والشيعة
- من الجام إلى بسطام
- وداع خراسان إلى بلاد الهند.

خريطة آسيا الوسطى



1/3 فسرنا من السُّرا عشرة أيام، فوصلنا إلى مدينة سَرَاجُوق، وجوق بضم الجيم المعقود وواو وقاف، ومعنى جوق صغير، فكأنهم قالوا : سرا الصغيرة، وهي على شاطئ نهرٍ كبير زخّار يقال له أُلُوصو بضم الهمزة واللام وواو ومد وضم الصاد المهمل وواو، ومعناه الماء الكبير (1) وعليه جسرٌ من قوارب كجسر بغداد، وإلى هذه المدينة انتهى سفرنا بالخيل التي تجر العربات وبعناها بها بحساب أربعة دنانير دراهم للفرس وأقل من ذلك لأجل ضعفها ورخصها بهذه المدينة واكترينا الجمال لجر العربات.

2/3 وبهذه المدينة زاوية لرجل صالح معمّر من الترك، يقال له أطًا بفتح الهمزة والطاء المهمل، ومعناها الوالد، أضافنا بها ودعا لنا، وأضافنا أيضا قاضيها ولا أعرف اسمه، ثم سرنا منها ثلاثين يومًا سيرًا جاداً لا ننزل إلا ساعتين إحداهما عند الضحى والأخرى عند المغرب، وتكون الإقامة قدر ما يطبخون الدُّوقي ويَشربونه، وهو يطبخ من غليةٍ واحدة ويكون معهم الخليع (2) من اللحم، يجعلونه عليه ويصببون عليه اللّبن، وكل إنسان إنما ينام أو يأكل في عربته حال السير. وكان لي في عربتي ثلاث من الجواري، ومن عادة المسافرين في هذه البريّة الإسراع لقلّة أعشابها، والجمال التي تقطعها يهلك معظمها وما يبقى منها لا ينتفع به

3/3 إلا في سنةٍ أخرى بعد أن يسمن والماء في هذه البرية في مناهل معلومة بعد اليومين والثلاثة، وهو ماء المطر والحِسْيان.

---

(1) سراجوق هي بالذات سرايتشيك (SARAICHIQ) الحالية على بعد 40 ميلا من مصب نهر أورّال (l'Oural)، المسمى أولو سو (ULU-SU) من لدن الأتراك، يعني النهر الكبير والمسمى يايك (YAYIK) من قبل الجغرافيين العرب...

(2) الخليع من الكلمات المغربية الغير المتداولة في جهاتٍ أخرى، ويتعلق الأمر بنوع من اللحوم المصبّرة على الطريقة التالية، تؤخذ شرائح من لحوم العجل أو الخروف على شكل قديد وتنقع في التوابل : أبزار، ثوم، ملح، قزبر، بعد هذا تشمس جيدًا وتلقى في طناجير كبيرة مضافًا اليها طبعًا زيت الزيتون وقطع مختارة من الشحم... إلى جانب الماء... وتتم هذه العملية عند الصيف ولها طقوس خاصة في قواعد المغرب وخاصة مدينة فاس ومراكش... وهكذا يتوفر معظم البيوت على خوابي من الخليع تقصدها العائلة عندما يطرأ ضيف وخاصة في فصل الشتاء حيث يتعذر الخروج ... ومن العادة أن الأسَر تتهاداه فيما بينها عند الحاجة – أنظر معجم دوزي.



الجمل سفينة الصحراء...
عن مقامة الحريري 43 – المكتبة الوطنية بباريز

ثم لما سلكنا هذه البرية وقطعناها، كما ذكرناها، وصلنا إلى خُوارزم (3)، وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الأسواق المليحة، والشوارع الفسيحة، والعمارة الكثيرة، والمحاسن الأثيرة، وهي ترتج بسكانها لكثرتهم، وتموج بهم موج البحر، ولقد ركبت بها يومًا ودخلت السوق فلمّا توسطته، وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشّوْر (4)، بفتح الشين المعجم واسكان الواو، لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع لكثرة الازدحام، وأردت الرجوع فما أمكنني لكثرة الناس، فبقيت متحيّرًا وبعد جهد شديد رجعت.

4/3 وذكر لي بعض الناس أن تلك السوق يخفّ زحامها يوم الجمعة لأنهم يسدّون سوق القيسارية وغيرها من الأسواق، فركبت يوم الجمعة وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة، وهذه المدينة تحت إمرة السلطان أوزْبك، وله فيه أمير كبير يسمى قُطْلُودُمُور (5)، وهو الذي عمّر هذه المدرسة وما معها من المواضع المضافة، وأما المسجد فعمرته زوجته الخاتون الصالحة تُرابَك (6). بضم التاء المعلوة وفتح الراء وألف وبَك بفتح الموحدة والكاف.

وبخوارزم مارستان له طبيب شامي يعرف بالصهيوني نسبة إلى صهيون من بلاد

---

(3) يلاحظ أن ابن بطوطة سكت هنا عن شكل الكلمة على خلاف عادته، ويقول ياقوت أن الخاء بين الضمة والفتحة والألف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون به، وخوارزم ليس اسما للمدينة، إنما هو اسم للإقليم بجملته، يقول ياقوت فأما القصبة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية، وأهلها يسمونها (كُركَانج) ويقول عن الجرجانية، إنها مدينة عظيمة على دلتا نهر جيحون (AMUDARYA) وهي بالذات (URGENTCH) فعربت إلى الجرجانية. وقد جاءها ياقوت سنة 616=(1219) فوصف بردها الشديد، ونقل عن البشّاري المقدسي أنها أي خوارزم في الشرق كسجلماسة في الغرب وطباع أهلها مثل طبع البربر... وقال : وكانت قصبتها قديما تسمى المنصورة... ثم انتقل أهلها إلى الجرجانية، والجدير بالذكر أن ننبه إلى أن ياقوت نقل عن رحلة السفير ابن فضلان حول خوارزم... ويلاحظ العمري أن الأثمان كانت متشابهة تقريبًا مع سراي وأن المركزين معًا كانا يستعملان نفس المقاييس والمكاييل...

(4) الشّوْر : اسم خوارزمي ويعني بالفارسية الحركة والهيجان ... – حول القيْسارية انظر ج 1، 151 تعليق 94

(5) قطلودومور (QUTLUGH - Tömür) كان في صدر الذين أعانوا أوزبَك خان على الاستيلاء على الحكم عام 713=1313 وكان مكلفا بإدارة المملكة ولم يلبث أن سمي حاكمًا على خوارزم...

(6) يوجد ضريح تُرابك الخاتون دائمًا في مقبرة في الجرجانية، أنظر آثار الإسلام التاريخية فيما كان يعرف بالإتحاد السوفييتي – حول صهيون من بلاد الشام ج 1، 166 تعليق 125.

الشام، ولم أر في بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوسًا ولا أحبَّ في الغرباء (7).

5/3 ولهم عادة جميلة لم أرها لغيرها، وهي أن المؤذنين بالمساجد يطوف كلُّ واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة (8)، فمن لم يحضر الصلاة مع الإمام ضَرَبه الامام بمحضر الجماعة، وفي كل مسجد دِرَّةٌ معلقة برسم ذلك، ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح المسجد، أو تطعم للفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان.

وبخارج خوارزم نهر جَيْحُون أحد الأنهار الأربعة التي من الجنة (9)، وهو يجمد في أوان البرد كما يجمد نهر إتل : ويسلك الناس عليه، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر (10)، وربما سلكوا عليه عند أخذه في الذوبان فهلكوا!

ويسافَر فيه في أيام الصيف بالمراكب إلى ترمذ ويجلبون منها القمح والشعير، وهي مسيرة عشر للمنحدر.

6/3 وبخارج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين الكُبْرَا، وكان من كبار الصالحين (11)، وفيها الطعام للوارد والصادر، وشيخها المدرس سيف الدين ابن عَصَبَة من

---

(7) ابن بطوطة هنا يرد الاعتبار لأهل خوارزم الذين نال منهم اللحام في شعره :

مـا أهل خـوارزم سـلالة آدم	مـاهـم وحقِّ الله غـيـر بهـائم !
أبصرتَ مثل خفافهم ورؤوسـهم	وثيـابهم وكـلامـهم في العـالم ؟
ان كـان يرضـاهم أبونا آدمٌ	فـالكلب خـيـر من أبينا آدم !!

ياقوت في معجم البلدان.

(8) ظلت هذه العادة معروفة في بُخارى إلى العصور الأخيرة على ما حكى لنا عند زيارة المنطقة.

(9) نهر جيحون نهر أمُو دَرْيَا (AMU DARYA) ونهر إتل هو الفولكا على ما تقدم.

(10) بقي ابن فضلان في الجرجانية (URGENTCH) طوال شهرين من شعبان رمضان 309 دجنبر 921 إلى يبرأير 922 وقد قال بهذه المناسبة : وجمد جيجون من أوله إلى آخره وكان سمك الجمْد سبعة عشر شبرًا، وكانت الخيل والبغال والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل فأقام على ذلك ثلاثة أشهر." !

(11) نجم الدين الكُبْرَا : رجل صالح صوفي سُهْرَوَرْدي الطريقة ومؤسس طريقته الخاصة المعروفة بالطريقة الكُبْراوية التي لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه،.. وقد قتل من لدن المغول عند احتلالهم للجرجانية عام 617=1221 وما يزال قبره مزارة للناس هناك
– اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان.
ف.ف. بارتُولد : تركستان، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم – الكويت 1981 صفحة 126-536-614-616-663، انظر تعليق الناشرين D.S. ج III ص 451.

كبار أهل خوارزم، وبها أيضا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي من كبار الصالحين أضافنا بها، وبخارجها قبر الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزَّمخشري (12) وعليه قبَّة، وزمخشر : قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم، ولما أتيت هذه المدينة نزلت بخارجها وتوجَّه بعض أصحابي إلى القاضي الصدر أبي حفص عمر البكري (13)، فبعث إلي نائبه نور الاسلام فسلَّم علي، ثم عاد إليه ثم أتى القاضي في جماعة من أصحابه فسلَّم عليَّ، وهو فتى حدث السن، كبير الفِعال وله || نائبان أحدهما نور الإسلام المذكور والآخر نور الدين الكرماني من كبار الفقهاء، وهو الشديد في أحكامه، القوي في ذات الله تعالى. 7/3

ولما حصل الاجتماع بالقاضي، قال لي : إن هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهارًا لا يتأتى، وسيأتي إليكم نور الإسلام لتدخلوا معه من آخر الليل ففعلنا ذلك ونزلنا بمدرسةٍ جديدة ليس بها أحد، ولما كان بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور، ومعه من كبار المدينة جماعة منهم مولانا همام الدين ومولانا زين الدين المقدسي، ومولانا رضي الدين يحيى، ومولانا فضل الله الرِّضوي، ومولانا جلال الدين العمادي، ومولانا شمس الدين السِّنجري إمام أميرها، وهم أهل || مكارم وفضائل، والغالب على مذهبهم الاعتزال (14) لاكنهم لا يظهرونه لأن السلطان أوزبك وأميره على هذه المدينة قطلودمور من أهل السنة. 8/3

وكنت أيام إقامتي بها أصلّي الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده، فإذا فرغت الصلاة ذهبت معه إلى داره وهي قريبة من المسجد فأدخل معه إلى مجلسه وهو من أبدع المجالس فيه الفرش الحافلة وحيطانه مكسوة بالملفّ وفيه طيقان كثيرة، وفي كل طاقٍ منها أواني الفضة المموّهة بالذهب والأواني العراقية، وكذلك عادة أهل تلك البلاد أن يصنعوا في بيوتهم، ثم يأتي بالطعام الكثير، وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرّباع وهو سِلْف الأمير قطلودمور متزوج بأخت امرأته || واسمها جيجا أغا، وبهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكّرين أكبرهم مولانا زين الدين المقدسي والخطيب مولانا حسام الدين المشّاطي الخطيب المصقع أحد الخطباء الأربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم. 9/3

(12) محمود الزَّمخشري ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور بها زمنًا فلقب بجار الله، ثم عاد إلى الجرجانية، من مدن خوارزم فتوفي بها عام 538=1144 من أشهر كتبه الكشّاف في تفسير القرآن وأساس البلاغة، ومعجم عربي فارسي الخ. وكان معتزليّ المذهب، شديد الإنكار على المتصوفة...

(13) هو حسام الدِّين الصدر (اختصار صدر الدّين على ما يبدو) وهو يعني هنا قاضي القضاة في شرق فارس وفيما وراء النهر (TRANSOXIANE) بارتولد : تركستان ص 477-485-508.

(14) من الطريف أن نجد ابن بطوطة يتعاطف مع المعتزلة هنا على ما نعرفه من تمسكه بالمذهب السنّي...

وأمير خوارزم هو الأمير الكبير قُطْلُودُمُور، وقطلو بضم القاف وسكون الطاء المهمل وضم اللام، ودُمور بضم الدال المهمل والميم وواو مد وراء، ومعنى اسمه الحديد المبارك، لأن قُطْلُو هو المبارك ودُمُور هو الحديد، وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك، وأكبر أمرائه وهو واليه على خراسان، وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التي أمها الملكة طَيْطُغْلي المتقدم ذكرها، وامرأته الخاتون تُرَابك صاحبة المكارم الشهيرة.

10/3 ولما أتاني القاضي مسلّما عليّ كما ذكرته، قال لي : إن الأمير قد علم بقدومك وبه بقية مرض يمنعه من الإتيان إليك، فركبت مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره فدخلنا مشورًا صغيرًا فيه قبة خشب مزخرفة قد كُسيت حيطانها بالملفّ الملوّن، وسقفها بالحرير المذهب والأمير على فرشٍ له من الحرير وقد غطّى رجليه لما بهما من النقرس، وهي علة فاشية في الترك، فسلمت عليه وأجلسني إلى جانبه، وقعد القاضي والفقهاء وسألني عن سلطانه الملك محمد أوزْبك وعن الخاتون بَيَلون وعن أبيها، وعن مدينة القسطنطينية فأعلمته بذلك كلّه ثم أوتي بالموايد فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكي وأفراخ الحمام وخبز معجون بالسّمن

11/3 يسمونه الكُليجا (15) والكعك والحلوى، ثم أوتي بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب، في أوان الذهب والفضة، ومعه ملاعق الذهب، وبعضه في أواني الزجاج العراقي، ومعه ملاعق الخشب، ومن العنب والبطيخ العجيب. ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كلّ يوم إلى مشوره فيجلس بمجلسٍ معدّ له ومعه الفقهاء وكتابه ويجلس في مقابلته أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم يسمّون الأرغُجية (16) ويتحاكم الناس إليهم، فما كان من القضايا الشرعية حكم فيها القاضي، وما كان من سواها حَكَم

12/3 فيها أولائك الأمراء، وأحكامهم مضبوطة عادلة لأنهم لا يُتَّهمون بميل ولا يقبلون رشوة. ولما عُدنا إلى المدرسة بعد الجلوس مع الأمير بعث إلينا الأرز والدقيق والغنم والسمن والأبزار وأحمال الحطب.

وتلك البلاد كلُّها لا يعرف بها الفحم وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم.

---

(15) الكُليجَا : الفارسية (AL-KULITCHE) نوع من الحلوى المحشوة بالتمر. وتعرف في بغداد بنفس الإسم إلى اليوم ويقصد بالمحبّب أنه يقدم إلى الضُّيوف حبوبًا تسهيلاً عليهم في التناول.

(16) الأرغُجية : يارغورجي (YARGHUJI) كلمة من شرق تركيا تعني الشخص الذي يفصل في النوازل القضائية ومنها كلمة YARJU بمعنى حاكم.

وأما الصين فيوقدون فيها حجارةً تشتعل فيها النار كما تشتعل في الفحم (17) ثم إذا صارت رمادًا عجنوه بالماء وجففوه للشمس وطبخوا بها ثانية كذلك حتّى يتلاشى.

حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير.

صلّيت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد القاضي أبي حفص، فقال لي : إن الأمير أمر لك بخمسمائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه، فلما ‖ أمر بذلك قلت له : أيها الأمير تصنع دعوةً يأكل من حضرها لقمةً أو لقمتين، لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع، فقال : أفعلُ ذلك، وقد أمر لك بالالف كاملة !! ثم بعثها الامير صحبة إمامه شمس الدين السنجري في خريطةٍ يحملها غلامه، وصرفها من الذهب المغربي ثلاثماية دينار (18). 13/3

وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسًا أدهم اللون بخمسة وثلاثين دينارا دراهم وركبته في ذهابي إلى المسجد فما أعطيتُ ثمنه إلا من تلك الالف ! وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خفية مكذّب يكذّب به ! ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلتُ أرض الهند، وكانت عندي خيل كثيرة لاكنّي كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه أمام الخيل، وبقي عندي إلى انقضاء ‖ ثلاث سنين، ولما هلك تغيرتْ حالي وبعثَتْ إلي الخاتون جيجا أغا إمرأة القاضي مائة دينار دراهم وصنعت لي أختها تُرابَك زوجة الأمير دعوةً جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزاويتها التي بنتْها وفيها الطعام للوارد والصادر وبعثت إلي بفروة سمّور وفرسٍ جيد، وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيرا. 14/3

حكاية [الخاتون المتقشفة]

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوةٌ لا أذكر عددهن فسلّمت عليّ

(17) يلاحظ مرة أخرى اهتمام ابن بطوطة بالحطب والفحم كطاقةٍ لها أهميتُها في المناطق الباردة. ونذكر أن ابن فضلان ذكر في رحلته أن الرجل إذا أراد أن يبرّ بصاحبه ويجامله دعاه هكذا : تعالى إليَّ نتحدث فإن عندي نارًا طيبة" !

النّار فاكهةُ الشتاء فمَن يُرد أكل الفواكه شاتياً فليصطلي !

– يراجع التعليق رقم 53 ج I، ص 132.

(18) الدينار المغربي يزن 4,722 گرام بينما الدينار في الشرق يزن 4,233 – تراجع التفصيلات التي ذكرها الناشران الأولان ج III ص 454 هذا ويلاحظ أن ابن بطوطة من خلال قوله : "خيفة مكذب يكذب به" انه يعي جدًا ما يتناجى به الناس مما رواه ابن خلدون !.

15/3 فرددت عليها السلام، ولم أقف معها ولا التفت إليها، فلما ‖ خرجت أدركني بعض الناس، وقال لي : إن المرأة التي سلمتْ عليك هي الخاتون، فخجلت عند ذلك وأردت الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت إليها السلام مع بعض خدّامها واعتذرتُ عما كان منّى لعدم معرفتي لها !

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقًا ولا غربًا إلا ما كان من بطيخ بخاري، يليه بطيخ إصفهان، وقشره أخضر، وباطنه أحمر، وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة.

ومن العجائب أنّه يقدَّد وييبس في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشَّريحة والتّين المالقي (19)، ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين، وليس في 16/3 جميع الفواكه اليابسة أطيب ‖ منه !

وكنت أيام إقامتي بدهلي من الهند متى قدم المسافرون بعثت مَن يشتري لي منهم قديدَ البطيخ، وكان ملك الهند إذا أوتي إليه بشيء منه بعث إليَّ به لِما يعلم من محبَّتي فيه، ومن عادته أنه يُطرِف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك.

حكاية [التاجر الكريم]

كان قد صحبني من مدينة السّرَا إلى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور، وكان من التجار فكنت أكلّفه أن يشتري لي الثياب وسواها، فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية، ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله وأنا لا عِلْم لي بفعله إلى أن تعرفت ذلك على ألسِنة الناس، وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلمّا 17/3 وصل ‖ إلَيَّ إحسانُ أمير خوارزم رددت إليه ما أسلفنيه، وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأةً لأفعاله الحسنة، فأبى ذلك وحَلف أن لا يفعل، وأردت أن أحسن إلى فتًى كان له اسمه كافور فحلف أن لا أفعل، وكان أكرمَ من لقيته من العراقيين.

وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا إلى خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذ في السفر معهم، فقلتُ له في ذلك، فقال : هؤلاء أهل بلدي

(19) اشتهرت مالقة بتينها الطيّب الذي يستورد منها لأقاصي البلاد ومن هنا تغنَّى به أبو الحجاج البلوي :
مالقة حييت ياتينها   الفلك من أجلكِ يأتينها !!
– المقري : النفح ج 1، ص 151. الكُدية : الارتزاق والاستعطاء !

يعودون إلى أهلي وأقاربي ويذكرون أنّي سافرت إلى أرض الهند برسم الكُدية فيكون سبّةً، وعلي لا أفعل ذلك.

وسافر معهم إلى الصين فبلغني بعدُ وأنا بأرض الهند، أنه لما بلغ إلى مدينة المالق (20) وهي آخر البلاد التي من عمالة ما وراء النهر، وأول بلاد الصين، أقام بها وبعث فتىً له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه وفي أثناء ذلك وصل من بلدِه بعض التجار ونزل معه في فندقٍ واحد فطلب منه الشريف أن يسلفه شيئًا بخلال ما يصل فتاه، فلم يفعل، ثم أكّد قُبْحَ ما صَنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المَسكن الذي كان له بالفندق، فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه ودخل إلى بيته فذبح نفسه (21) فأُدرك وبه رمق، واتهموا غلامًا كان له بقتله، فقال لهم : لا تظلموه فإني أنا فعلت ذلك بنفسي ومات من يومه غفر الله له !

18/3

وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضًا فلقيه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطلبه بالمال، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدّين فاستحيى من صاحب المال، ودخل إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه، وكان في أجله تأخير فتذكّر صاحبًا له من الصيارفة فقصده وذكر له القضية فسلفه مالا دفعه للتاجر.

19/3

ولما أردتُ السفر من خوارزم اكتريت جمالاً واشتريت محَارة (22) وكان عديلي بها عفيف الدّين التوزري، وركب الخدّام بعض الخيل، وجلّلنا باقيها لأجل البرد ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخَاري، وهي مسيرة ثمانية عشر يومًا في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة، فودعت الأمير قُطْلُودُمور وخلع عليَّ خلعة، وخلع علي القاضي أخرى وخرج مع الفقهاء لوداعي، وسرنا أربعة أيام، ووصلنا إلى مدينة ألْكَات (23) وليس بهذه الطريق عمارةٌ

20/3

---

(20) المالق : مدينة تقع على وادي إيلي (ILI) شمال غربي المدينة الحالية وُلْجا (Oulja) على مقربة من الحدود الحالية الصينية والروسية، كانت عاصمة الامبراطورية المغولية جغتاي (TCHAGHATAÏ) وكانت تشمل منطقة ما وراء النهر.

(21) يلاحظ أن ابن بطوطة أثارت انتباهه عملية إنتحار لزميل له من أهل كربلاء (العراق)، انتحر حفاظًا على مروءته ودفاعا عن شرفه... وقل ما يحصل هذا مُن مسلم يعرف أن نبي الاسلام عليه الصلوات ندد بالذين يستعجلون بازهاق أرواحهم والعجب أن زميله سبق له أن فكّر في الانتحار ...

(22) المحارة نوع من الهوادج يركب فيها اثنان، كل واحد في جهة، ويسمى الرفيق عديلاً... ويستحسن أن يكون الراكبان متقاربين في الوزن ! وقد تقدم استعمال هذا اللفظ (المحارة) الذي يعتبر من الألفاظ الغريبة في استعمال ابن بطوطة ج I، ص 404 – ج II، ص 148.

(23) الكاث أو (KATH) تقع على الشاطئ الشرقي لنهر جيحون أموداريا وكانت العاصمةَ القديمة لخوارزم. وقد تهدم جانب منها في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي بفعل فيضان المياه، وأعيد بناؤها في الجنوب الغربي من الموقع القديم، وقد تأثرت على ما يظهر من الغزو المغولي...

سواها، وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون اللام وآخره وتاء مثناه، وهي صغيرة حسنة نزلنا خارجا على بركة ماء قد جمدت من البرد فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها.

وسمع بقدومي قاضي ألْكات، ويسمى صدر الشريعة وكنت قد لقيتُه بدار قاضي خوارزم فجاء إلي مسلِّما مع الطلبة، وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخِيُوَقي (24)، ثم عرض عليَّ القاضي الوصول إلى أمير تلك المدينة، فقال له الشيخ محمود : القادم ينبغي له أن يزار (25)، وان كانت لنا همة نذهب إلى أمير المدينة وناتي به ففعلوا ذلك، وأتى الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدامه فسلَّمنا عليه، وكان غرضنا تعجيل السفر، فطلب منا الإقامة، وصنع دعوةً جمع لها الفقهاء ووجوه العساكر وسواهم ووقف الشعراء يمدحونه، وأعطاني كسوةً وفرسًا جيدًا، وسرنا على الطريق المعروفة بسِيبَايه (26) وفي تلك الصحراء مسيرة ست دونَ ماء:

21/3

ووصلنا بعد ذلك إلى بلدة وَبْكَنة (27)، وضبط اسمها بفتح الواو واسكان الباء الموحدة وكاف ونون، وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى بلدة حسنة ذات أنهار وبساتين وهم يدَّخرون العنب من سنة إلى سنة، وعندهم فاكهة يسمونها العلُّو (28) بالعين المهملة وتشديد اللام، فييبّسونه ويجلبه الناس إلى الهند والصين، ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه، وهو أيام

---

(24) الخِيوقِي : نسبة إلى خِيوة (KHIVA)، وتقع على الضفة الشمالية لنهر جيحُون على قناة تستمد ماءها من النهر... ولم تحدد بالضبط وظيفة الشيخ في المدينة المذكورة...

(25) شاعت هذه القولة بين الناس ويقول بعضهم في مقابلها : إن القادم هو الذي عليه أن يزور الآخرين، والظاهر أن القولة تتحكم فيها ظروف الزائر والمزور، ولله در الامام الشافعي عندما قال عن أحمد بن حنبل :

قالوا : يــزورك أحــمــدُ أو تــزوره ؟ قلت : المكارم لا تزايل منزله

إن زارنــي فبفضلــه أو زرتُه فلفضلــه والفـضــلُ فــي الحــالــين له !!

– د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 193.

(26) سِيبايه : لم نقف على هذا الاسم في جهةٍ أخرى. ابن فضلان سافر من بخارى إلى الكات على متن المركب نازلاً في نهر جيحون، اما ابن بطوطة فقد كان عليه أن يقطع الفيفاء الواقعة شرقي النهر وقد أورد ياقوت اسم قرية تحمل اسم سِبارَي من قرى بخارى يقال لها سَبِيرَى ايضا.

(27) وَبْكنة هي حاليا (WABKAND) بضاحية على بعد 40كـ.م شمال شرقيّها... وما تزال إلى الآن محتفظةً بمأذنتها الأنيقة التي ترجع لأواخر القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي.
– كتاب آثار الاسلام التاريخية في الروسيا ص 6.

(28) العلُّو : بالفارسية (ALU) البرقوق، وقد اكتسب البرقوق الاصفر لبخارى شهرةً كبيرة.

كونه أخضر حلوٌ فإذا يبس صار فيه يسير حُموضة ولحميته كثيرة ولم أر مثله بالأندلس ولا بالمغرب ‖ولا بالشام. 22/3

ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يومًا كاملاً، ووصلنا إلى مدينة بخارى (29) التي ينسب إليها أمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (30)، وهذه المدينة كانت قاعدةً ما وراء نهر جيحون (31) من البلاد، وخرَّبها اللعين تنكيز التتري (32) جدّ ملوك العراق، فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل، وأهلها أذلاًء، وشهادتهم لا تقبل بخوارزم وغيرها لاشتهارهم بالتعصّب ودعوى الباطل وانكار الحق، وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئا من العلم ولا من له عناية به !!

---

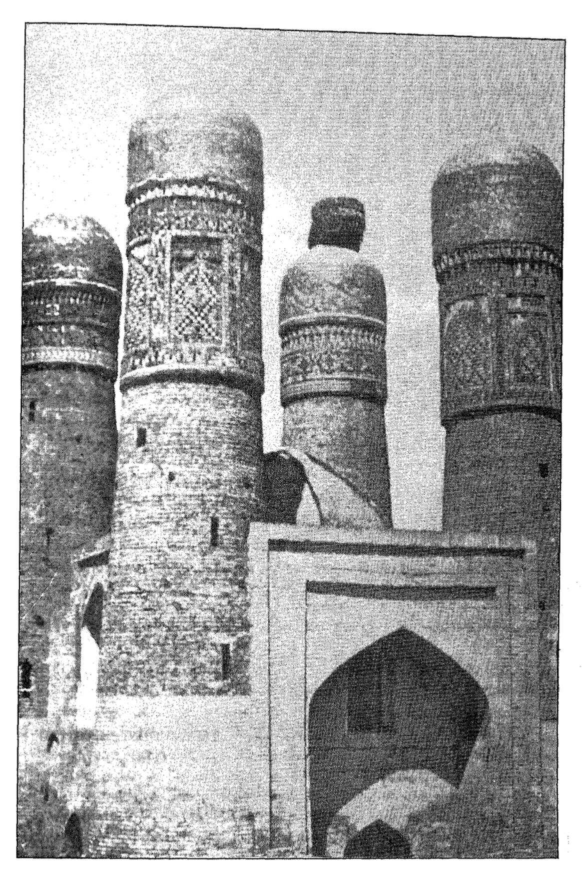
(29) بخارى كانت عاصمة مزدهرة لملكة السامانيين نسبة لسامان خداي الذي اعتنق الإسلام وأسس الدولة السامانية فيما وراء النهر (287-389) (900-999) وقد احتلت بُخاري من قبل جيوش جنكيز خان عام 617=1220 ثم عمرت بعد هذا الوقت بقليل، وقد هدمت مرتين متعاقبتين من لدن المغول إيلخان فارس عام 767= 1273 وعام 716=1316 ولم يمكن لها بعدُ أن تتخلص من الدمار الذي لحقها...

(30) محمد بن إسماعيل البخاري، الحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ولد في بخاري وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، واختار من الأحاديث ما وثق برواته، وهو أول من وضع في الإسلام كتابًا على هذا النحو. وقد تعصَّبَ عليه جماعة ورموه بالتهم فاخرج إلى (خَرْتنك) من قرى سمرقند فأدركه أجله بها عام 256=870. زرتُ ضريحه في خرْتنك بمناسبة المهرجان الدولي الذي أقيم هناك تكريمًا للإمام البخاري بمناسبة مرور 200 سنة على ميلاده، الملحق الثقافي لجريدة (العلم) 1974/10/18.

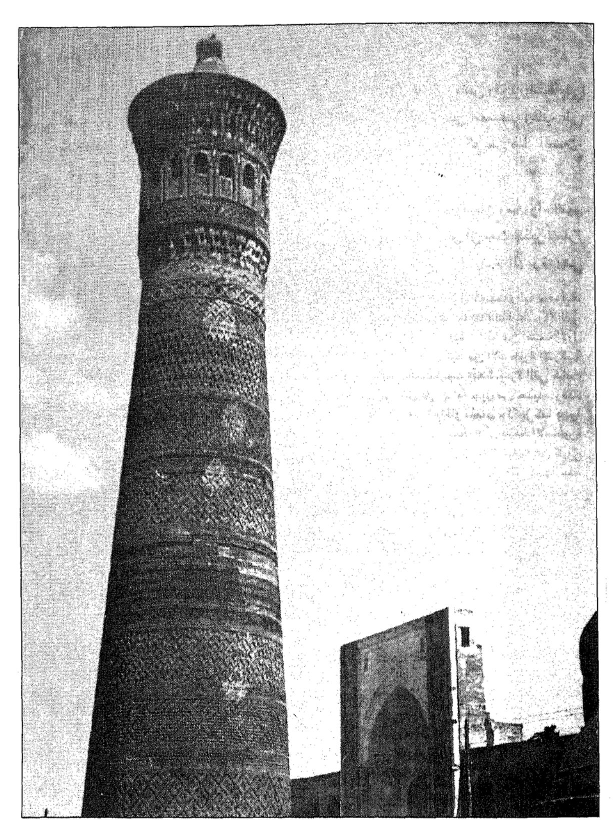
(31) ما وراء النهر هو بالذات ما نجده في التعبير اليوناني (TRANSOSIANAS)، وكلا التعبيرين لهما معنى واحد، ويتعلق الامر بالاقاليم الواقعة بين جيحون (OXUS) أمُو دارْيَا (AMU DARYA) وبين جيحون سيرداريا دَارْيا J. AX ARTES، وداريا كلمة فارسية بمعنى نهر.

(32) تيموْجين (TE MUDJIN) الذي أصبح سلطانًا للمغول عام 602 = 1206 هو بالذات جنكيز، لقب مغولي للتركي (تنكيز) ... أو تنيز، ومنها كان الاسم باللغة العربية – التتار كانوا في الاصل قبيلة تركية "تمغلت" وهيمنت على القبائل الأخرى في عهد ميلاد جنكيز. ستكون تلك القبيلة أول من يَخضع له بيد أن اسمه سيبقى، عبر المصادر التاريخية الصينية والعربية والروسية مرتبطًا باسم المغول. نذكر أخيرًا أن ملوك العراق آنذاك هم إيلْخانيُون منحدرون من هُولاكو حفيد جنكيز.

C.E. BOSWORTH : MOGHOLISTAN, Ency. de l'Islam, N.E., 1991.



مدينة الأمراء : مدخل المدينة المحصنة



منارة في بخارى

ذكر أولية التُّتر وتخريبهم بخارى وسواها.

23/3

كان تنكيز خان (33) حدّاد بأرض الخطا (34)، وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم، وكان يجمع الناس ويُطعمهم، ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم، وغلب على بلده وقوي واشتدت شوكته واستفحل أمره فغلب على مُلك الخِطا، ثم على ملك الصين، وعظمت جيوشه وتغلب على بلاد الخُتَن وكاشْغَر والمالِق.

وكان (35) جلال الدين سِنْجَر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وما وراء النهر (36) له قوة عظيمة وشوكة، فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له فاتّفق أن بعث تنكيز تُجارًا بأمتعة الصين والخَطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدة أُطرار (37)، بضم الهمزة، وهي

(33) كان جنكيز ابنًا لأحد رؤساء عشيرة، وقد كان أحد أجداد أبيه رئيسًا لأول كونفيدرالية مغولية، والأسطورة التي تقول : إنه كان حدادًا توجد أيضًا عند كيوم دُورُوبْرُوك (G. de Ruibrouk) الذي زارقَرَاقُورُوم عاصمة المغول عام 652=1254، وربّما كان الاصل في هذا اللقب آتيًا من اسمه الاول تيموْجين تامور (TAMUR) تيمور (TIMUR) Demir : (حديد)، أو آتيًا من الأسطورة التركية القديمة التي يرددها المغول : إيرَجان كُون (ERGENEKON) حيث توجد العشيرة التي كانت محاصرة في إقليم مطوق، واستطاعت أن تخرج بفضل حداد عمل على إذابة جبل من حديد... هذه الاسطورة التي ترمز للانتشار المغولي في المنطقة لا تعني بأية حال لقب احتقار بأصل جنكيز كما يبدوا من سياق تعبير ابن بطوطة ! الامر الذي يفسر كيف أن ديليام دو رُوبْرُوك استطّاع أن يلتقط الأسطورة في قراقورم منذ فترة سابقة لزيارة ابن بطوطة. هذا وقد ذكّرني تقديم ابن بطوطة تحقيقه عن تاريخ ظهور جنكز خان فيما أقدم عليه ابن خلدون بدوره في رسالته إلى العاهل المريني التي قدم فيها نبذة عن تاريخ التتر وذلك في اعقاب اجتماع بالشام مع تيمورلنك. - د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 222-223. جامع التواريخ لرشيد الدّين فضل الله الهمداني - مصدر سابق.

(34) الخَطا اسم أعطى لشمال الصين أو شمال غربها كما سياتي حيث كونت لها مملكة مستقلةٌ تحت سيادة خِطان أو دولة ليَاوُو (LIAO) وهو يستمد أصله من (الخِطان) الذين اسسوا هناك دولة من عام 294-516 (907-1122).

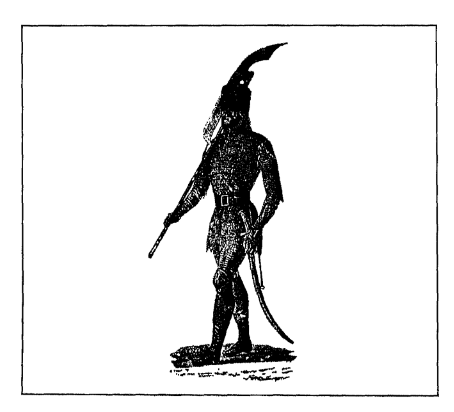
(35) فتْحُ الصين الذي ابتدئ منذ سنة 606=1209 انتهى عام 678=1279 -الخُتَن وكاشغر يوجدان معا في اقليم سِينْكِيانغ (SINKIANG)، والمالق يوجد في سيميرتشي (SEMIRYECHYE)، والكلُّ فتح حوالي عام 612=1215.

(36) لقد حَكم آل خوارزم شاه في هذه المنطقة منذ نهاية القرن الثاني عشر إلى وصول المغول، ابن بطوطة هنا يخلط بين محمد خوارزم شاه الملقب بسنجر 596-617 = (1200-1220) الذي يرجع للفترة التي وقعت فيها حادثة أُطرار التي ستحكى بعد هذا، وبين ابنه جَلال الدين الذي أصبح شخصيّة أسطورية وهو الذي قاوم المغول من الهند إلى الاناضول طوال عشر سنوات من 618 - إلى 628= (1221-1231). انظر تاريخ ابن الأثير الجزري وتاريخ ابن واصل...

(37) تقع أُطرار (يرسمها ترجمان بارتولد (أترار) في سيحون (JAXARTES) أو سيرداريا (SIR DARYA) على بعد 100 ميل شمال طشقند، وقد قام جلال الدّين بتكبيد المغول هزيمة منكرة في باروان (PARWAN) شمال كابل بيد أنه حوصر من لدن جنكيز خان واستطاع أن ينجو بحياته عندما عبر نهر السند. انظر بارتولد : تركستان ففيه الحديث مفصّلاً عن هذه الموقعة ص 622، وهو أي بارْتولد يذكر ابن بطوطة كمرجع هام لهذه الأحداث في عدد من الصفحات.



الخان الأعظم للمغول الذي خرّب خوارزم والباقي !



رسم جندي مغولي

24/3 آخر عِمالة جلال الدين، فبعث إليه عامله عليها مُعلمًا بذلك ║ واستأذنه ما يفعل في أمرهم فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم، ويقطع أعضاءهم ويردَّهم إلى بلادهم لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنتهم رأيًا فائلاً وتدبيرًا سيئًا مشئومًا، فلما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لا تحصى كثرةً برسم غزْو بلاد الإسلام، فلما سمع عامل أطْرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره فذكر أن أحدهم دخل محلَّة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يُطعمه، ونزل إلى جانب رجل منهم فلم ير عنده زادًا، ولا أطعمه شيئًا، فلما أمسى أخرج مُصرانًا يابسةً عنده، فبلَّها بالماء، وفصَد فرَسَه وملاها بدمه وعقدها

25/3 وشَوَاها بالنار، فكانت طعَامَه ! فعاد إلى أُطرار ║ فأخبر عاملَها بأمرهم وأعلمه أن لا طاقة لأحدٍ بقتالهم فاستمد ملكه جلال الدين فأمدَّه بستين ألفًا زيادة على من كان عنده من العساكر، فلما وقع القتال هزمهم تنكيز ودخل مدينة أطرار بالسيف وقتل الرجال وسبى الذراري.

وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربته فكانت بينهم وقائع لا يُعلم في الإسلام مثلها (38)، وآل الأمر إلى أن تملك تنكيز ما وراء النهر وخرَّب بخارى وسمرقند وترِمذ. وعبر النهر، وهو نهر جيحون، إلى مدينة بَلخ فتملكها ثم إلى الباميان فتملَّكها وأوغل في بلاد خراسان وعراق العَجَم (39)، فثار عليه المسلمون في بلخ، وفيما وراء النهر، فكرّ عليهم ودخل بَلخ بالسيف

26/3 وتركها خاويةً على عروشها (40)، ثم فعل ║ مثل ذلك في ترمذ فخربت، ولم تعمر بعد، ولكنها بُنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترِمذ، وقتل أهل الباميان وهدمها باسرها إلا صومعة جامعها، وعَفَا عن أهل بخارى وسمر قند ثم عاد بعد ذلك إلى العراق (41) وانتهى

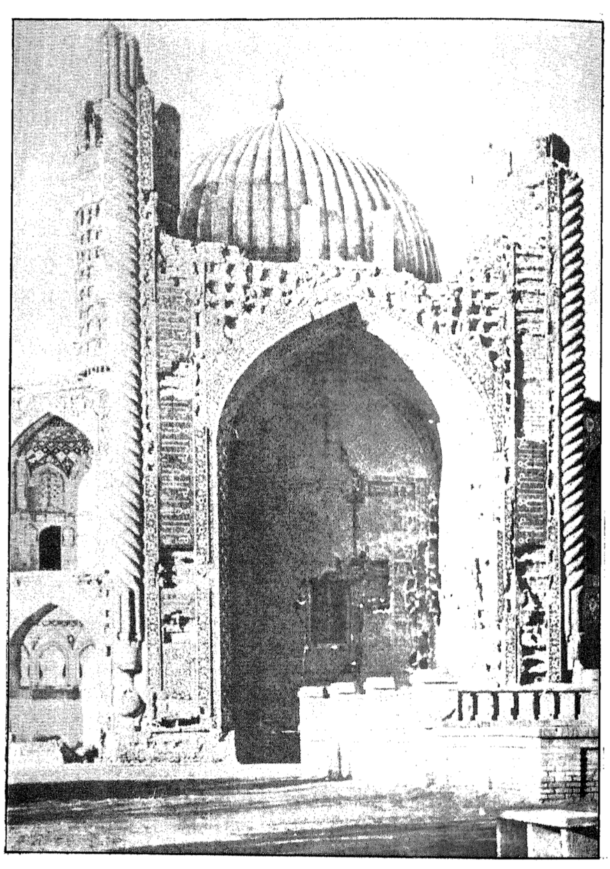
---

(38) يعتبر ابن بطوطة مصدرًا أصيلاً لهذه الحادثة. أنظر ابن الأثير في أحداث 616 هـ وابن واصل...

(39) احتلت ما وراء النهر باميّان (TransoXiana) وخوارزم عام 617=1220 بينما احتلت باميلْيان (وليس باميان) وكانت عاصمة لشمال أفغانستان عام 618-1221، وقد كانت الغارة على خراسان عام 1221 بقيادة تُولوى (Tuluy) صغير أبناء جنكيز خان، وقد خربت (مرو) و (نيسابور) إلى نهايتها وقد اعدت طائفة من الغارات بقيادة عدد من القادة المغول عام 1220 على أذربيجان وعلى جنوب الروسيا وعبر بلاد القوقاز... – انظر بارتولد – تركستان...

(40) تحدث المؤرخ ابن الأثير كذلك عن أحداث سنة 617 في كتابه الكامل في التاريخ ويظهر أن بلخ بعد أن خربت منذ الغارة عليها عام 618=1221 عادوا اليها فأتوا على ما بقي فيها من معالم، وسنرى أن الياقوت الذي ننعت الجيّد منه بالبالي "BALAIS" ياخذ هذا النعت من مدينة بلخ ...

(41) ينبغي أن نذكر هنا أن ابن بطوطة وقع في سهو، عندما تحدث عن "عودة" جيش جنكير إلى العراق، فالواقع ان العودة كانت إلى منغوليا وليس إلى العراق الذي تم الاجهاز عليه بواسطة حفيده هولاكو عام 1256=658 –انظر بارتولد...



جامع بلخ الذي خربه جنكيز خان بحثا عن المال !

أمر التتر حتى دخلوا حضرة الإسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي رحمه الله !

قال ابن جزي : أخبرنا شيخنا قاضي القضاة أبو البركات ابن الحاج (42) أعزه الله قال سمعت الخطيب أبا عبد الله بن رشيد يقول : لقيت بمكة نور الدين بن الزجاج من علماء العراق ومعه ابن أخ له فتفاوضنا الحديث، فقال لي : هَلَك في فتنة التتر بالعراق 27/3 أربعة وعشرون ألف رجل من أهل العلم، ولم يبق منهم غيري وغيرُ ذلك، وأشار إلى ابن أخيه !

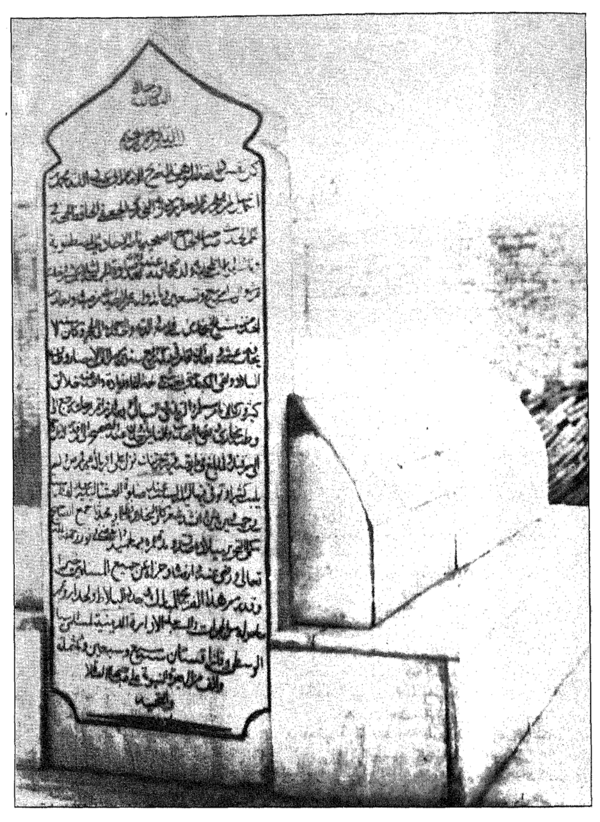
رجع، قال ونزلنا من بُخارى بَرَبَضها المعروف بفتح أباد (43)، حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين البَاخرزي (44)، وكان من كبراء الأولياء وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عضيمة لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر، وشيخها من ذريته وهو الحاج السَّيَّاح يحيى الباخرزي وأضافني هذا الشيخ بداره، وجمع وجوه أهل المدينة وقرأ القراء بالأصوات الحسان، ووعظ الواعظ، وغنّوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة، ومرت لنا هنالك ليلة بديعة من أعجب الليالي 28/3 ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدْر الشريعة وكان قد قدم من هران وهو من الصلحاء الفضلاء (45)، وزرت ببخاري قبر الامام العالم أبى

(42) أبو البركات ابن الحاج، البلفيقي محمد بن ابراهيم من الشخصيات العلمية الدبلوماسية البارزة في التاريخ الأندلسي المغربي له ترجمة حافلة بالمزايا. نفح الطيب ج V ص 471 – الإحاطة ج II ص 343. (ج I، ص 20 تعليق 34). هذا وان المعلومة التي ذكرها عن اجتياح بغداد وهلاك 24,000 عالمًا معلومة لم نجد مثلها في المصادر التي تتحدث عن سقوط بغداد – رشيد الدين الهمداني : جامع الجوامع 1960.

(43) فتح أباد قرية تقع على مقربة من الباب الشرقي للمدينة ما تزال تحمل هذا الاسم.

(44) هذا أبو المعالي سعيد ابن المطهر أحد الطلبة البارزين لنجم الدين الكُبْرا سالف الذكر، (تعليق 17)، والمتوفي عام 659-1261 يظهر أنه هو الذي حَمَل سلطانَ (القبيلة الذهبية) على اعتناق الاسلام، قبره موجود في الزاوية المذكورة وقد شيدت من لدن والدة الخانات الكبار مونكي Mongke بالرغم من أنها كانت مسيحية، القبر يوجد لحدّ الآن هناك
– انظر دائرة المعارف الإسلامية : سيف الدّين بخرزي.

(45) يظهر أن الأمر يتعلق بفخر الدين خيصار (KHISAR) الذي كان يحمل نعت الصدر، وقد سمى قاضي هراة عام 714-715 = 1314-1315 وهو الذي ورد ذكره في كتاب تاريخ نامه- 1944.



قبرية الإمام ا لبخاري وقد حضرت 1974 الاحتفالات التي أقيمت على شرفه

عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح شيخ المسلمين رضي الله عنه مكتوب : هذا قبر محمد بن اسماعيل البخاري وقد صنَّف من الكتب كذا وكذا (46)

وكذلك على قبور علماء بخاري أسماؤهم وأسماء تصانيفهم وكنت قيَّدتُ من ذلك كثيرًا وضاع مني في جملة ما ضاع لي لما سلبني كُفَّار الهند في البحر !!

ثم سافرنا من بخاري قاصدين معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طَرْمَشِيرين، وسنذكره، فمررنا على نَخْشَب (47) البلدة التي ينسب إليها الشيخ أبو تراب النخشبي (48)، وهي صغيرة تحفّ بها البساتين والمياه، ونزلنا بخارجها بدارٍ لأميرها، وكان عندي جارية قد || قاربت الولادة، وكنت أردتّ حملها إلى سمرقند لتلد بها فاتفق أنها كانت في المحمل فوضع المحمل على الجمل، وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم، والزادُ وغيره من أسبابي، وأقمت أنا حتى ارتحل نهارًا مع بعض من معي، فسلكوا طريقًا وسلكت طريقًا سواها فوصلنا عشية النهار إلى محلة السلطان المذكور وقد جُعْنا ونزلنا على بعد من السوق واشترى بعض أصحابنا ما سدَّ جوعتنا وأعارنا بعض التجار خباءً بتنا به تلك الليلة. 29/3

ومضى أصحابنا من الغد في البحث عن الجمال وباقي الأصحاب فوجدوهم عشيًا وجاءوا بهم وكان السلطان غائبًا عن المحلة في الصيد فاجتمعت بنائبه الأمير تَقْبُغَا، فأنزلني بقرب مسجده وأعطاني || خرقةً وهي شبه الخباء، وقد ذكرنا صفتها في ما تقدم، فجعلت 30/3

(46) يوجد ضريح الإمام البخاري باجماع الذين ترجموا له في قرية خَرْتَنْك القريبة من سمرقند وهي تبعد عن بخارى بسبعة أيام على ذلك العهد على ما نقرأه في ابن فضلان، وهكذا فقد حصل لابن بطوطة سهو واضح في تحديد موقع ضريح الامام البخاري... وقد وقفنا على اللوحة الجديدة التي ركبت على قبره وهي تحمل تاريخ "سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية"
ونقول : الجديدة لأن اللوحة القديمة التي تحدث عنها ابن بطوطة كانت تحمل اسم الإمام البخاري كما تحمل أسماء تئاليفه الأخرى غير الجامع الصحيح...

(47) نَخْشب أو نسف التي ينتسب إليها المفسر الشهير، وتقع على بعد 100 كلم جنوب شرقي بخارى على المحطة الرئيسية في الطريق القديم الذاهب إلى ترمذ وبلخ، وقد سميت كارشي (Qarshi) التي تعنى بالمغولية قصر أخذًا من القصر الذي بناه كبكخان الذي عوضه ترمَشيرين، كانت قد اختيرت منذ أيام جنكيز خان كما قلنا عام 617=1220 لتكون محل إقامته في الصَيف، وقد شيّد بها السلاطين من آل جغتاي كِبك (KEBEK) 1318-1326، وكاركان 744-747 = 1343-1346 عددًا من القصور...

(48) النخشبي أو (النسفي) أبو تراب عسْكَر بن الحسين أحد المتصوفة القدامى الذين يناصرون الطريقة الخراسانية يذكر أنه حج أربعين مرة، وقد أدركه أجله عام 245 = 859 وهو في طريقه إلى مكة. الإصفهاني : حلية الأولياء القاهرة 1938 ج 12 ص 45-51 السُّلَمي : طبقات الصوفية – لندن 1960-136-40 – حول الخباء المذكور ويعني خيمة صغيرة راجع الحديث عن سلطان بركي عندما كان ابن بطوطة في انطاليا أو (الاناضول). 2/299-300 تعليق 85.

الجارية في تلك الخرقة فولدت تلك الليلة مولودًا وأخبروني أنه ولد ذكر ولم يكن كذلك، فلما كان بعد العقيقة أخبرني بعض الأصحاب أن المولود بنت، فاستحضرت الجواري، فسألتهن، فأخبرنني بذلك، وكانت هذه البنت مولودةً في طالع سعد، فرأيت كل ما يسرني ويرضيني منذ وُلدت وتوفيت بعد وصولي إلى الهند بشهرين، وسيذكر ذلك، واجتمعت بهذه المحلة بالشيخ الفقيه العابد مولانا حسام الدين الياغي بالياء آخر الحروف والغين المعجمة ومعناه بالتركية الثائر وهو من أهل أُطرار، وبالشيخ حسن صهر السلطان ■ . 31/3

ذكر سلطان ما وراء النهر

وهو السلطان المعظم علاء الدين طَرْمَشِيرين (49)، وضبط اسمه بفتح الطاء المهمل وسكون الراء وفتح الميم وكسر الشين المعجم وياء مد وراء مكسور وياء مد ثانية ونون، وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ضخم المملكة شديد القوة، عادل الحكم، وبلاده متوسطة بين أربعة من ملوك الدنيا الكبار، وهم ملك الصين، وملك الهند، وملك العراق، والملك أوزبك، وكلهم يهادونه ويعظمونه ويكرمونه، وولي الملك بعد أخيه الجَكَاطَيْ (50)، وضبط اسمه بفتح الجيم المعقودة والكاف والطاء المهمل وسكون الياء، وكان الجكاطَيْ هذا كافرًا، وولي بعد أخيه الأكبر كَبَك (51) وكان كبك هذا كافرًا أيضا لكنه كان عادل الحكم منصفًا للمظلومين يُكرم المسلمين ويعظمهم ■ . 32/3

حكاية [الملك كَبَك والواعظ]

يذكر أن هذا الملك كَبَك تكلم يومًا مع الفقيه الواعظ المذكِّر بدر الدين الميداني، فقال له : أنت تقول إن الله ذكر كلَّ شيء في كتابه العزيز ؟ قال : نعم، فقال : أين إسمي فيه؟ فقال :

---

(49) طَرْمَشِيرين 724-734=1324-1334 كان هو الابن السادس وكان الخلفَ السابع للملك دُوَا (Duwa) 681-706 = 1282-1306 وهو الذي استطاع أن ينجح، في الجملة، في إقرار الأمبراطورية المغولية لآل جغطاي، من الإيلْخانيين في فارس وفي يُوَان في الصين. طرْمَشِرين كان من أوائل السلاطين الذين اقتنعوا بالإسلام واعتنقوه وحسن إسلامهم.

(50) الجكطي : IL JIGADAI (جغطاي) 726=1326 الابن الرابع لدُوًا بينه وبين طَرْمَشِيرين توجد كذلك المملكة السريعة الزوال لدُوَاتيمور 726=1326، هؤلاء السلاطين كانوا بوذيين وفي أثناء حكم إيلجيگداي قام الدومينيكان بنشر الدعاية الكاثوليكية في آسيا الوسطى...

(51) تولّى كبك من عام 709 = 1309 إلى 726 = 1326، وهذا الفرق بين التاريخين ملأه اخُ آخر إسَنْ بُغَا. كان هو الأول في سلالته مركز مملكته فيما وراء النهر باختياره مدينة (نخشب) مقرًا لاقامته. من جهة أخرى نذكر أن المؤرخين يؤكدون أنه كان عدلاً منصفا.

– بارتولد : تركستان، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت 1401=1981 صفحة 721.

هو في قوله تعالى : في أي صورة ما شاء ركّبَك (52) ! فأعجبه ذلك ! وقال : يخْشِي، ومعناه بالتركية : جيد فأكرمه إكرامًا كثيراً وزاد في تعظيم المسلمين !!

حكاية [عن عدل كُبَك]

ومن أحكام كُبَك ما ذكر أن امرأة شكت له أحد الأمراء، وذكرت أنها فقيرة ذات أولاد، وكان لها لبن تقوتهم بثمنه فاغتصبه ذلك الأمير وشربه، فقال لها : أنا أوسّطه ! فإن ‖ خرج اللّبن من جوفه مضى لسبيله وإلا وسَّطتك بعده ! فقالت المرأة قد حلّلتُه ولا أطلبه بشيء ! فأمر به فوسّط فخرج اللبن من بطنه ! 33/3

ولنعد لذكر السلطان طَرْمشيرين، ولما أقمت بالمحلة، وهم يسمونها الأرْدُو، أيامًا ذهبت يوما لصلاة الصبح بالمسجد على عادتي، فلما صليت ذَكر لي بعض الناس أن السلطان بالمسجد، فلما قام عن مُصلاه تقدمت للسلام عليه، وقام الشيخ حسن والفقيه حسام الدين الياغي وأعلماه بحالي وقدومي منذ أيام فقال لي بالتركية : خُشْ مِيسَن يَخْشِي مِيسن :قُطْلُو إيوسَن، ومعنى خُشْ مِيسن في عافية أنت، ومعنى يَخْشي ميسن : جيّد أنت. ومعنى قُطْلُو إيوسن : مبارك قدومك ! وكان عليه في ذلك الحين ‖ قَبَا قُدْسي أخضر وعلى رأسه شاشية مثله، ثم انصرف إلى مجلسه راجلاً والناس يتعرَّضون له للشكايات فيقف لكل مشتكٍ منهم صغيرًا أو كبيرًا ذكرًا أو أنثى. 34/3

ثم بعث عني فوصلت إليه وهو في خرقة، والناس خارجها ميمنة وميسرة، والأمراء منهم على الكراسي وأصحابهم وقوف على رؤوسهم وبين أيديهم، وسائر الجند قد جلسوا صفوفًا وأمام كل واحد منهم سلاحُه، وهم أهل النوبة، يقعدون هنالك إلى العصر، ويأتي آخرون فيقعدون إلى آخر الليل، وقد صنعت هنالك سقائف من ثياب القطن يكونون بها.

ولما دخلت إلى الملك بداخل الخرقة وجدته جالسًا على كرسي شبه المنبر مكسو بالحرير المزركش بالذهب ‖ وداخل الخرقة ملبَّس بثياب الحرير المذهب، والتاج المرصع بالجوهر واليواقيت معلَّق فوق رأس السلطان، بينه وبين رأسه قدر ذراع (53)، والأمراء الكبار على الكراسي عن يمينه ويساره، وأولاد الكلوك بأيديهم المَذابّ بين يديه، وعند باب الخرقة النائب 35/3

---

(52) السورة 82 الآية 8 – وعلى ذكر كبك أقول : حضرتُ مجلسًا سأل فيه أحدهم : وأين نجد ذكر (كُوكا)؟ فأجابوه : وتركوك قائما !!

(53) أخذ الملوك يتبارون في ثِقل تيجانهم المرصَّعة حتى لأصبح التاج عبْئاً على حامله! ومن هنا اتخذوا له معلاقا في السقف يسامتُ الكرسي الذي يجلس عليه السلطان ! الكُلوك : لقب للأمراء من سلالة السلطان.

والوزير والحاجب، وصاحب العلامة (54) وهم يسمونه آل طَمْغَى، وآل بفتح الهمزة : معناه الأحمر، وطَمْغَى بفتح الطاء المهمل وسكون الميم والغين المعجم المفتوح، ومعناه العلامة.

وقام إليَّ أربعتهم حين دخولي، ودخلوا معي فسلمت عليه وسألني، وصاحبٌ يترجم بيني وبينه، وعن مكة والمدينة والقدس شرفها الله وعن مدينة الخليل عليه السلام وعن دمشق ومصر والملك الناصر عن العراقَيْن وملكهما وبلاد الاعاجم، ثم أذّن المؤذن بالظهر || 36/3 فانصرفنا وكنا نحضر معه الصلوات، وذلك أيام البرد الشديد المهلك، فكان لا يترك صلاة الصبح والعشاء في الجماعة ويقعد للذكر بالتركية بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ويأتي إليه كلُّ مَن في المسجد فيصافحه ويشد بيده على يده، وكذلك يفعلون في صلاة العصر، وكان إذا أوتي بهديةٍ من زبيب أو تمر، والتمر عزيز عندهم وهم يتبرّكون به، يُعطي منها بيده لكلّ من في المسجد.

حكاية [فضائل السلطان طَرْمَشيرين]

ومن فضائل هذا الملك أنه حضرت صلاة العصر يومًا ولم يحضر السلطان فجاء أحد 37/3 فتيانه بسجادةٍ ووضعها قبالة المحراب حيث جرت عادته أن يصلي، وقال للإمام حسام || الدين الياغي : إن مولانا يريد أن تنتظره بالصلاة قليلاً ريثما يتوضأ فقام الامام المذكور، وقال : نمَاز، ومعناه الصلاة، بِرأي خُذَا أو برأي طَرْمَشِيرين ؟ أي الصَّلاة لله أو لطرمشيرين؟ ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة وجاء السلطان وقد صلّي منها ركْعتان، فصلى الركعتين الآخرتين حيث انتهى به القيام، وذلك في الموضع الذي تكون به أنْعِلة الناس عند باب المسجد، وقضى ما فاته وقام إلى الإمام ليصافحه وهو يضحك وجلس قبالة المحراب والشيخ الإمام إلى جانبه وأنا إلى جانب الإمام فقال لي : إذا مشيت إلى بلادك فحدّث أنَّ فقيرًا من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك !!

وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كلِّ جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر 38/3 وعن الظلم || ويُغلّظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكي، وكان لا يقبل من عطاء السُّلطان شيئاً ولم يأكل قط من طعامه ولا لَبِس من ثيابه.

(54) (صاحبة العلامة) هذا تعبير استعمل في الحديث عن المراسيم الملكية والمعاهدات الدولية في الغرب الإسلامي، وكان هذا وظيفًا ساميًا في الحكومة يعني الذي يتولى كتابة العلامة أو التوقيع للملك، وهو بمثابة حارس الأختام وقد سجل التاريخ عددًا من الأسماء البارزة التي تولت هذه الوظيفة في الدولة – يراجع التاريخ الدبلوماسي للمغرب تأليف د. التازي المجلد الأول صفحة 300 وما بعدها ...

وكان هذا الشيخ من عباد الله الصالحين وكنت كثيرًا ما أرى عليه قباء قطن مبطنًا بالقطن، محشوًا به وقد بَلَى وتمزَّق، وعلى رأسه قلنسوّة لبد يساوي مثلها قيراطاً (55) ولا عمامة عليه، فقلت له في بعض الأيام : ياسيدي ما هذا القباء الذي أنت لابسه إنه ليس يجيد، فقال لي : ياولدي ليس هذا القباء لي وانما لابنتي فرغبت منه أن يأخذ بعض ثيابي فقال : عاهدت الله منذ خمسين سنة، أن لا أقبل من أحدٍ شيئاً ولو كنت اقبل من أحد لقبلت منك !

39/3 ولما عزمت على السَّفر بعد ‖ مقامي عند هذا السلطان أربعة وخمسين يومًا أعطاني السلطان سبعمائة دينار دراهم وفروة سمّور تساوي مائة دينار طلبتها منه لأجل البرد ولما ذكرتها له، أخذ أكمامي وجعل يُقبّلها بيده تواضعًا منه وفضلاً وحسن خلق، وأعطاني فرسين وجَمَلين، ولما أردتُ وداعه أدركته في أثناء طريقه إلى متصيّده، وكان اليوم شديد البرد جداً، فوالله ما قدرت على أن أنطق بكلمةٍ لشدة البرد ! ففهم ذلك، وضحِك وأعطاني يده وانصرفت.

وبعد سنتين من وصولي إلى أرض الهند بلّغنا الخبر بأن الملأ من قومه وأمرائه اجتمعوا بأقصى بلاده المجاورة للصين، وهناك عساكره وبايعوا ابن عمّ له اسمه بُوزُن أغلي (56) وكلُّ مَن كان من أبناء الملوك فهم يسمُّونه أُغْلِي (57)، بضم الهمزة وسكون الغين ‖ 40/3 المعجمة وكسر اللام، وبُوزُن بضم الباء الموحدة وضم الزاي، وكان مسلمًا إلا أنه فاسد الدِّين سيء السيرة، وسبب بيعتهم له وخلعهم لطَرمشيرين، أن طرمشيرين خالف أحكام جدهم تِنْكِيز اللعين الذي خرب بلاد الإسلام، وقد تقدّم ذكره، وكان تنكيز ألّف كتابًا في أحكامه

---

(55) القِراط أو (CARAT) هو واحد من 24 جزءًا من قيمة المثقال الذهبي أو واحد من 16 من قيمة الدرهم الفضي. هذا ومعنى يقبلها بيده يعني يمس كمي بيده ثم يقبلها ! وهذا عرف شائع ...

(56) إسلامُ هذه الإمبراطورية وتمركزها فيما وراء النهر الذي كان يهدف لتحقيق الاستفادة من الانتاج الزراعي والصناعي، كذلك ومن الازدهار التجاري لبلاد تضرب في جذور تاريخ الحضارة، كل هذا ازعج رؤساء بعض القبائل التي ترجع لأصول شرقية في الإمبراطورية، ومن هنا كان رد الفعل الذي تجلّى عام 734=1334 مع بُوزُن ابن دُوا تيمور الذي هو أخ آخر لطرْمَشِيرين. والذي تُوجد له عُملة تحمل اسمه بتاريخ 734=1334. هذا وبخلع طَرْمَشيرين دخلت البلاد في مرحلة الفوضى، وليس من البعيد أن نجد ممالك تتكون، وأن نرى تجدد الاضطرابات التي يتحدث عنها عام 735=1335 ...

(57) كلمة أوغلوا مضاف اليها حرف إ. تعني ابن فلان هذا وان افادة ابن بطوطة تتضافر المصادر الفارسية على صحتها .Gibb III P. 560 Note 76

يسمى اليَسَاق (58)، بفتح الياء آخر الحروف والسين المهمل وآخره قاف، وعندهم أنّه من خالف أحكام هذا الكتاب فخَلْعُه واجب، ومن جملة أحكامه أنهم يجتمعون يومًا في السنة يسمونه الطُّوي (59) ومعناه يوم الضيافة، ويأتي أولاد تنكيز والأمراء من أطراف البلاد ويحضر الخواتين وكبار الأجناد، وإن كان سلطانهم قد غير شيئًا من تلك الأحكام، يقوم إليه كبراؤهم فيقولون له : غيَّرت كذا وغيرت كذا ‖ وفعلت كذا وقد وجب خلعك، ويأخذون بيده ويقيمونه عن سرير الملك ويقعدون غيره من أبناء تِنْكِيز، وان كان أحد الأمراء الكبار أذنب ذنبًا في بلاده حكموا عليه بما يستحقه !!

41/3

وكان السلطان طَرْمَشِيرين قد أبطل حكم هذا اليوم ومحا رسمه فأنكروه عليه أشد الانكار، وأنكروا عليه أيضا كونه أقام أربع سنين فيما يلي خراسان من بلاده، ولم يصل إلى الجهة التي توالي الصين، والعادة أنّ الملك يقصد تلك الجهة في كلِّ سنة فيختبر أحوالها وحال الجند بها لأن أصل ملكهم منها، ودار الملك هي مدينة المالِق (60)، فلما بايعوا بُوزُن أتى في عسكر عظيم وخاف طَرْمَشِيرين على نفسه من أمرائه ولم يأمنهم فركب في ‖ خمسة عشر فارسًا يريد بلاد غَزْنَة، وهي من عمالته، وواليها كبير أمرائه وصاحب سرّه بُرُنطيه، وهذا الأمير محبّ في الاسلام والمسلمين قد عمر في عمالته نحو أربعين زاوية فيها الطعام للوارد والصادر وتحت يده العساكر العظيمة ولم أر قط فيمن رأيته من الأدميّين بجميع بلاد الدنيا أعظم خلقةً منه ! فلما عبر نهر جيحون، وقصد طريق بَلَخ رآه بعض الأتراك من أصحاب يَنْقِي

42/3

(58) حول جمع وتنسيق اليساق الذي وضعه جنكيز خان ينبغي مراجعة المصادر التي اهتمت بالموضوع، واذكر في صدرها تاليف بارتولد بعنوان تركستان (مصدر سابق) ونحن نعلم أن المغول لم يعرفوا الكتابة قبل عهد جنكيز خان، وهم عندما اتخذوا الأبجدية الأويغورية لتسجيل لغتهم كان هدفهم الأول هو تدوين تعاليم جنكيز خان (أي العرف والتقاليد الشعبية التي اكسبها جنكيز خان صبغة القانون) والتي كان احترامها مفروضا ليس على جميع سكان الامبراطورية فحسب بل وعلى جميع الخانات انفسهم وبهذا برزت إلى الوجود "الياسا الكبرى" لجنكيز خان، وقد نقل الزَّياني في كتابه "الترجمانة الكبرى" عن ابن بطوطة ما يتعلق باليَسَاق ولو انه قال انه نقله عن مخطوطة بمكة وقد تحرف عنده أسم ابن جزي إلى ابن جرير.!! - بارتولد : تركستان ص 113-114 - الترجمانة ص 245.

(59) الطُّوى (TOY) (مأدبة) ولكن الكلمة مستعملة هنا بمعنى الجمع العام. لكن الكلمتين معا تعنيان الاجتماع الرسمي للأعيان المغول. يلاحظ اهتمام ابن بطوطة بتسجيل هذه اللقطات الحضارية !

(60) المالق، تقدم أن مدينة المالق تقع في وادي إيلي شمال غرب الموقع الحالي لقولجا Kulja. III 17-23، هذا وان أولوس (Ulus) جغتاي كانت فيما وراء النهر، الإقليم الشرقي المركزي في المالق وكانت تدعى موغوليستان أوخاطا.

ابن أخيه كَبَك (61)، وكان السلطان طَرَمْشيرين المذكور قتل أخاه كَبَك المذكور وبقى ابنه يَنْقِي ببَلْخ فلما أعلمه التركي بخبره، قال : ما فرَّ إلا لأمرٍ حدث عليه، فركب في أصحابه وقبض عليه وسجنه، ووصل بوزُن إلى سمرقند وبخارى فبايعه الناس وجاءه ‖ يَنْقِي بطَرَمْشيرين، فيذكر أنه لما وصل إلى نسف بخارج سمرقند قتل هنالك ودفن بها (62)، وخدم تربته الشيخ شمس الدين كَرْدَن بُريدًا، وقيل : إنه لم يقتل كما سنذكره، وكَرْدن بكاف معقودة وراء مسكن ودال مهمل مفتوح ونون، معناه المقطوع، ويسمى بذلك لضربةٍ كانت في عنقه، وقد رأيته بأرض الهند ويقع ذكره فيما بعد. 43/3

ولما ملك بُوزُن هرب ابن السلطان طَرَمْشيرين وهو بشَاي أُغْلُ واخته وزوجها فيروز إلى ملك الهند فعظَّمهم وأنزلهم منزلة علية بسبب ما كان بينه وبين طَرَمْشيرين من الود والمكاتبة والمهاداة، وكان يخاطبه بالأخ، ثم بعد ذلك أتى رجل من أرض السند وادّعى ‖ أنه هو طَرَمْشيرين واختلف الناس فيه، فسمع بذلك عماد الملك سَرْتيز غلام ملك الهند، ووالي بلاد السند، ويسمّى مَلِك عَرْض، وهو الذي تُعرض بين يديه عساكر الهند وإليه أمرها، ومقرّه بمُلتان قاعدة السند، فبعث إليه بعض الأتراك العارفين به، فعادوا إليه وأخبروه أنه هو طَرَمَشيرين حقا، فأمر له بالسَّراجة، وهي أفْراج، فضرب خارج المدينة ورتَّب له ما يرتب لمثله وخرج لاستقباله، وترجّل له وسلَّم عليه وأتى في خدمته إلى السّراجة، فدخلها راكبًا كعادة الملوك ولم يشك أحد أنَّه هو وبعث إلى ملك الهند بخبره فبعث إليه الأمراء يستقبلونه بالضيافات، وكان في خدمة ملك الهند حكيم ممن خدم طَرَمَشيرين ‖ فيما تقدم، وهو كبير الحكماء بالهند، فقال للملك : أنا أتوجه إليه وأعرف حقيقة أمره، فإني كنت عالجت له دمَّلاً تحت ركبته وبقى أثره، وبه أعرفه فأتى إليه ذلك الحكيم واستقبله مع الأمراء ودخل عليه ولازمه لسابقته وأخذ يغمز رجليه وكشف عن الأثر فشتمه، وقال له : تريد أن تنظر إلى الدمّل الذي عالجتَه، هاهو ذا، وأراه أثره فتحقق أنه هو، وعاد إلى ملك الهند فأعلمه بذلك. 44/3 45/3

ثم إن الوزير خواجه جَهَان أحمد بن إياس، وكبير الأمراء قُطْلُوخان (63) معلم

---

(61) حسب مصنّف وضعه مجهول كان يعيش ببلاط إسكندر حفيد تيمور، فإن كَبَك توفي وفاة طبيعية... هذا ولا يعرف شيء عن يَنْقِي... اللهم اذا كان يعني تشينكشى (Tchingshi) خلف بُزن 1334-1338 = 734-738 المعروف على العموم كابنٍ لابُجين (EBÜGEN) الابن السابع لدُوًا ولكن أحيانا يعرف كابن لِكَبَك...

(62) يظهر ان ابن بطوطة لا يعرف أن نَسَف هذه هي نفس نَخْشَب سالفة الذكر، هذا وحسب بعض المصادر كذلك فان طَرَمَشيرين توفي في هذه المدينة... – حَول أفراگ انظر كذلك، II، 369 تعليق 22

(63) سنعرف المزيد عن هذه الشخصيات في السفر الثاني من الرحلة إن شاء الله.

السلطان أيام صغره دَخَلاً على ملك الهند، وقالا له : يا خُوند عالَم، هذا السلطان طَرْمَشيرين قد وصل وصح أنه هو، وهاهنا من قومه نحو أربعين ألفا (64) وولدُه وصهره أرأيت إن اجتمعوا عليه ما يكون من العمل ؟! فوقع هذا الكلام بموقع منه عظيم، وأمر أن يوتي بطَرْمَشيرين معجّلا، فلما دخل عليه أُمر بالخدمة كسائر الواردين ولم يعظم، وقال له السلطان : يا مَاذَر كاني، وهي شتمة قبيحة، كيف تكذب وتقول إنك طَرْمَشيرين وطَرْمِشيرين قد قتل، وهذا خادم تربته عندنا، والله لولا المعرة لقتلتك ! ولكن أعطوه خمسة آلاف دينار وأذهبوا به إلى دار بشاي أغلِ واخته ولدَيْ طَرْمَشيرين، وقولوا لهم إن هذا الكاذب يزعم أنه والدكم فدخل عليهم فعرفوه وبات عندهم، والحرَّاس يحرسونه، وأخرج بالغد وخافوا أن يهلكوا بسببه فأنكروه ونُفِي عن بلاد الهند والسند، فسلك طريق كِيج ومَكران، وأهل البلاد يكرمونه ويضيفونه ويهادونه، ووصل إلى شيراز فأكرمه سلطانها أبو إسحاق وأجرى له كفايته.

46/3

47/3

ولما دخلت عند وصولي من الهند إلى مدينة شيراز ذكر لي أنه باقٍ بها وأردت لقاءه ولم أفعل لأنه كان في دارٍ لا يدخل إليه أحد إلا بإذنٍ من السلطان أبي إسحاق فخفت ممَّا يُتوقَّع بسبب ذلك ثم ندمت على عدم لقائه !!

رجع الحديث إلى بُوزُن

وذلك أنه لما ملك ضيّق على المُسلمين وظلَم الرعية وأباح للنَّصارى واليهود عمارةَ كنائسهم، فضجَّ المسلمون من ذلك وتربصوا به الدوائر واتصل خبره بخليل بن السلطان اليَسَوُر المهزوم على خراسان (65) فقصد ملك هراة وهو السلطان حسين بن السلطان غياث

48/3

(64) يذكر أن طَرْمَشيرين بعث بعدد من الرؤساء المغول مع طائفة من اتباعهم للدخول في خدمة السلطان محمد بن تغلق، وهناك رواية تقول ان طرمشيرين اجتاح الهند وفرض على السلطان محمد تغلق اتفاقية سلام مشينة !

(65) ينحدر (اليَسَوُور) (YASAVUR) من جَغَتَاي، لم يكن أبدًا سلطانًا، إنضم إلى الصراع بين آل جغتَاي وبين الإيلْخان، اجتاح خُراسان في مرتين متواليتين عام 714 = 1314 وعام 719 = 1319 وقتل عام 720 = 1320. ولم يعرف له غير ولد وحيد قازْغان الذي ملك من عام 743=1343 إلى عام 746=1346 – على العكس من هذا فإن خليل المذكور هنا معروف على أنه درويش تركي، ويزعم أنه أحد المنحدرين من جنكيز خان، ورئيس روحي لبهاء الدين النقشبندي 718-791=1318-1389 مؤسس الطريقة الصوفية التي تحمل اسمه. هذا وتوجد قطع من العملة التي ضربت باسمه بتاريخ 742-744 = 1342 و 1344. كان عليه أن يظهر أثناء الفراغ السياسي الموجود فيما وراء النهر بعد وفاة تشينگسي (TCHENGSHI) وانسحاب أخيه يسّن (YISEN) تيمور 738-740=1338-1340 في المالق – بارتولد : تركستان ص 595 تعليق 235.

الدين الغوري (66) فأعلمه بما كان في نفسه وسأل منه الإعانة بالعساكر والمال على أن يشاطره مُلكه إذا استقام له، فبعث معه الملك حسين عسكرًا عظيمًا، وبين هراة والتّرمذ تسعة أيام فلما سمع أمراء الإسلام بقدوم خليل تلقّوه بالسمع والطاعة والرغبة في جهاد العدو.

وكان (67) أولّ قادم عليه علاء الملك خُذَاوَنْد زاده صاحب تِرمِذ (68)، وهو أمير كبير شريف حسيني النسب، فأتاه في أربعة آلاف من المسلمين، فسرَّ به وولاّه وزارته وفوّض إليه أمره وكان من الأبطال وجاء الأمراء من كل ناحيةٍ واجتمعوا على خليل والتقى مع ‖ بُوزُون، فمالت العساكر إلى خليل واسلموا بُوزون وأتوا به أسيرًا فقتله خَنْقًا بأوتار القِسّي، وتلك عادة لهم أنهم لا يقتلون من كان من أبناء الملك إلا خَنْقًا ! واستقام الملك لخليل. 49/3

وعرض عساكره بسَمرقند فكانوا ثمانين ألفًا عليهم وعلى خيلهم الدروع (69)، فصرف العسكر الذي جاء به من هراة، وقصد بلاد المالق، فقدم التترُ على أنفسهم واحدًا منهم، ولقوه على مسيرة ثلاثٍ من المالق بمقربة من أُطَرَاز (70) وحمى القتال وصبر الفريقان فحمل الأمير خُذَاوند زاده وزيرُه في عشرين ألفًا من المسلمين حملةً لم يثبت لها التُّتر، فانهزموا واشتدَّ فيهم القتل، وأقام خليل بالمالق ثلاثا وخرج إلى استيصال مَن بقى من التتر ‖ ، فأذعنوا له بالطاعة وجاز إلى تخوم الخطا والصين، وفتح مدينة قَرَاقُرم ومدينة بِش بالِغ (71)، وبعث إليه سلطان الخطا بالعساكر، ثم وقع بينهما الصلح وعظم أمْر خليل وهابته الملوك وأظهر العدل ورتب العساكر بالمالق وترك بها وزيره خُذا وند زاده، وانصرف إلى سمر قند وبخاري. 50/3

---

(66) سنعرف المزيد عن غياث الدين الغوري...

(67) يتعلق الأمر على ما يظهر بالحلف المبرم بين الرؤساء المسلمين المغول يعني رؤساء ما وراء النهر ضد المغول الكفار في الشرق.

(68) كان الأشراف المنحدرون من الأمير محمد صاحب ترمذ يتمتّعون بالتّقدير الكبير في المنطقة ابتداء من القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي، ولكون محمد خوارزمشاه يوجد في صراع مع الخليفة العباسي الناصر، فقد عيَّن أحَد المعارضين للخلافة في شخص أحد الأشراف، المعروف فيما بعد تحت اسم خذا وانده زاده – الشخص المذكور من قبل ابن بطوطة كأمير كبير يظهر أنه ينحدر من هذه الأسرة – عن صراع خُوارزم مع الناصر انظر تاريخ ابن الأثير الجزري وابن واصل.

(69) حول استعمال الدّروع بالنسبة للخيول والرحال عند الجيش المغولي انظر بلانو كاربيني Plano Carpini وقد وقفت في عدد من المتاحف الشرقية على أنواع من دروع الخيول.

(70) أُطَراز هكذا في النص (بالزاي) ويظهر أنه تحريف لكلمة أطرار (بالراء) وهناك مدينة تحمل، إسم طرز على نهر تلاس TALAS على بعد 150 ميل شرق أطرار ونحو 300 ميل غرب المالق.

(71) قَراقُرم العاصمة الأولى للمغول من (1230 إلى 1260) راح إليها جان دوبلان كاربان J.P. Carpin سفيراً عام 1246 لدى الخان الأعظم من البابا اينوصانت IV حيث ترك لنا مذكرات سفارته وكانت الأقدم مما وصلنا عن التتر – Bishbaligh العاصمة الحالية لسينكيانغ...

ثم إن الترك أرادوا الفتنة وسعوا إلى خليل بوزيره المذكور وزعموا أنه يريد الثورة، ويقول : إنه أحق بالملك لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم وكرمِه وشجاعته ! فبعث واليًا إلى المالق عوضا عنه وأمره أن يقدم عليه في نَفَر يَسير من أصحابه، فلما قدم عليه قتله عند وصوله من غير تثبت، فكان ذلك سبب خراب ملكِه !

51/3 وكان خليل لما عظم أمره بغى على ‖ صاحب هراة الذي أورثه الملك وجهّزه بالعساكر والمال فكتب إليه أن يخطب في بلاده باسمه، ويضرب الدنانير والدراهم على سكته فغاظ ذلك الملك حُسَيْناً وأنف منه، وأجابه بأقبح جواب فتجهز خليل لقتاله فلم توافقه عساكر الإسلام، ورأوه باغيًا عليه وبلغ خبره إلى الملك حسين فجهز العساكر مع ابن عمه مَلك وَرْنا والتقى الجمعان، فانهزم خليل وأوتي به إلى الملك حُسين أسيرًا فمنّ عليه بالبقاء وجعله في دار، وأعطاه جاريةً وأجرى عليه النفقة، وعلى هذه الحال تركته عنده في أواخر سنة سبع وأربعين عند خروجي من الهند (72).

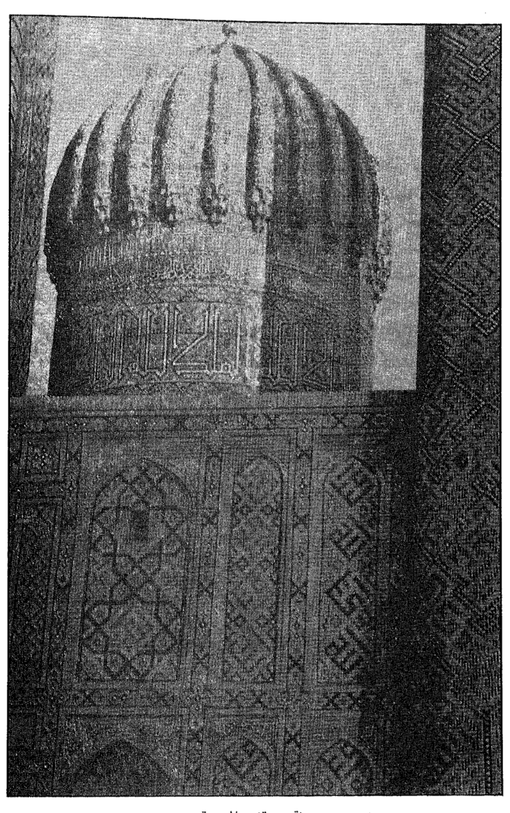
ولنعد إلى ما كنا بسبيله : ولما ودّعت السلطان طَرمشيرين سافرت إلى مدينة سمرقند (73)، وهي ‖ من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالا. مبنية على شاطئ وادٍ يعرف بوادي 52/3 القصّارين عليه النواعير تسقي البساتين، وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتفرج، ولهم عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات.

وكانت على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تُنبِيء عن علوّ هِمَم أهلها، فدثر أكثر ذلك، وكذلك المدينة خرب كثير منها ولا سور لها ولا أبواب عليها، وفي داخلها البساتين.

---

(72) عوض (تركتُه عنده) ينبغي أن نقرأ (بقي عنده) لأنّ ابن بطوطة لم يمرّ على هرات عند عودته عام 1347=747

(73 تقع سمرقند على الشاطئ الغربي لنهر زَرَفْشان في أزبيكستان الحالية - ابن بطوطة التبس عليه هذا النهر بنهر فولون الذي يجري في نَخْشبَ. هدمت المدينة من طرف المغول عام 616=1219 ولم تستعِدْ مكانتها الا في القرن الثامن الهجري = أواخر القرن الرابع عشر الميلادي عندما اتخذ منها تيمور عاصمةً له وجاء اليها بالعمال والفنانين والعلماء... وقد استمتعنا بزيارتها بمناسبة الاحتفالات المقامة على شرف الامام البخاري في غشت 1974.



مدينة سمرقند : المدرسة

وأهلُ سمرقند لهم مكارم أخلاق ومحبةٌ في الغريب وهم خيرٌ من أهل بخارى، وبخارج سمرقند قبر قُثَم ابن العباس (74) بن عبد المطلب رضي الله عن العباس وعن ابنه وهو المستشهد حين فتحها ▒، ويخرج أهل سمرقند كلّ ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته، والتتر يأتون لزيارته، وينذرون له النذور العظيمة ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير فيُصرَّف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك وعليه قبة قائمة على أربع أرجل، ومع كلِّ رجل ساريتان من الرخام منها الخُضْر والسُّود والبيض والحمر، وحيطان القبة بالرخام المجزَّع المنقوش بالذهب، وسقفها مصنوع بالرصاص، وعلى القبة خشب الآبنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة، وفرش القبة بالصوف والقطن (75) وخارجها نهر كبير يشقّ الزّاوية التي هنالك وعلى حافّتيْه الأشجار ودوالي العنب والياسمين، 53/3

وبالزاوية مساكن▒ يسكنها الوارد والصادر، ولم يغيّر التتر أيام كفرهم شيئا من حال هذا الموضع المبارك بل كانوا يتبرّكون به لما يرون له من الآيات، وكان الناظر (76) في كل حالِ هذا الضريح المبارك وما يليه. حين نزولنا به، الأمير غياث الدّين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف بن الخليفة المستنصر بالله العباسي، وقدَّمه لذلك السلطان طَرْمَشيرين لما قدم عليه من العراق وهو الآن عند ملك الهند، وسيأتي ذكره. 54/3

ولقيتُ بسمرقند قاضيَها المسمى عندهم صدر الجهان (77)، وهو من الفضلاء ذوي المكارم، وسافر إلى بلاد الهند بعد سفري إليها فأدركتْه منيته بمدنية مُلْتان قاعدة بلاد السند▒ 55/3

(74)استشهد قُثم عام 56 هـ = 676 أثناء حصار المدينة حيث ورد صحبة سعيد بن عثمان وانتشر الإسلام بسببه في آسيا الوسطى وما وراء النهر. ويقع قبره في المجموعة المعمارية التي تحمل اسم شاه زنده : (الامير الحيّ) التي تعتبر من أهم المجموعات الأثرية في آسيا الوسطى، ولكن الوصف اليوم يَختلف كثيرًا عما كان أيام ابن بطوطة ... إن الضريح اليوم – كما وقفنا عليه – يقع في بيت مربع حيث طليت صفائح الخزف المنقوشة بالميناء الفيروزيّ اللون، لقد نقشت على القبر هذه الكلمات : هذا مرقد أمير المومنين قُثم بن العباس رضي الله عنه ابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيئين ورسول رب العالمين عليه السلام...

هذا ويفترض بعض المعلّقين أن الاهتمام بهذا الضريح لم يتم إلاّ أيام العباسيين لانهم يجدون في ذلك احياء لذكرهم جدّهم العباس – بارتولد : تركستان : ص 182-183.

(75) ليس القصد إلى تفريش الأرض ولكن كذلك إلى تغطية الجدران وتأثيث الزاوية.

(76) تعتبر وظيفة "الناظر" من الوظائف الهامة في الحكومة المغربية وهي تختص بالنظر في الأوقاف المخصصة لسير المساجد والزوايا وأحيانا لمساعدة بعض المشاريع الاجتماعية وافتداء الأسرى... ويستعمل اللفظ لحد الآن في الإدارة المغربية لهذا الغرض.

(77) سبق أن ذكرنا أن كلمة الصدر ربما كانت في المشرق تعني قاضي القضاة على ما سبق، وصدرالجهان تعني قاضي الدنيا...

حكاية [ملك الهند]

لما مات هذا القاضي بمُلتان كتب صاحب الخبر (78) بأمره إلى السلطان ملك الهند، وأنه قدم برَسم بَابه فأخترم دون ذلك، فلمّا بلغ الخبر إلى الملك أمر أن يُبعث إلى أولاده عدد من آلاف الدنانير، لا أذكره الآن، وأمر أن يعطي لأصحابه ما كان يعطي لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة.

وللك الهند في كل بلدٍ من بلاده صاحب الخبر يكتب له بكل ما يجري في ذلك البلد من الأمور ويمن يرد عليه من الواردين، وإذا أتى الوارد كتبوا من أي البلاد ورد، وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والماكل وجميع شؤونه وتصرفاته، وما يظهر منه من فضيلةٍ أو ضدها فلا يصل الوارد إلى الملك || إلا وهو عارفٌ بجميع حاله فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه! 56/3

وسافرنا من سمرقند فاجتزنا ببلدة نَسَف (79)، وإليها ينسب أبو حفص عمر النسفي (80) مؤلف كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الأربعة (81) رضي الله عنهم. ثم وصلنا إلى مدينة ترْمِذ (82) التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورَة الترمذي (83)، مؤلف الجامع الكبير في السنن، وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق

---

(78) صاحب الخبر يعني المكلف بالإعلام، وقد عرف عهد بني مرين هذه الوظيفة التي نسميها اليوم وزارة الأنباء، وقد كان المكلّف بها في عصر السلطان أبي الحسن عامر بن فتح الله ... وينبغي أن نقف قليلا مع التعبير الجميل لابن بطوطة "برسم بابه" يعني أنه قدم خصيصا من أجله...
– ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن 361/177.

د. التازي : استراتيجية النبأ في المغرب بحث قدم للندوة الدولية التي عقدتها و.م.ع بمناسبة افتتاح مقرها الجديد بالرباط دجنبر 1988 – مجلة الدراسات الاعلامية (مصر) يناير 1989 العلم 1989/4/30

(79) يظهر أن ابن بطوطة يعتقد أن نَخْشَب، و "نَسَف" هما مدينتان مختلفتان، مع أنهما شيء واحد على ما اسلفنا، هذه المدينة التي تقع على الطريق من سمرقند إلى ترْمِذ يمكن أن تكون هي كِش، شَهْرِ سابز الحالية (SHAHR-I-SABZ).

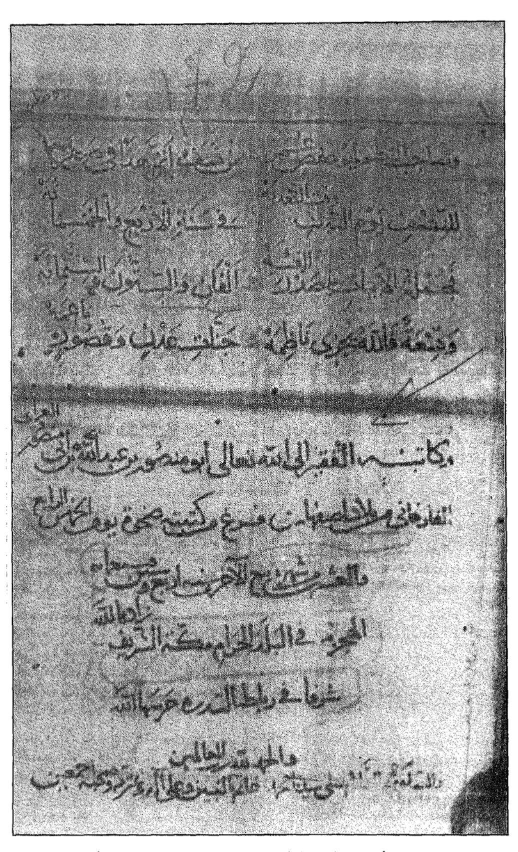
(80) نجم الدين عُمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل النَّسَفي عالم بالفقه والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية، له نحو مائة مصنف، منها منظومة الخلافيات، وهي رجز في الفقه يتألف من 2669 بيت ! وله القيد في علماء سمر قند "عشرون جزءا" والإشعار بالمختار من الأشعار (عشرون جزءا)، كان يلقب بمفتي الثقلين، وهو غير النسفي المفسر عبد الله بن أحمد. أدركه أجله سنة 537=1142.

(81) حصلت على صورة للمنظومة من دار الكتب المصرية، ومن أبياتها العالقة بالذاكرة :

وردّة الزوج طلاق زوجته * وهي لدى الشيخين فسخ عقدته !

(82) مدينة ترمذ (TERMEZ) الحالية على الساحل الشمالي لنهر جيحون لأمودَرْيا عند الحدود الأفغانية مع جيرانها في الشمال، وقد خربت عام 617=1220 من لدن المغول.

(83) يعتبر الترمذي هذا من أئمة الحديث وحُفَّاظه... تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه... وله عدد من المؤلفات زيادة على الجامع، أدركه أجله بترمذ عام 279=892.



الصفحة الأخيرة من كتاب المنظومة في المسائل الخلافية بين الفقهاء الأربعة

تخرقها الأنهار، وبها البساتين الكثيرة والعنب، والسفرجل بها كثير متناهي الطيب، واللحوم بها كثيرة، وكذلك الألبان، وأهلها يغسلون رؤوسهم في الحمام باللَّبَن عوضًا من الطَّفَل (84) ويكون عند كل صاحب الحمام أوعية كبار مملوءة لَبَناً، فإذا دخل الرجل الحمام أخذ منها في إناءٍ صغير فغسل رأسه ‖ وهو يرطب الشعر ويصلقه ! 57/3

وأهل الهند يجعلون في رؤوسهم زيت السِّمسم، ويسمونه السيراج ويغسلون الشعر بعده بالطفل فينعم الجسم ويصقل الشعر ويُطيله وبذلك طالت لحي أهل الهند ومن سكن معهم !

وكانت مدينة التِّرمِذ القديمة مبنيةً على شاطئ جيحون فلما خربها تنكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر، وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان، من كبار المشايخ وكرمائهم، كثير المال والرباع والبساتين ينفق على الوارد والصادر من ماله.

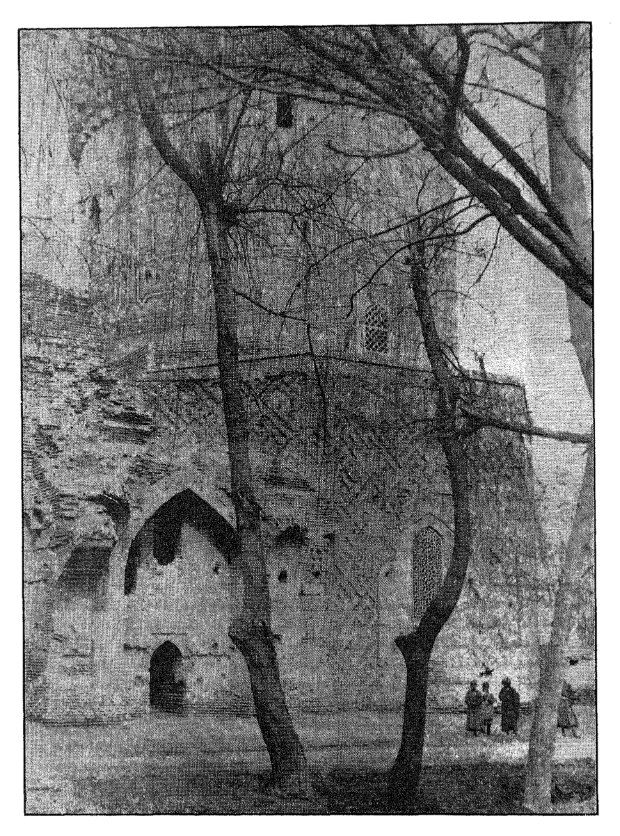
واجتمعتُ قبل وصولي إلى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خُذا وند زاده، وكتب لي إليها بالضيافة، فكانت تُحمل إلينا أيام مقامنا بها في كلّ يوم، ولقيت ‖ أيضا قاضيها قوام الدين وهو متوجه لرؤية السلطان طَرْمَشِيرين وطالبٌ للاذن له في السفر إلى بلاد الهند، وسيأتي ذكر لقائي له بعد ذلك ولأخويه ضياء الدين وبرهان الدين بمُلتان، وسفرنا جميعا إلى الهند، وذكر أخويه الآخرين عماد الدين وسيف الدين، ولقاءي لهما بحضرة ملك الهند، وذِكْرُ ولديه وقدومهما على ملك الهند بعد قتل أبيهما وتزويجهما ببنتي الوزير خواجه جهان وما جرى في ذلك كله إن شاء الله تعالى! 58/3

ثم أجزنا نهر جَيْحون إلى بلاد خراسان، وسرنا بعد انصرافنا من ترمذ وإجازة الوادي يومًا ونصف يوم في صحراء ورمالٍ لا عمارة بها إلى مدينة بلخ (85)، وهي خاوية على

---

(84) الطَّفَل : نوع من الصلصال يستعمل لغسل الرأس على نحوالبيْلون المستعمل في بلاد الشام وخاصة في حلب حيث زودنا الاخوان منه بتشكيلة نظيفة... وإلى البيلون ينتسب الشيخ البيلوني مختصر رحلة ابن بطوطة، وما يزال هذا اللفظ : الطَّفَل مستعملا في شمال المغرب : مسقط رأس ابن بطوطة.
وهنا نرحل مع ابن بطوطة من جنوب روسيا إلى افغانستانَ بعد أن زرنا عددًا من الأمم الأخرى التي تكوّن اليوم تاتارستان وجورجيا وقازاخستان وأوزبيكستان وتركستان الخ.

(85) بلخ هي المدينة التي كان اليونانيون يسمونها (BACTRES) مدينة مهمة جدًا في خراسان الشرقية، الشمال الغربي لأفغانستان الحالية، خربت في مرتين متواليتين أثناء اجتياح المغول ولم يمكنها أن تسترجع مركزها... هذه بلخ التي سماها العرب أم البلاد وقبّة الإسلام...
– خليل الله خليلي سفير أفغانستان في العراق والكويت سابقًا : ابن بطوطة في أفغانستان مطبعة الجامعة، بغداد 1971 تقديم عبد الهادي التازي.



ضريح تيمورلنك

59/3 عروشها غير عامرة، ومن ‖ رآها ظنها عامرة لإتقان بنائها وكانت ضخمةً فسيحة، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم حتى الآن ونقوش مبانيها مُدْخَلَة بأصبغة اللاَّزَوَرْد، والناس ينسبون اللاَّزورد إلى خراسان، وانما يجلب من جبال بَدَخشان التي ينسب إليها الياقوت البدخشي، والعامة يقولون : البَلَخْشِ (86)، وسياتي ذكرها إن شاء الله تعالى، وخرب هذه المدينة تنكيز اللَّعين وهدم من مسْجدها نحو الثُّلث بسبب كنز ذُكِر له أنه تحت سارية من سواريه، وهو من أحسن مساجد الدنيا وأفسحها، ومسجد رباط الفتح بالمغرب (87) يشبهه في عظم سواريه، ومسجد بلخ أجمل منه في سِوَيِ (88) ذلك.

حكاية [أميرة تبني مسجدًا]

60/3 ذكر لي بعض أهل التاريخ أن مسجد بلخ بَنَته امرأة ‖ كان زوجها أميرًا بَلَخ لبني العباس يسمّى داود بن علي (89)، فاتفق أن الخليفة غضب مرةٍ على أهل بلخ لحادثٍ أحدثوه فبعث إليهم من يُغرمهم مغرمًا فادحًا، فلما بلغ إلى بلخ أتى نساؤها وصبيانها إلى تلك المرأة

(86) اللاَّزورد (LAPAS-Lazuli) يوجد في الجانب الأعلى من نهر كُوكتشا Kokcha بدخشان : توجد في أقصى الشمال الشرقي لأفغانستان، هذا وقد أشاد مارْكُويُولو بالأحجار الكريمة التي تشتهر بها المنطقة...

(87) عجيب أنّ ابن بطوطة لم يلفظ باسم (حسّان) الذي ذكره (القرطاس) المكتوب عام 726 ، ويدعى المراكشي أنه لايعلم في مساجد المغرب أكبر منه ناسيًا جامع القرويين بفاس!! هذا ومما يذكر هنا أن الهندسة المغربية جرت على أن طول الصومعة يعادل خمس مرات سعتها ولهذا نقول : لو كملت لكانت أكبر صومعة في الغرب والشرق طبْعاً قبل بناء صومعة جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء!!
J. Caille la ville de RABAT - PARIS 1954 - P. 155-174

د. التازي : جامع القرويين – بيروت 1972 ج. I ص 56.

(88) حدث عام 423=1033 أن وصلت سفارةٌ من بغداد إلى بلاط مسعود الغزنوي للأخبار بوفاة القادر بالله وأخذ البيعة للخليفة القائم بالله ... وكانت مناسبةً ليصحب السفيرُ رَكبَ السلطان لأداء صلاة الجمعة في هذا المسجد الأعظم ... كان أمام السلطان أربعة آلاف من الغلمان ... ومعهم أعيان الحضرة والقضاة والفقهاء ومعهم رسول الخليفة يسير في الموكب ... ولما دخل السلطان المسجد جلس تحت المنبر وكانوا قد كسوه بالديباج الموشى بالذهب ... ،نفهم من هذا أن المسجد كان فسيحًا إلى درجة أنه كان يسع ذلك العدد الحافل إضافة إلى من كان فيه من المؤمنين ...
– تاريخ البيهقي، تعريب الأستاذ يحيى الخشاب، ص 319.

(89) يظهر أن الصَّواب داود بن عبَّاس الذي عاش هذا الحدث الطريف في النصف الأول من القرن الثالث.
خليل الله خليلي : ابن بطوطة في أفغانستان – مطبعة الجامعة – بغداد 1971 ص 22-23 تقديم عبد الهادي التازي .ENCY de l'Islam : BALK.

التي بنت المسجد، وهي زوج أميرهم، وشكوا حالهم وما لحقهم من هذا المغرم، فبعثت إلى الأمير الذي قدم برسم تغْريمهم بثوبٍ لها مرصع بالجواهر قيمته أكثر مما أمِر بتغريمه، فقالت له : اذهبْ بهذا الثوب إلى الخليفة، فقد أعطيتُه صدقةً عن أهل بلخ لضعف حالهم. فذهب به إلى الخليفة وألقى الثوب بين يديه وقصَّ عليه القصة فخجل الخليفة وقال : أتكون المرأة أكرم منا؟ وأمره برفع المغرم عن أهل ‖ بلخ، وبالعودة إليها ليردّ للمرأة ثوبها، واسقط عن أهل بلخ خراج سنة ! 61/3

فعاد الأمير إلى بلخ وأتى منزل المرأة وقص عليها مقالة الخليفة ورد عليها الثوب، فقالت له : أوَقَعَ بصر الخليفة على هذا الثوب؟ قال : نعم، قالت : لا ألبس ثوبًا وقع عليه بصر غير ذي محرم مني !! وأمرت ببيعه، فبني منه المسجد والزاوية ورباط في مقابلته مبنيّ بالكذّان، وهو عامر حتى الآن، وفضل من الثوب مقدار ثلثه فذكر أنها أمرت بدفنه تحت بعض سواري المسجد ليكون هنالك متيسّرًا إن احتيج إليه خُرِّج، فأخبر تنكيز بهذه الحكاية فأمر بهدم سواري المسجد فهدم منها نحو الثلث ولم ‖ يجد شيئًا فترك الباقي على حاله، وبخارج بلخ قبر يذكر أنه قبر عكّاشة بن مِحْصَن الأسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما الذي يدخل الجنة بلا حساب (90)، وعليه زاوية معظمة بها كان نزولنا، وبخارجها بركة ماء عجيبة عليها شجرة جوز عظيمة ينزل الواردون في الصيف تحت ظلالها. 62/3

وشيخ هذه الزاوية يعرف بالحاجّ خُرْد، وهو الصغير، من الفضلاء، وركب معنا وأرانا مزارات هذه المدينة منها قبر حزْقيل (91) النبي عليه السلام وعليه قبة حسنة، وزرنا بها أيضا قبورًا كثيرة من قبور الصالحين لا أذكرها الآن، ووقفنا على دار ابراهيم بن أدهم (92) رضي الله عنه، وهي دار ضخمة مبنية بالصَّخر الأبيض الذي يشبه الكذّان، وكان زرع الزاوية مختزنًا بها ‖ وقد سُدَّت عليه، فلم ندخلها وهي بمقربة من المسجد الجامع. 63/3

---

(90) حضر عكاشة المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل في حرب الردّة بأرض نجد عام 12=633 وفيه قيل الحديث الشريف الذي أصبح مضرب المثل "سبقك بها عكاشة" ! جوابا لصحابي سأل رسول الله أن يمنحه مثل ما منحه لعكاشة من امتيازات ...

(91) عندما شاهد ابن بطوطة هذا القبر المزعوم كان لا يزال عامر البناء إلا أنه انهدم واندثر بعد ذلك، هذا وليس هناك من سند يثبت نسبة هذا القبر إلى حزقيل (EZECHIEL)، وإن الموقع الأكثر شهرةً لقبر حزقيل يوجد قريبًا من الحلة بيد أن ابن بطوطة لم يتحدث عنه هناك...

(92) سبق الحديث عن ابراهيم بن أدهم، (I,137-173-176-185 II) 254.

ثم سافرنا من مدينةبلخ فسرنا في جبال قُوه استان (93) سبعة أيام وهي قرى كثيرة عامرة، بها المياه الجارية والأشجار المورقة، وأكثرها شجر التين، وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى، وبعد ذلك كان وصولنا إلى مدينة هرات وهي أكبر المدن العامرة بخراسان.

ومدن خراسان العظيمة أربع ثنتان عامرتان وهما : هرات ونيسابور (94) وثنتان خربتان : وهما بلخ ومرْو (95)، ومدينة هرات كبيرة عظيمة كثيرة العمارة ولأهلها صلاح وعفاف وديانة، وهم على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبلدهم طاهر من الفساد. 64/3

(93) قوهستان : معناها أرض الجبال لا أكثر ولا أقل ولا تعني علمًا جغرافيا محدد المعالم ... والملاحظ حسبما يقوله زميلنا الراحل السفير الأفغاني خليلي في تحقيقه عن ابن بطوطة في أفغانستان، ان الطريق العام الذي يمتد من بلخ إلى هرات هو الذي كانت القوافل تمر به قديما محاذية لجوزجان شبورغان، ميمنة، نهر مُرْغاب، مرو الروذ، بادغيس – هرات.
ويضيف خليلي إلى هذا أن جوزجان ترتبط بميمنة بطريقين الطريق العام المذكور، والطريق الآخر : طريق سربل – اذا فرضنا أن ابن بطوطة سلك الطريق الثاني فمن الغريب أنه لم يذكر سربل ولم يذكر مشهد الامام يحيى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وقد كانت قبة معمورة في ذلك الوقت... وقد ذكر مستوفي طريقاً من مرو الروذ إلى بلخ بشيء من الاختلاف – راجع التعليق الآتي رقم 115.

(94) تعتبر هرات رابعة قواعد إقليم خراسان الذي تشترك فيه اليوم أفغانستان وإيران، وقد وُصفت على أنها أكبر وأغنى مدينة... وينعتها العلامة الشهير التفتازاني : في كتابه (المطول) بأنها "جنة النعيم" بلدة طيبة ومقام كريم :

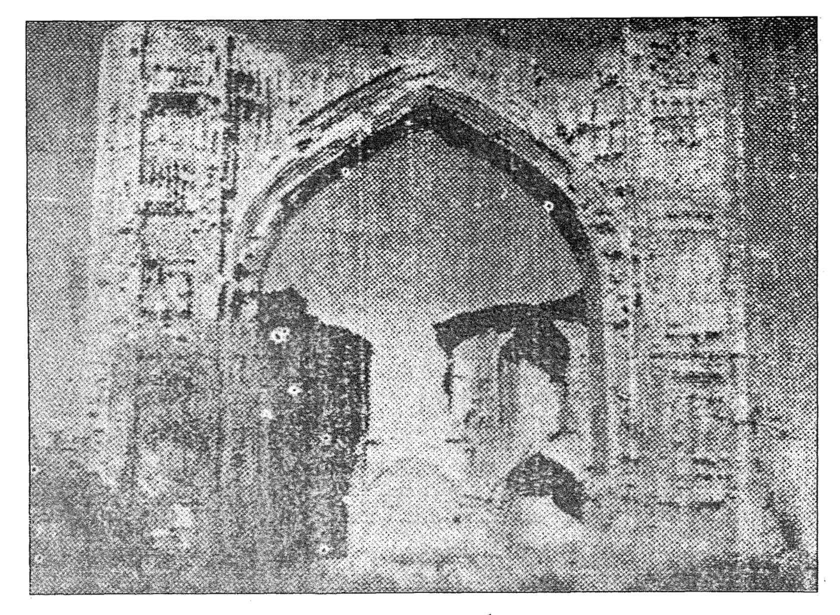
لقد جُمعت فيها المحاسن كلها — وأحسنُها الإيمان واليمن والامن

وقد زارها ياقوت وقال رجزاً في أعنابها التي كانت مضرب المثل

أَدقُّ من فكر اللبيب بذْرُه — أرقُّ من قلب الغريب قِشْرُه !!

وقد استغرب السفير خليلي رحمه الله من عدم ذكر ابن بطوطة شيئا عن جامع هرات الذي كان من المعالم الضخمة الممتازة، وقد قال عنه ابن حوقل : وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال مسجد أعمر بالناس على دوام الأيام من مسجد هرات وبلخ".
– خليل الله خليلي : هرات ج 1، ص 45، مطبعة المعارف، بغداد 1974.

(95) كانت هناك في الواقع مدينتان تحملان هذا الاسم، ولكي يُميَّز بينهما عرفت الأولى بمرو الروذأي، مرو النهر، وهي قريبة من مرو الشاهجّان بينهما خمسة أيام، وتنعت هذه بمرو العظمى وهي اشهر مدن خراسان وعاصمتها. والنسبة اليها مروزي ويعرف المغاربة صحنا فاخرًا يحمل إلى اليوم اسم المروزية يقال إنهم توارثوه عمن عرفوه في مرو ! في مرو شاهجان هذه عاش ياقوت لفترة طويلة قبل أن يخربها جنكيز خان عام 618=1221 ويعترف أنه لولا خرابها لفضل البقاء بها حتى الممات، وفي هذه المدينة وقعت له المناظرة الطريفة حول ضبط العلم الجغرافي (حُباشة) السوق الذي كان الرسول عليه الصلوات يتجر فيه بتهامة لحساب السيدة خديجة ... وكانت تلك المناظره كما يقول ياقوت في المقدمة باعثًا له لتأليف معجم البلدان اسهامًا منه في ضبط العلم الجغرافي على ما هو ... انظر معجم البلدان المقدمة، ومادة حُباشة ومادة مرو ، راجع المقدمة.



ضريح عكّاشة في بلخ والمسجد الجامع في هرات

ذكر سلطان هرات

وهو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري (96) صاحب الشجاعة المأثورة والتأييد والسعادة، ظهر له من إنجاد الله تعالى وتأييده في موطنين اثنين ما يقضي منه العجب : احدهما عند ملاقاة جيشه للسلطان خليل الذي بغى عليه وكان منتهى امره حصوله أسيرًا في يديه.

والموطن الثاني عند ملاقاته بنفسه لمسعود سلطان الرافضة وكان منتهى أمره تبديدُه وفرارُه وذهاب ملكه وولى السلطان حسين الملك بعد أخيه المعروف بالحافظ وولى أخوه بعد أبيه غياث الدين (97).

حكاية الرافضة

65/3 كان بخراسان رجلان : أحدهما يسمى بمسعود والآخر يسمى بمحمد وكان لهما خمسة من الأصحاب، وهم من الفُتّاك ويعرفون بالعراق بالشطّار ويعرفون بخُرسان بسَرابدالان (98) ويعرفون بالمغرب بالصّقورة، فاتفق سبعتهم على الفساد وقطع الطرق وسلْب

(96) معز الدين حسين ثالثُ ولد للسلطان غياث الدّين وقد أدركه أجله يوم 3 ذي القعدة 770=1370 وهذه الأسرة من بلاد الغور : الجبال المركزية في أفغانستان جنوب غربي افغانستان، وقد افتتن ابن بطوطة بشجاعة هذا الملك من ملوك آل كرت، وكان قيام هذه الأسرة في عام 643=1345 وانقراضها عام 791=1389 على يد تيمور.

(97) توفي السلطان غياث الدين سنة 728=1328 وقد خلفه أبناءه : شمس الدين الثاني 728-729=1328-1329 وحافظ 729-31 = 1329-1331 ومعز الدين حسين سالف الذكر... والسلطان غياث الدين آل كرت هو الذي أتمَّ بناء جامع هرات الذي رأيناه يرمّم بشكل مشرف في عهد الملك محمّد ظاهر شاه ...

(98) سَرابدالان، هكذا رسمت في سائر النسخ التي بين أيدينا، والقصد إلى السَّرْبِدَار، وقد جاء اسم (SAR DE DAR) من أن عبد الرزّاق مؤسس هذه الامارة التي عوضت الايلخان في غرب خراسان أراد أن يحث أنصاره على مساندته في ثورته ضد والي خراسان من لدن الإيلخان فخطب فيهم قائلا : "... إذا ما تحركتم بفتور سيكون مآلنا الموت، وانه لمن الافضل ألف مرة، أن نرى رؤوسنا معلقة على المشنقة (SAR BE DAR) على أن نموت جبناء !!"، وقد كان أول رئيس للسلسلة السربدارية : عبد الرزاق، موظفًا عند أبي سعيد بَهادور، ثار عندما مات هذا الاخير عام 735=1335، وقتل من طرف أخيه وجيه الدين مسعود عام 739=1339، وقد حكم مسعود إلى عام 744=1344، أمّا محمد فيظهر أنه احد خلفائه...

– د. التازي : إيران بين الأمس واليوم ص 96 مصدر سابق.

الأموال وشاع خبرهم وسكنوا جبلاً منيعًا بمقربة من مدينة بيْهق وتُسمى أيضا مدينة سَبْزار (99)، وكانوا يكمنون بالنهار ويخرجون بالليل والعشي، فيضربون على القُرى ويقطعون الطرق ويأخذون الأموال، وانثال عليهم أشباههم من أهل الشر والفساد فكثُر عددهم واشتدّت شوكتهم وهابهم الناس وضربوا على مدينة بيْهق فملكوها، ثم ملكوا سواها من المدن واكتسبوا الأموال وجنّدوا الجنود، وركبوا الخيل وتسمى ‖ مسعود بالسلطان وصار العبيد يفرّون عن مواليهم إليه، فكلُّ عبدٍ فرّ منهم يعطيه الفرس والمال، وان ظهرت له شجاعة أمّره على جماعة، فعظم جيشه واستفحل أمره وتمذهب جميعهم بمذهب الرفض وطمحوا إلى استيصال أهل السنة بخراسان وأن يجعلوها كلمة واحدة رافضيّة. 66/3

وكان (100) بمشهد طوس شيخ من الرافضة يسمى بحسن (101)، وهو عندهم من الصلحاء فوافقهم على ذلك وسمّوه بالخليفة، وأمرهم بالعدل فأظهروه حتى كانت الدراهم والدّنانير تسقط في معسكرهم فلا يلتقطها أحد حتى يأتي ربّها فيأخذها! وغلبوا على نيسابور.

وبعث إليهم السلطان طُغَتيمُور بالعساكر فهزموها ثم بعث إليهم نائبه أرْغون شاه (102) فهزموه ‖ وأسروه ومنّوا عليه، ثم غزاهم طُغَيْتُمُور بنفسه في خمسين ألفًا من التتر 67/3

---

(99) سَبْزار القصد إلى SABZAWAR وتنطق بين العامة سَبْزُور، وحسب ياقوت فان سبزور كانت قصبة لبيهق – 64 ميلاً غرب نيسابور، وقد احتلت من لدن السّربدار الذين انطلقوا من سبزور ايران، عام 737=1337-1338.

– خليلي : ابن بطوطة، ص 47 – د. التازي : مع ابن بطوطة في إيران، ص 96 تعليق رقم 130.

(100) ينبغي أن نلفت النظر إلى هذه الاحداث التي شهدتها خراسان مما يتعلق بالصِّراع الرهيب بين المذهب السني والمذهب الشيعي في أعقاب الوفاة الطارئة على السلطان أبي سعيد بَهادور. لقد كان ابن بطوطة يروي أخبارها عن شاهد عيان، وهو يتحدث عن خراسان، وبالرغم من أن المصادر الفارسية لم تهمل هذه الاحداث التي تمخضت – ولأول مرة في التاريخ – عن إنشاء أول إمارة شيعية الا ان تلك المصادر تظل شحيحةً اذا ما قارنّاها بالتفاصيل الثرية التي قدمها الرحالة المغربي عن الأصول الأولى لهذه الامارة التي كانت تحاول فرض المذهب الشيعي بالقوة، والّتي انتهت في الأخير إلى العدول عن الفكرة.

– د. التازي : مع ابن بطوطة في إيران، ص 96/95.

- M. MOZAFARI : IRAN P. 36.

(101) طوس قريبة جدًا من مدينة مشهد الحالية كما ياتي والقصد بحسن إلى الزعيم الشيعي المعروف حسن جوري (Djuri) الذي حرر من سجنه في نيسابور وأصبح العضد الايمن لمسعود وقد تقدم الحديث عن طُغَتِمور. علال الفاسي : المدرسة الكلامية وآثار الشيخ الطوسي – ايران

(102) أرْغون ابن نوروز بن أرْغون كان مغوليا أميرًا لخراسان، وهو نفسه أحرز بعد سنة 735=1335 على إمارة تضمُّ طوس، نيسابور، ومرو. وقد تقدم الحديث عن والده نوروز ولما غلب أرغون من لدن السربداريين الذين احتلّوا هذه المدينة عام 738=1338 التجأ إلى طُغَتِمُور وقد احتفظ المنحدرون منْه بالمنطقة حتى وصول تِمور ...

فـهـزمـوه وملكوا البـلاد وتغلّبوا على سـرخس والزاوه وطـوس، وهـي من أعظم بلاد خـراسـان وجـعلوا خليـفـتـهم بمشْـهد علي بن مـوسى الرّضى (103)، وتغلبـوا على مـدينة الجـام، ونزلوا بخارجها وهم قاصدون مدينة هرات، وبينها وبينهم مسيرة ستّ.

فلما بلغ ذلك الملك حسينًا جمع الأمـراء والعسـاكر وأهل المدينة واستـشـارهم : هل يقيمون حتّى يأتي القوم أو يمضون إليهم فيُناجزونهم، فوقع إجماعهم على الخروج اليهم وهـم قبيلة واحدة يسمون الغُورية، ويقال : إنهم منسوبون إلى غَور الشـام، وأن أصلهم منه (104)، فتجهزوا أجمعون واجتمعوا من أطراف البلاد وهم ساكنون بالقرى وبصحراء مرغيس (105)، وهي مسيرة أربع لا يزال عُشبها أخضر ترعى منه ماشيتهم وخيلهم، وأكثر شجرها الفستق ومنها يحمل إلى أرض العراق، وعَضدَهم أهلُ مدينة سِمنان (106)، ونفروا جميعًا إلى الرافضـة وهم مائة وعشرون ألفًا ما بين رجّالة وفرسـان، ويقودهم الملك حسين، واجْتمعت الرافضـة في مائة وخمسين ألفًا من الفرسان، وكانت الملاقاة بصحراء بُوشنج (107)، وصبر

68/3

(103) يُوجد قبر علي الرضا الامام الشيعي الثامن المتوفي عام 191 هـ = 817 بمدينة مشـهد بطوس (ايران) وقد قمت بزيارته في أوائل السبعينات وأواسط التسعينات فشاهدت المتبركين به من كل حدب وصوب.

(104) هذا القول خطأ فإن هناك فرقًا بين الغُور (بضم العين) هنا وبين الغَور بفتحها في بلاد الشـام ... وبناء على هذا فإن القول بأن أصل هؤلاء من اولئك محض خيال !

(105) (مرغيس) هكذا في سائر النسخ بالميم والراء والقصد إلى بادغيس بالدال، وقد فصل القول في هذه الناحية علماء الجغرافيا العرب وغيرهم في مؤلفاتهم، وكتب عنها الهمداني واليعقوبي وابن خرداذبة ... بشكل مختصر، أما ابن حوقل وياقوت فقد ذكراها بشكل مفصل.. وأكثر شجر هذه المنطقة من خراسان: الفستق، ومنها يحمل إلى الجهات الأخرى في أروبا بما فيها اليونان ... ومما يذكر ان الاسكندر ملك اليونان لما غلب بلاد فارس كان من جملة المواد التي وقع التنصيص عليها تسليم كميات من "فستق بادغيس إلى اليونان سنويا ! ولم يلبثوا أن نقلوا فسائل من غابات بادغيس إلى أراضي الاغريق ...
– مرآة البلدان لاعتماد السلطنة.
– خليل الله خليلي : ابن بطوطة في أفغانيستان ص 49/48.
دانشنامه جهان إسلام، حرف بـ جزء أول تهران 1990.

(106) سِمنان التي تقع على بعد 100 ميل شرقي طهران احتُلت بعد تصدع دوله إيلخان من لدن جلال الدولة اسكندر بن زيار (734-761=1334-1360) سلطان مَازِيندرَان – السربدار مسعود قتل في معركةٍ ضد هذا الأمير عام 744=1344.

(107) تقع بوشنج على الحدود الإيرانية الافغانية، وربما عرّبت إلى فوشنج، وقد عين الشريف الادريسي موقعها في خريطته، ويقال : إنها أرض فرعون وهامان، ويذكر السمعاني ان العباس ابن عبد المطلب ورد على بوشنج من أجل التجارة ... وفيها يقول أبو الفضل هاجيًا :

إذا سقى الله أرض منزلةٍ فلا سقى الله أرضَ بوشنج

... الأبيات. – التازي : ابن بطوطة في إيران، ص 98، تعليق 133.

الفريقان معًا ثم كانت الدائرة على الرافضة، وفر سلطانهم مسعود، وثبت خليفتهم حسن في عشرين ألفًا حتى قتل وقُتل أكثرهم وأسِر منهم نحو أربعة آلاف (108).

وذكر لي بعض من حضر هذه الوقيعة أن ابتداء القتال كان في وقت الضُّحى وكانت الهزيمة عند الزوال، ونزل الملك حسين بعد ‖ الظهر فصلى. وأتي بالطعام، فكان هو وكبراء أصحابه يأكلون وسائرهم يضربون أعناق الأسرى، وعاد إلى حضرته بعد هذا الفتح العظيم، وقد نصّر الله السُّنة على يديه وأطفأ نار الفتنة. وكانت هذه الوقيعة بعد خروجي من الهند عام ثمانية وأربعين (109).

69/3

ونشأ بهرات رجل من الزهاد الصلحاء الفضلاء، واسمه نظام الدين مولانا (110) وكان أهل هرات يحبونه ويرجعون إلى قوله وكان يعظهم ويذكّرهم وتوافقوا معه على تغيير المنكر وتعاقد معهم على ذلك خطيب المدينة المعروف بمَلِك وَرْنا، وهو ابن عم الملك حسين ومتزوج بزوجة والده، وهو من أحسن الناس صورةً وسيرة، والملك يخافه على نفسه وسنذكر خبره وكانوا متى علموا بمنكرٍ ولو كان عند الملك غيَّروه ‖ .

70/3

حكاية [منكر بدار الملك]

ذُكِر لي أنهم تعرَّفوا يومًا أن بدار الملك حسين منكرًا فاجتمعوا لتغييره وتحصّن منهم بداخل داره، فاجتمعوا على الباب في ستة آلاف رجل فخاف منهم، فاستحضر الفقيه وكبار البلد وكان قد شرب الخمر فأقاموا عليه الحدَّ بداخل قصره وانصرفوا عنه !

---

(108) قد كنت أشعر بالحسرة وأنا أعيش مع هذه الصفحات الدامية من تاريخ هذه المرحلة وكنت أتساءل هل من فرْق بين أهل السنة والشيعة في ربّهم ونبيّهم وقرآنهم وفروع دينهم... إن كل ما عرفته من فرق بين الطائفتَين أن هؤلاء ... «الرافضة»، يتعلّقون بآل البيت، وهذا ما فهمه الإمام الشافعي من "الرفض" عند ما قال :

إن كان رفْضًا حبُّ آل محمدٍ فليشهدِ الثَّقلان أنني رافضي !

(109) عام 748 يوافق عام 1347... والجدير بالذكر أن المصادر الفارسية تؤكد ان هذه المعارك ابتدأت يوم الخميس 13 صفر 743=18 يوليه 1342، ويعلق د. موحد قائلا، ص 436، ج 1 : حارب الأمير وحيد الدين مسعود بين 13 صفر 743 وسنة 748، وكان ميدان المعركة على بعد ميلين من زاره، ويقول ظهير الدين مرعشي : ان الحرب المستعرة دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال ...– د. التازي : ابن بطوطة، ص 99، تعليق 135.

(110) يذكر خليلي (ص 47) ان نظام الدين مولانا هو عبد الرحيم واشتهر بعد ذلك بـ (بيرتسليم)، أي شيخ التسليم، وسمي كذلك لانه ضحى بنفسه لإنقاذ مواطنيه، وذكر فصيح خافي اسم أبيه فصيح الدين محمد ... وضبط استشهاده عام 737=1337 ويقول المؤرخ الهروي معين الدين اسفزاري إن نظام الدين استشهد على يد الغز لا على يد الغوريين الذين أشار اليهم ابن بطوطة ... ضريحه موجود بجوار ضريح فخر الدين الرازي في خيابان قرب مدينة هرات.
– يراجع تعليق الناشرين D.S. ج 3 ص 456-457.

حكاية هي سبب قتل الفقيه نظام الدين المذكور

كانت الأتراك المجاورون لمدينة هرات الساكنون بالصحراء وملكهم طُغَيْتُمُور، الذي مر ذكره، وهم نحو خمسين ألفًا يخافهم الملك حسين ويهدي لهم الهدايا في كلّ سنة ويداريهم وذلك قبل هزيمته للرّافضة، وأما بعد هزيمته للرافضة فتغلب عليهم، ومن ‖ عادة هؤلاء الأتراك التردُّد إلى مدينة هرات، وربما شربوا بها الخمر وأتاهم بعضهم وهو سكران فكان نظام الدّين يحد من وجد منهم سكراناً.

71/3

وهؤلاء الأتراك أهل نجدة وبأس ولا يزالون يضربون على بلاد الهند فيسْبُون ويقتلون، وربما سبوا بعض المسلمات اللاتي يكنّ بأرض الهند ما بين الكفار، فإذا خرجوا بهنّ إلى خراسان يطلق نظام الدين المسلمات من أيدي التُّرك، وعلامة النسوة المسلمات بأرض الهند ترك ثقب الأذن ! والكافرات أذانهن مثقوبات، فاتفق مرةً أن أميرًا من أمراء الترك يسمّى تُمُورَالْطِي سبى امرءةً وكلف بها كلفًا شديدًا فذكرت أنها مسلمة، فانتزعها الفقيه من يده، فبلغ ذلك من التركي مبلغًا عظيمًا وركب في آلاف من أصحابه وأغار على خيل هرات وهي في ‖مراعاها بصحراء مرغيس واحتملوها فلم يتركوا لأهل هرات ما يركبون ولا يحلبون، وصعدوا بها إلى جبل هنالك، فبعث إليهم رسولاً يطلب منهم ردَّ ما أخذوه من الماشية والخيل ويذكّرهم العهد الذي بينهم، فأجابوا بأنهم لا يردّون ذلك حتى يُمكّنوا من الفقيه نظام الدين، فقال السلطان : لا سبيل إلى هذا !!

72/3

وكان الشيخ أبو أحمد الجشتي حفيد الشيخ مودود الجشْتي (111)، له بخراسان شأن عظيم وقولُه معتبر لديهم، فركب في جماعة خيلٍ من أصحابه ومماليكه، فقال : أنا أحمل الفقيه نظام الدين معي إلى الترك ليرضوا بذلك، ثم ‖ أردّه، فكأنَّ الناس مالوا إلى قوله، ورأى الفقيه نظام الدين اتّفاقهم على ذلك فركب مع الشيخ أبي أحمد ووصل إلى الترك فقام إليه الأمير تُمُورَالْطي، وقال له : أنت أخذت امرأتي منّي، وضربه بدبوسه فكسر دماغه فخرّ ميّتًا ! فسقط في أيدي الشيخ أبي أحمد وانصرف من هنالك إلى بلده وردَّ الترك ما كانوا أخذوه من الخيل والماشية !!

73/3

(111) مودود الجشتي 537-633 = 1142-1236، هو في الأصل من جشت في سِجستان شرقي إيران الحالية بين هرات والغور وهو مؤسس الطريقة الجشتية، المشهورة وخاصة بالهند، وقد ورد ذكر أحمد الجشتي في المصادر كوسيطٍ بين غياث الدين سلطان هرات والأمير ياسوور أثناء الحوادث التي جرت عام 719=1319.

– خليلي الله خليلي : ابن بطوطة، 55/54/53 – الناشران : D.S. صفحة 457.

وبعد مدةٍ قدم ذلك التركي الذي قتل الفقيه على مدينة هرات فلقيه جماعة من أصحاب الفقيه فتقدموا إليه كأنّهم مسلمون عليه وتحت ثيابهم السيوف فقتلوه وفرّ أصحابه !!

ولما كان بعد هذا بعث الملك حسين ابن عمه مَلِك ورْنا الذي كان رفيق الفقيه نظام الدين في تغيير ‖ المنكر رسولاً إلى مَلك سجستان (112) فلما حصل بها بعث إليه أن يقيم هنالك ولا يعود إليه فقصد بلاد الهند ولقيته وأنا خارج منها بمدينة سِيوَسِتان من السند (113). 74/3

وهو أحد الفضلاء وفي طبعه حبُّ الرياسة والصيد والبُزاة والخيل والمماليك والأصحاب واللباس الملوكي الفاخر، ومن كان على هذا الترتيب فإنه لا يصلح حاله بأرض الهند، فكان من أمره أن ملك الهند ولاّه بلدًا صغيرًا وقتله به بعض أهل هرات المقيمين بالهند ! بسبب جارية، وقيل إن ملك الهند دس عليه من قتله بسعي الملك حسين في ذلك ولأجله خدم الملك حسين ملك الهند وأعطاه مدينة بَكّار (114) من بلاد السند ومجْباها خمسون ألفا من دنانير الذهب في كل سنة ‖. 75/3

ولنعد إلى ما كنا بسبيله فنقول : سافرنا من هرات إلى مدينة الجام (115)، وهي متوسطة حسنة، ذات بساتين وأشجار وعيون كثيرة وأنهار، وأكثر شجرها التوت، والحرير بها كثير، وهي تُنسب إلى الولي العابد الزاهد شهاب الدين أحمد الجام (116)، وسنذكر حكايته، وحفيده الشيخ أحمد المعروف بزاده الذي قتله ملك الهند، والمدينة الآن لأولاده، وهي محرَّرة من قِبل السلطان، ولهم بها نعمةٌ وثروة.

---

(112) كانت سجستان على ذلك العهد تتوفر على إمارة محلية تخضع للمغول. وقد كان من الأمراء الحاكمين هناك على ذلك العهد قطب الدين محمد (1331-1345) الذي عوض بولده تاج الدّين المتوفى عام 1350 وأخيه عز الدّين 1333-1382.

(113) سيوَاسِتان يتعلق الأمر، على ما يبدوا بمدينة سهوان (SEHWAN) التي تقع على نهر السند شمال حيدر أباد حيث نجد ابن بطوطة سيأخذ طريقه ليرى السلطان ويستأذنه في الذهاب إلى الحجاز.

(114) مدينة بكار (BAKKAR) تقع على الطريق الشمالي لنهر السند حوالي 120 ميلا شمال ملتان.

(115) مدينة الجام تسمى حاليا "تربة شيخ جام، سابقًا كان تسمى بوزجان أو بوشكان الواقعة في قوهستان على حدود بادغيس، على الطريق المستقيم من هرات إلى نيسابور وطوس، وقد اعطى مستوفى (ص 171) المسافات هكذا : 30 فرسخا من هرات إلى بّوشكان، و 38 من بوشكان إلى نيسابور... نلاحظ أن استعمالنا هنا لاسم قوهستان يَعني موقعًا جغرافيا يحمل هذا الاسم على عكس استعماله في التعليق السالف رقم 93 من هذا الفصل التاسع فانه هناك يعني فقط ارض الجبال...

(116) احمد الجام عاش فيما بين 441-536 = 1049 و 1142 رجل صالح شهير في المنطقة لدرجة أن تيمور قصد قبره للزيارة، وسياتي المزيد من الحديث عنه.

وذكر لي من أثق به أنَّ السلطان أبا سعيد ملك العراق قدم خراسان مرةً ونزل على هذه المدينة وبها زاوية الشيخ، فأضافه ضيافةً عظيمة وأعطى لكل خِباء بمحلته رأس غنم، ولكل أربعة رجال رأس غنم، ولكل دابة بالمحلة من ‖ فرسٍ وبغلٍ وحمار علف ليلة فلم يبق في المحلة حيوان إلا وصلته ضيافة. 76/3

حكاية الشيخ شهاب الدين الذي تنسب إليه مدينة الجام

يُذكر أنه كان صاحب راحةٍ مكثرًا من الشّرب، وكان له من الندماء نحو ستين وكانت لهم عادة أن يجتمعوا يومًا في منزل كل واحد منهم فتدور النّوبة على أحدهم بعد شهرين، وبقوا على ذلك مدةً، ثم إنَّ النوبة وصلتْ يومًا إلى الشيخ شهاب الدين فعقد التوبة ليلة النوبة، وعزم على إصلاح حاله مع ربّه، وقال في نفسه : إن قلتُ لأصحابي إني قد تبت قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزًا عن مؤنتهم، فأحضر ما كان يحضر ‖ مثله قبل من مأكول ومشروب، وجعل الخمر في الزقاق، وحضر أصحابه فلما أرادوا الشرب فتحوا زقًا فذاقه أحدهم فوجده حُلْوًا، ثم فتحوا ثانيًا فوجدوه كذلك، ثم ثالثا فوجدوه كذلك، فكلّموا الشيخ في ذلك فخرج لهم عن حقيقة أمره، وصَدَقهم سِنّ بَكْره(117)، وعرفهم بتوبته، وقال لهم : والله ما هذا إلا الشّراب الذي كنتم تشربونه في ما تقدم ! وتابوا جميعا إلى الله تعالى، وبنوا تلك الزاوية وانقطعوا بها لعبادة الله تعالى، وظهر لهذا الشيخ كثير من الكرامات والمكاشفات. 77/3

ثم سافرنا من الجام إلى مدينة طوس (118) وهي من أكبر بلاد خراسان وأعظمها، بلد الإمام الشهير أبي حامد الغزالي (119) رضي الله عنه، وبها قبره، ورحلنا منها إلى مدينة مشهد الرضا (120) وهو علي بن موسى الكاظم بن ‖ جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي 78/3

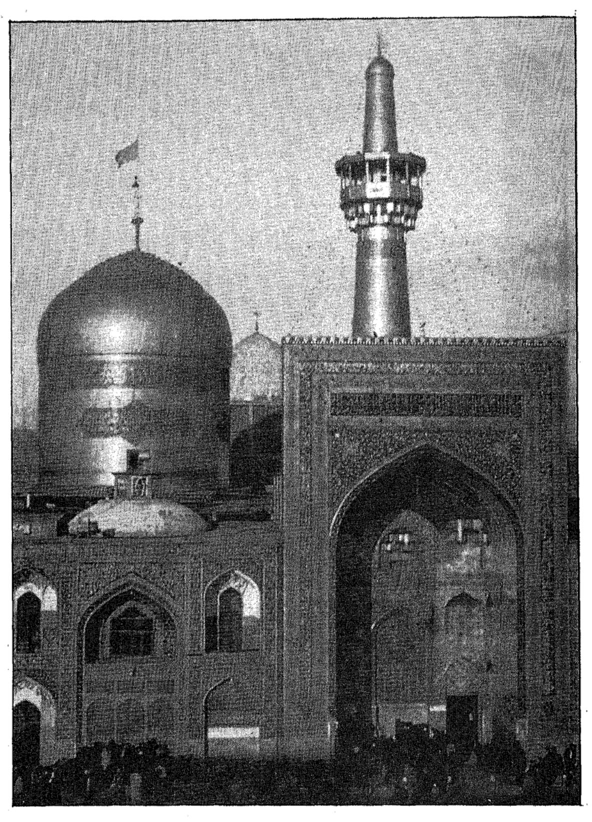
---

(117)هذا تعبير جرى مجرى المثل : كَشَفَ لهم سِنَّ بَكْره أي جَمَلِه، البَكر : الفتيّ من الإبل ... صدقهم الله حول ما فعل، وفي نسخة : سرَّ فكره، وفي اخرى بما في فكره لكن النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليه تذكر ما قلناه : كشف لهم سِنَّ بكره !

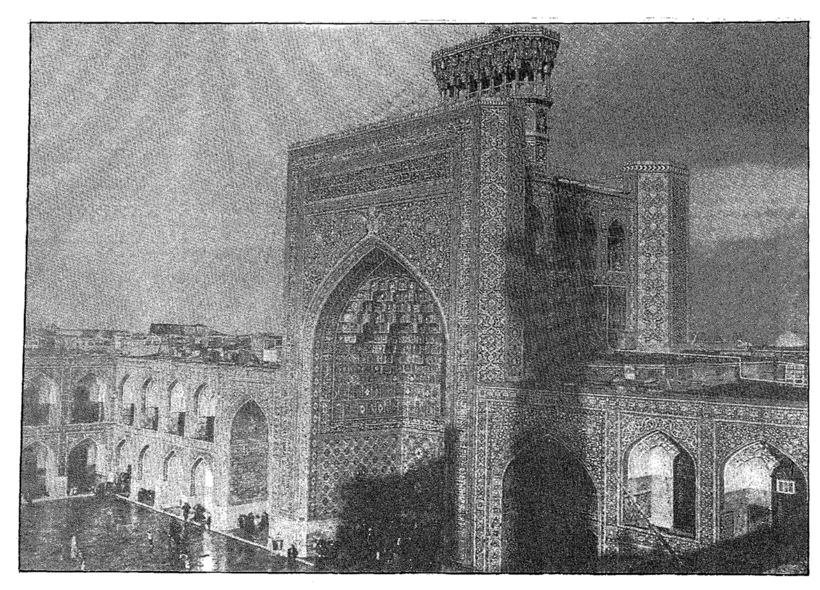
(118) طوس : مدينة تقع على بضعة أميال شمال مشهد الحالية، مدينة اجتيحت من قبل جنكيز عام 617=1220، وأعيد بناؤها من لدن الامير قيراط أرْغون، ظلت كإقطاعية للمنحدرين منه الذين كوّنوا امارة لهم (755-759=1354-1358)، وبقيت تحت هيمنة هؤلاء إلى وصول تيمور، وقد قام هذا بتحطيم طوس نهائيًا ولم يعد في إمكانها أن تسترجع سحنتها وقد عوضت بمدينة مشهد انظر التعليق 101.

(119) يعتبر الامام الغزالي من أشهر رجال الفكر الإسلامي في العصر الوسيط وقد ولد وتوفي في طوس 450-504=1058-1111 كان أستاذا للمدرسة النظامية في بغداد ... وقد اختفى قبره اليوم في طوس.

(120) (مشهد) الحالية القرية القديمة التي كانت تحمل اسم سناباد حيث دفن الإمام الرضى 203-818 على ماياتي.



مشهد الإمام الرضا عليه السلام



لقطة من مشهد الإمام الرضا

زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (121) رضي الله عنهم، وهي أيضا مدينة كبيرة ضخمة كثيرة الفواكه والمياه والأرحاء الطاحنة، وكان بها الطاهر محمد شاه والطاهر عندهم بمعنى النقيب عند أهل مصر والشام والعراق، وأهلُ الهند والسند وتركستان يقولون : السيد الأجل (122).

وكان أيضا بهذا المشهد القاضي الشريف جلال الدين لقيته بأرض الهند والشريف عليّ، وولداه أمير هندو ودولة شاه (123) وصحبوني من التِّرْمِذ إلى بلاد الهند وكانوا من الفضلاء.

والمشهد المكرم عليه قبَّة عظيمةٌ في داخل زاوية وتجاورها مدرسة ومسجد، وجميعها مليح البناء مصنوع الحيطان بالقاشاني، وعلى القبر دكانة خشب ملبَّسة بصفائح الفضة، وعليه قناديل فضة معلقة، وعتبة باب القبة فضة وعلى بابها ستر حرير مذهب، وهي مبسوطة بأنواع البُسُطِ وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين (124) رضي الله عنه وعليه دكانة يضعون عليها الشَمَعدَانَات، التي يعرفها أهل المغرب بالحسك، والمنائر، وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلّم على الرضا!! 79/3

ثم سافرنا رى مدينة سَرَخس (125) وإليها ينسب الشيخ الصالح لقمان السرخسي (126) رضي الله عنه.

---

(121) على الرضا بن موسى الكاظم الامام الثامن عند الشيعة 183-202=799-818 كان أسود اللون، أمه حبشية أحبَّه المامون العباسي فعهد اليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم وغير من أجله الزيّ العباسي من السواد إلى الخضرة... قبره على التُّراب الإيراني مات في حياة المامون بطوس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد ولكن لم تتم له الخلافة وعاد المامون إلى السواد !!! – أصبح قبره بسرعةٍ مزارة للناس وسائر جهات الدنيا كما قلنا سابقا... بَيْدَ أنَّ الاهتمام بالمشهد تطور وتكاثر بعد تنصيب الصفويين في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر. – وقد كانت آخر زيارة لي لمتحفه ومكتبته العظيمة يوم 1996/6/4 صحبة ولدي يُسر.

(122) الطاهر نقيب الأشراف هو رئيس السادة المنحدرين من الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الامام علي كرم الله وجهه.

(123) سنقف فيما بعد على شريفٍ يحمل اسم علي ولكنه ليس ملقَّبًا بجلال الدين.

(124) هارون الرشيد كان أعظم خلفاء بني العباس توفي بطوس عام 193=809 أثناء حركةٍ له في خراسان ويأمر من ولده المامون دفن بطوس كما أسلفنا ...

(125) تقع سرخس شرق طوس ومشهد على الحدود بين إيران وبين الروسيا على الطريق الذاهب من مشهد الإيرانية إلى مرو الأفغانية...

(126 ذكر هذا الشيخ عند الجامي في (نفحات الأنس) ولكنا لا نتوفر على معلومات عن تاريخ ميلاده ووفاته...

ثم سافرنا منها إلى مدينة زاوة (127)، وهي مدينة الشيخ الصالح قطب الدين حيدر (128)، وإليه تنتسب طائفة الحَيْدَرية من الفقراء، وهم الذين يجعلون حِلَق الحديد في أيديهم وأعناقهم وآذانهم ويجعلونها أيضًا في ذكورهم حتى لا يتأتى لهم النكاح !! 80/3

ثم رحلنا منها فوصلنا إلى مدينة نيسابور (129)، وهي إحدى المدن الأربع التي هي قواعد خراسان ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها ومياهها وحسنها وتخترقها أربعة من الأنهار، وأسواقها حسنة متّسعة ومسجدها بديع وهو في وسط السوق ويليه أربع من المدارس يجري بها الماء الغزير، وفيها من الطلبة خلق كثير يقرأون القرآن والفقه وهي من حسان مدارس تلك البلاد.

ومدارس خراسان والعراقين ودمشق وبغداد ومصر، وإن بلغت الغاية من الإتقان والحُسن فكلها تقصر عن المدرسة التي عمَّرها مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله المجاهد في سبيل الله عالم الملوك وواسطة عقد الخلفاء العادلين أبو عنان وصل الله سعده ونصر 81/3

---

(127) زاوه هي : تربة حيدرية الحالية تقع جنوب غربي مشهد، وهكذا فإن خط سير ابن بطوطة كان ذا تعرجات،وبهذا يرتفع إشكال أنه ربما كان لا يضبط تحديد الاتجاهات في رحلته...

– د. التازي : ابن بطوطة في إيران، ص 106، تعليق 137.

(128) قطب الدين حيدر المتوفى عام 618=1221 كان تلميذًا لجمال الدين الصاوي مؤسس الطريقة الصوفية الملامتية (القلندرية)، أسس هو كذلك الطريقة الحيدرية التي انتشرت في آسيا الصغرى وفي الهند، وربما كان هو الذي أدخل استعمال الحشيش كوسيلةٍ للوصول إلى التخلّص من التفكير على ما سلف.

وفضيلة النوم الخروجُ بأهله من عالَم هو بالأذى مجبول !!

وتذكّرني حالة الحيدرية فيما ورد عن أحد الملامتية : (مولاي اسنانُو) الذي قلع أسنانه حتى لا يلتذ بالدّنيا!! الكتاني : سلوة الأنفاس I ص 218.

(129) خربت نيسابور من قبل المغول عام 618=1221 ثم بسبب زلزال ضربها عام 679=1280 ومع ذلك كانت عاصمةً لمملكة جاني قُرْباني في عام 738=1338 عندما احتلت من قبل السرْبَدَار مسعود... حوالي أواخر القرن أصبحت تحت هيمنة آل كرت بهرات قبل أن تفتح من قبل تيمور. ونحن نعلم أن نيسابور كانت في القرن الخامس الهجري مركزًا من المراكز الثقافية الكبرى في شرق العالم الإسلامي لتعدُّد مدارسها وطلبتها على نحو ما كانت عليه تونس وفاس والقاهرة بفضل جامع الزيتونة والقرويين والأزهر...

جنده وهي التي عند القصبة من حضرة فاس حرسها الله تعالى فإنها لا نظير لها سعةً وارتفاعًا، ونقش الجص بها لا قدرة لأهل المشرق عليه (130)

ويصنع بنيسابور ثياب (131 الحرير من النخ والكمخاء وغيرها، وتحمل منها إلى الهند، وفي هذه المدينة زاوية الشيخ الإمام العالم القطب العابد قطب الدين النيسابوري أحد الوعاظ العلماء الصالحين، نزلت عنده فأحسن القِرَى وأكرَم، ورأيت له البراهين والكرامات العجيبة.

كرامة له

كنت قد اشتريت بنيسابور غلامًا تركيّاً فرآه معي، فقال لي : هذا الغلام لا يصلح لك فبعْه، فقلت له : نعم، وبعث ‖ الغلام في غد ذلك اليوم، واشتراه بعض التجار، ووَادعتُ الشيخ وانصرفت، فلما حللت بمدينة بسطام كتب إلي بعض أصحابي من نيسابور وذكر أنَّ الغلام المذكور قتل بعض أولاد الأتراك وقُتل به ! وهذه كرامة واضحة لهذا الشيخ رضي الله عنه (132).

82/3

وسافرت من نيسابور إلى مدينة بِسطام (133) التي ينسب إليها الشيخ العارف أبو

---

(130) علّق أبو القاسم الزّياني في "الترجمانة الكبرى" على إطراء ابن بطوطة لمدرسة السلطان أبي عنان بأن "هذا من التَّغالي في الكذب... فإن في كل إقليم من أقاليم بلاد العرب كمصر والشام والعراق التي شاهدناها ... ما هو مثلها وأعلى منها ضخامةً وتأنقًا وحسنًا، واما بلاد العجم والترك فحدثْ عن البحر ولا حرج ... وقد عقب عبد الحي الكتاني على الزياني متهمًا إياه بالجهل والغرض وعدم الإنصاف... هذا ونذكّر هنا بأن المدرسة البوعنانية "المذكورة هنا هي غير "الزاوية البوعنانية" سالفة الذّكر ... والتي التبست على التراجمة بالمدرسة، كما نذكّر بأن (القصبة) هنا علَم جغرافي لموقع بمدينة فاس قريب من المدرسة البوعنانية يعرف حتّى الآن بالقصبة حيث كان الجيش يعسكر لحماية الأمن... وقد تطلق عبارة (القصبة) على العاصمة...

(131) يذكر ابن حوقل ان نيسابور تعرف بأبْرَشهر، وفيها يقول أبو تمام

أيا سَهَري بليلةِ أبْرَشهرِ   ذممتَ إليَّ نومًا في سواها !

وتحدث عن فنادق البزّازين فيها : "ويرتفع منها من أصناف البز وفاخر القطن والقز ما ينقل إلى بلاد الاسلام وبعض بلدان الشرق لكثرته وجودته ولإيثار الملوك والرؤساء لكسوته...".

(132) لا أدري بماذا نعلل عدم اهتمام ابن بطوطة بزيارة ضريح عُمَر الخيام – وهو مَن هو في العلم والادب والتاريخ – قال القِفْطي في نعته : إنه إمام خرسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ويحث على طلب الواحد الديّان .... أدركه أجله 515=1121.

(133) بِسْطام تقع على منتصف الطريق الذي يربط طهران بمشهد. كانت مدينة زاهرة على عهد ياقوت الحموي...

يزيد البسطامي (134) الشهير رضي الله عنه، وبهذه المدينة قبره ومعه في قبةٍ واحدة أحد أولاد جعفر الصادق (135) رضي الله عنه، وببسطام أيضا قبر الشيخ الصالح الولي أبي الحسن الخرقاني.

وكان (136) نزولي من هذه المدينة بزاوية الشيخ أبي زيد البسطامي، رضي الله عنه ثم سافرت من هذه المدينة على طريق هندُ خِير (137) إلى قُندوس (138) وبَغلان (139)، وهي

(134) يعرف البسطامي تحت اسم بَايزيد، وهو من أشهر رجال التصوّف في الإسلام يوجد على رأس لائحة الملامتية وقد توفي في سنة 260=874، ضريحه مشهور ومقصود، وهو الذي سُئِل : أيعصي العارف ؟ فأجاب : وكان أمر الله قدرًا مقدروا ! يعني أن معصيتهم بحكم القدر النافذ فيهم !! ابن عربي : الفتوحات المكية ج III ص 410 طبع الهيأة المصرية العامة للكتاب 1974. تصدير د. ابراهيم مدكور.

(135) هذا مما استأثر بذكره الرحالة المغربي بيد أن عددًا من أضرحة أبناء الأئمة التي تحمل اسم إمام زاده توجد متناثرة في إيران، ومن بينها ضريح محمد ابن جعفر الصادق الامام السادس الذي يوجد في جُرْجان شمال بِسطام.

(136) يعتبر أبو الحسن الخرقاني گوارث روحي للشيخ البسطامي، وقد أدركه أجله سنة 425=1034.

(137) يعقّب على ابن بطوطة هنا أنه أولا كأنما قام بأخذ طائرة مرْوَحية من بِسْطام، ليجد نفسه في قندوس وبغلان !! انظر الخريطة... وهكذا يلاحظ السفير خليلي في : كتابه (ابن بطوطة في أفغانستان) أولاً من بسطام إلى قندوس مسافة جد طويلة، هناك عدة مدن وقصبات في عرض الطريق لم يذكر شيئا ولو مختصرا عنها...

ثانيًا : يقول ابن بطوطة أنه وصل بغلان وقندوس عن طريق (هند خير) وهي طريق لم تكن معروفة، وإذا ما صحت إشارة بعض المستشرقين إلى أن (هندخير) هي مدينة أَنْدَخُوذ (المذكورة عند ابن حوقل ص 323 – ليدن 1882) المعروفة اليوم أنْدْخوى : مائة ميل غرب بلخ فإننا مع ذلك نتسائل : لماذا لم يذكر ابن بطوطة شيئا عن المدن التي كانت في طريقه غير أَنْدَخُد، وفي ظني – يقول خليلي – أن عددًا من الصحائف قد سقطت من النسخ المطبوعة..! وأقول : إن النسخ المخطوطة التي اتوفر عليها سواء منها المغربية أو الأوربية تختلف بين رسم الكلمة هند خير أو مندخى (مندخان؟) أما مختصر الرحلة للأزهري و "منتقاها" للبيلوني فقد تجنبا عبارة (على طريق هند خير)!

وفي الختام أذكّر – تأكيدًا لما قاله خليلي من سقوط بعض الصفحات – بأن ابن جزي قال في آخر الرحلة "انتهى ما لخصتُه من تقييد الشيخ ولهذا فقد يكون نقص الصفحات من صنيع ابن جزي الذي لم يتجاوز ثلاثة شهور في اختصار ما سجله ابن بطوطة قرابة ثلاثين سنة !!

– خليل الله خليلي : ابن بطوطة في أفغانستان، مطبعة الجامعة، بغداد 1971. يراجع تعليق الناشرين D.S.... – د. التازي : مع ابن بطوطة في إيران.

(138) قندوس من مدن طخارستان شمال أفغانستان، والبلدانيون القدامى لم يذكروا اسم هذه المدينة ..وكلمة قندوس مخففة أو معربة من كهندر وتعني القلعة القديمة ...مدينة تجارية، جعلت منها زراعة القطن مدينةً ذات ثروة كبيرة، واليها تنسب الثياب القندسية التي ورد ذكرها في رحلة أبي حامد الغرناطي. ص 118 يراجع التعليق 56 ج 2 ص 186.

(139) بغلان من مدن طخارستان، والمسافة بين بغلان وقندوس هي أكثر من ثلاثين ميلا، وقد شاهدهما الرحالة المغربي بعد تدمير جنكيز حيث وجدهما أقرب إلى القريتين منهما إلى المدينتين ! ولقد اكتُشفت آثار المدنيات القديمة فيها نتيجة التحريات والحفريات...

83/3 قرى فيها مشايخ وصالحون، وبها البساتين والأنهار فنزلنا ‖ بقُندوس على نهر ماء به زاوية لأحد شيوخ الفقراء من أهل مصر، يسمّى بشير سيَّاه ومعنى ذلك الأسد الأسود، وأضافنا بها والي تلك الأرض، وهو من أهل الموصل، وسكناه ببستان عظيم هنالك، وأقمنا بخارج هذه القرية نحو أربعين يومًا لرعي الجمال والخيل، وبها مراعي طيبة وأعشابٌ كثيرة، والأمن بها شامل بسبب شدة أحكام الامير بُرُنْطَيْه (140)، وقد قدمنا أن أحكام الترك في من سرق فرسًا أن يعطي معه تسعةً مثله، فإن لم يجد ذلك أخذ فيها أولادُه، فإن لم يكن له أولاده ذُبح ذبح الشاة ! والناس يتركون دوابّهم مهملة دون راعٍ بعد أن يَسِمَ كلّ واحد دوابه في أفخاذها، وكذلك فعلنا في هذه البلاد!

84/3 واتفق أن تفقدنا ‖ خيلنا بعد عشر من نزولنا بها، ففقدنا منها ثلاثة أفراس، ولما كان بعض نصف شهر جاءنا التتر بها إلى منزلنا، خوفًا على أنفسهم من الأحكام.

وكنا نربط في كل ليلةٍ إزاء أخبيتنا فرسين لما عسى أن يقع بالليل، ففقدنا الفرسين ذات ليلة، وسافرنا من هنالك، وبعد اثنتين وعشرين ليلة جاءوا بهما إلينا في أثناء طريقنا.

وكان أيضًا من أسباب إقامتنا خوف الثلج، فإن بأثناء الطريق جبلاً يقال له هِنْدُوكُوش (141) ومعناه قاتل الهنود، لأنّ العبيد والجواري الذين يُوتي بهم من بلاد الهند يموت هنالك الكثير منهم لشدّة البرد وكثرة الثلج، وهو مسيرة يوم كامل، وأقمنا حتى تمكّن 85/3 دخول الحرّ (142)، وقطعنا ذلك الجبل من آخر الليل ‖ وسلكنا به جميع نهارنا إلى الغروب، وكنا نضع اللبود بين أيدي الجمال وتطأ عليها لئلا تُغرق في الثلج !

ثم سافرنا إلى موضعٍ يعرف بأندر (143)، وكانت هنالك فيما تقدم مدينة عُفّي رسمها،

---

(140) بُرنطية أو برنتيه لم نستطع – كما أسلفنا – أن نقف على ذكرٍ له حتى في المصادر الأفغانية – حول عقوبة سرقة الخيول انظر الفصل 3.

(141) تُعدّ سلسلة جبال (هندوكش) (Hindu Kush) بمنزلة العمود الفقري لافغانستان وأن الجبال التي تقع في الشمال والجنوب من أفغانستان هي فروع لهندوكش، وورد في كتاب الابستاق اسم هذا الجبل بما يمكن ترجمته هكذا : "أعلى من طيران العقاب"، وتبلغ قمته أكثر من 7000 متر، ولقد أقام الرحالة المغربي في بغلان حوالي أربعين يومًا حتى يساعد الطقس لعبور قمم هندوكوش، "وياليتَ ابن بطوطة، يقول خليلي : كان حيا اليوم ليرى كيف استطاع الانسان بعلمه اختراق هندوكوش في ساعةٍ واحدة!! خليلي 62.

(142) هذه الاشارة التي نقلتنا إلى فصل الربيع لسنة 735 = 1335 أو (733-1333) تشهد بأن التنقلات كانت صعبة في خراسان ...

(143) أوردها ابن بطوطة هكذا (اندر) وهي (اندراب) مدينة صغيرة شمال هندوكوش، وهي يقول خليلي – غير مدينة أنْدَرَاب (ANDARAB) التي تقع في أردبيل وغير اندرابه التي في مرو وشاهِنْجَان، وهي النقطة الأولى في شمال هندوكوش التي توقف فيها الاسكندر، وكانت الفضّة التي تستخرج من مناجم تُذوَّب في أندراب ... – خليلي : ابن بطوطة في أفغانستان ص 60-61.

ونزلنا عنده وأكرمنا، وكان متى غسلنا أيدينا من الطعام يشرب الماء الذي غسلناها به لحسن اعتقاده وفضله، وسافر معنا إلى أن صعدنا جبل هِندُوكوش المذكور ووجدنا بهذا الجبل عين ماء حارة فغسلنا منها وجوهنا فتقشرت وتألّمنا لذلك !

ثم نزلنا بموضع يعرف ببنج هير (144)، ومعنى بنج خمسة، وهير الجبل، فمعناه خمسة جبال، وكانت هنالك مدينة حسنة كثيرة العمارة ‖ على نهر عظيم أزرق كأنه بحر ينزل من جبال بَدَخشان، وبهذه الجبال يوجد الياقوت الذي يعرفه الناس بالبَلَخْش، وخرب هذه البلاد تنكيز ملك التتر فلم تعمر بعد، وبهذه المدينة مزار الشيخ سعيد المكي وهو معظّم عندهم.

86/3

ووصلنا إلى جبل بَشاي (145)، وضبطه بفتح الباء المعقودة والشين المعجم وألف وياء ساكنة، وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أوْليا، وأطا بفتح الهمزة معناه بالتركية الاب، وأولياء باللسان العربي، فمعناه أبو الأولياء، ويسمّى أيضا سِيصد صَالَه. وسيصد بسين مهمل مكسورة وياء مد وصاد مهمل مفتوح ودال مهمل ومعناه بالفارسية ثلاثمائة، وصاله بفتح الصاد المهمل واللام معناه عام، وهم يذكرون أن عمره ثلاثمائة وخمسون عامًا ولهم فيه اعتقاد حسن ‖ ويأتون لزيارته من البلاد والقرى ويقصده السلاطين والخواتين، وأكرمنا وأضافنا، ونزلنا على نهرٍ عند زاويته، ودخلنا إليه فسلّمتُ عليه وعانقني وجسْمُه رطب لم أر ألين منه، ويظنّ رائيه أن عمره خمسون سنة، وذكر لي أنه في كلّ مايه سنة ينبت له الشعر والأسنان، وأنه رَأى أبارُهْم الذي قبره بمُلتان من السند وسألته عن رواية حديثٍ، فأخبرني بحكايات وشككت في حاله والله أعلم بصدقه.

87/3

ثم سافرنا إلى بَرْوَن (146)، وضبطها بفتح الباء المعقودة وسكون الراء وفتح الواو وآخرها نون، وفيها لقيتُ الأمير بُرُنْطَيه، وضبط اسمه بضم الباء وضم الراء وسكون النون

(144) جبال بنج هير ذكرها الاصطخرى وابن حوقل ... وأشارا إلى أن من معادنها الفضة واللازورد، وكان في بنجهر دار لضرب العملة من الفضة المذابة في اندراب، وتحمل اسماء الخلفاء العباسيين وسلاطين البلاد. وعين الماء الحار لا تزال موجودة حتى اليوم، أما مقبرة المكي التي ذكرها فلم يعثر على أثرها ...
– خليلي : ص 64-65.

(145) يظن الأستاذ خليلي أن (جبل بشاي) يعني (الجبل الصغير) وهو يقع بالقرب من كلبهار ويسميه الأهالي بهذا الاسم... وكان فيه من قديم الزمان ضريح سماه الناس الشيخ العارف، وربما كان هذا المرقد مرقد الشيخ أتّا الذي تلاقى معه ابن بطوطة، ويُذكر أن من جملة اسماء المنطقة في القديم كافِرستان لوجود الكفار بها، وهي تسمى اليوم نورِ استان في وادي بنج هير...

(146) بَرْوَان : تقع عند ملتقى بنج هيروگوربان، 45 ميلا شمال كابُل، ويعتقد بعض المستشرقين أن قلعة الاسكندرية التي بناها الاسكندر كانت بالقرب من بروان وقد ورد الاسم في خريطة الادريسي.

وفتح الطاء المهمل وياء آخر الحروف مسكّن وهاء، وأحسن إليّ وأكرمني.

88/3 وكتب إلى نوابه بمدينة غزنة في إكرامي، وقد تقدم ذكره وذكر ما أُعطي من البسطة في الجسم، وكان عنده جماعة من المشايخ والفقراء أهل الزوايا.

ثم سافرنا إلى قرية الجَرْخ، وضبط اسمها بفتح الجيم المعقود وإسكان الراء وخاء معجم، وهي كبيرة لها بساتين كثيرة، وفواكهها طيبة (147) قدمْناها في أيام الصيف ووجدنا بها جماعة من الفقراء والطلبة، وصلَّينا بها الجمعة وأضافنا أميرها محمد الجَرخِي، ولقيته بعد ذلك بالهند ثم سافرنا إلى مدينة غَزْنة (148)، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سبُكتكين الشهير الإسم، وكان من كبار السلاطين يلقب يمين الدولة، وكان كثير الغزْو إلى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون، وقبره بهذه المدينة، عليه زاوية، وقد خرب معظم هذه البلدة ولم يبق منها إلا يسير، وكانت كبيرة وهي شديدة البرد، والساكنون بها يخرجون 89/3 عنها أيام البرد إلى مدينة القنْدَهار (149)، وهي كبيرة مخصبة ولم أدخلها وبينهما مسيرة ثلاث.

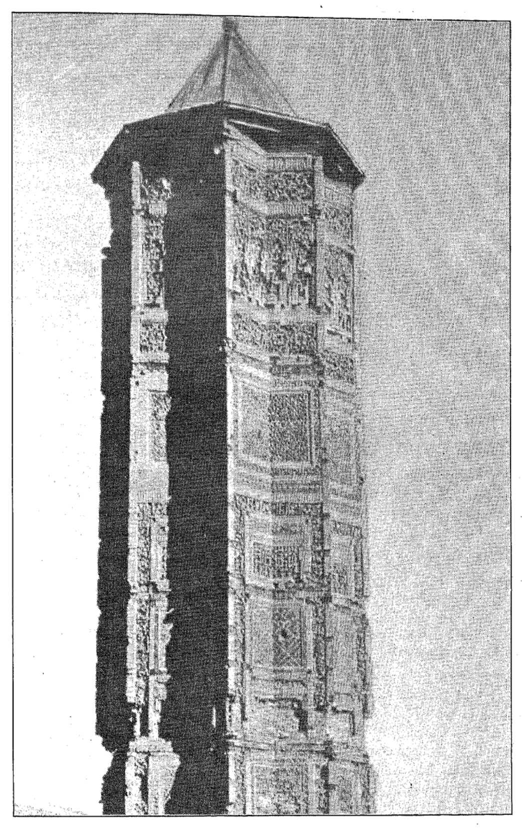
---

(147) الجَرْخ، القصد إلى شاركار على عشرة أميال جنوب بروان، ويلاحظ خليلي أن ابن بطوطة سافر إلى جرخ عبر طريق لا يعرف اليوم، ... وجرخ إحدى قصبات محافظة (لوكر) وكان منها الشيخ سررزي الذي ذكر حكايته مولانا جلال الدين الرومي في (مثنوي) وكذلك كان يعقوب الجرخي الذي كان من خلفاءِ بهاءِ الدين نقشبنْد من جرخ... وفي جرخ مسجد جامع لا شك أن ابن بطوطة صلى فيه الجمعة...

(148) غزنة (GHAZNA) تنطق بالفارسية غَزْني 75 ميلا جنوب غربي كابُل، كانت عاصمة للغزنويين من 381 إلى 582=962-1186، وهم الأتراك الذين مهدوا وبصفة فعالة للفتح الاسلامي للهند. وقد كان الملك الأكثر أهمية في الدولة هو محمود ابن سبُكْتِكين 389-421=999-1030 الذي اشتهر بحملاته الهندية ولذلك لقب بيمين الدولة من لدن الخليفة العباسي القادر.

وبعد وفاته انهارت المملكة في حروبها ضد الغُوريين الذين ينتسبون لبلاد الغور في شرق هرات الأمر الذي أدى إلى خراب غزنة، وقد سجل التاريخ تبادل طائفة من السفراء بين غزنة وبغداد وذكرت مراسيمها وآدابها مما يحتاج لدراسة مشتركة بين مؤرخي بغداد وأفغانستان إن لم يكن بين المؤرخين على العموم... ويكفي أن نسمع عن وجود أكثر من أربعمائة شاعر كانوا في بلاط محمود.!!
وقد ادعى بعض المؤرخين أن جنكيز خان أحرق ضريح السلطان محمود، وها نحن نرى ابن بطوطة يؤكد أنه زار قبره. أضِفْ إلى هذا أن الحفريات التي اجرتها الحكومة الافغانية مؤخرًا أثبتت أنه لم تجر أية تجاوزات على قبر السلطان محمود... خليل الله خليلي ص 71.

(149) قندهار، تقع على 200 ميل نحو الجنوب الغربي، علوها عن سطح يبلغ 1040 متر (انظر الخريطة) بينما علوُّغزنة عن سطح البحر يبلغ 2.220 ميتر، درجة الحرارة في يناير 6.7° بينما هي في قندهار 5-6 وقبل أن تتخذ كابل عاصمة من جديد منذ مائتي سنة كانت عاصمة البلاد حينا بلخ وحينا هرات أو سجستان أو غزنة أو الغُور أو قندهار ... وعندما اتسعت الامبراطورية الأفغانية في عهد أحمد شاه الدراني... ولكي يتمكن تيمور شاه ابن احمد شاه من ادارة المملكة (التي كانت تمتد من دلهي حتى بخارى وإلى القرب من مشهد) نقل العاصمة قندهار إلى كابل وجعلها مركز للامبراطورية ... خليلي.



لقطة من غزنة – منارة مسعود الثالث

ونزلنا بخارج غزنة في قرية هنالك على نهر ماء تحت قلعتها وأكرمنا أميرها مرْذَك أغا (150)، ومرذك بفتح الميم وسكون الراء وفتح الذال المعجم ومعناه الصغير، وأغا بفتح الهمزة والغين المعجم ومعناه الكبير الأصل، ثم سافرنا (151) إلى كابُل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة (152)، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان، ولهم جبال وشعاب، وشوكة قوية، وأكثرهم قطّاع الطريق، وجبلهم الكبير يسمى كُوه سليمان (153)، ويذكر أن نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل، فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي الجبل به، وفيه يسكن ملك الأفغان.

90/3

وبكابُل زاويةُ الشيخ إسماعيل الأفغاني (154) تلميذ الشيخ عبّاس من كبار الأولياء، ومنها رحلنا إلى كَرْماش (155)، وهي حُصين بين جبلين تُقطع به الأفغان، وكنا حين جَوازِنا عليه، نقاتلهم وهم بسفح الجبل ونرميهم بالنّشاب فيفرون، وكانت رُفقتُنا مُخِفَّة، ومعهم نحو أربعة آلاف فرس، وكانت لي جِمال انقطعت عن القافلة لأجلها، ومعي جماعة بعضهم من الأفغان، وطرحنا بعض الزاد، وتركْنا أحمال الجمال التي أعيت بالطريق، وعادت إليها خيلُنا بالغد فاحتملتها.

---

(150) مَرْذَك أغا، لم نجد في المصادر ما يساعد على معرفته وهو في الأغلب من الولاة غير معروف، هكذا يقول خليلي

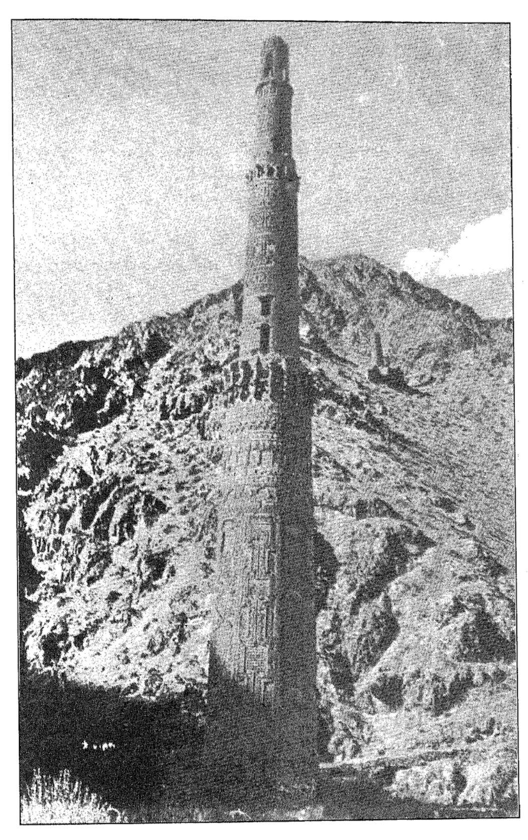
(151) من الصعب أن يتصوّر المرء كيف أن ابن بطوطة قام بزيارة غزنة من بّروان الواقعة شمال كابل 45 ميلا دون أن يعرج على كابل، ولهذا فمن الممكن جدّا أن تكون الفقرة المتعلقة بكابل تقدمت على الفقرة الخاصة بغزنة...

(152) حديث ابن بطوطة عن أهمية كابل في القديم أمر تؤكده أثار الجدران القديمة والقلاع والأبراج التي تشاهد في أعالي الجبلين المشرفين عليها ... وقد تحدث عنها الادريسي على أنها مدينة كبيرة ...لها أسوار ومنَعة، ولها في داخلها قصبة حصينة، وملوك الشاهية لا تتم لهم الولاية الا لمن عقدت له بالملك في كابُل وان كان منها على بعد فلا بدَّ له من المسير إليها حتى تُعقد له الشاهية بالملك ..."!!

(153) سلسلة جبال سليمان التي تشرف على وادي الهندوس توجد نحو جنوب المدينة عندكطا (Quetta) في الباكستان الحالية ... على نقطة فيه تصل إلى 11,295 قدم وتسمى تختِ سليمان أي عرش سليمان...

(154) يتعلق الامر – على ما يبدو – بجابر الانصاري ابن شاعر وفيلسوف هرات أبو اسماعيل عبد الله الأنصاري المتوفى 481=1089 مؤلف كتاب (منازل السائرين) الخ وهو الذي كان هو نفسه تلميذا لأبي الحسن الخرقاني سالف الذكر ...
– خليل الله خَليلي : هرات ج 1، ص 67/66 – ابن بطوطة في افغانستان ص 41.

(155) كرماش بقعة جبلية نحو جنوب شرقي GARDIZ التي تبعد 35 ميلا شرق غزنة هذا ويوجد عوض حصن كلمة حُصين بالتصغير في مخطوطة الخزانة الملكية.



منارة جام في أفغانستان

ووصلنا إلى القافلة بعد العشاء الآخرة فبتْنا بمنزل شَشْنِغار (156)، وهي آخر العمارة مما يلي بلاد الترك.

91/3 ومن هناك دخلنا البرية الكبرى وهي مسيرة خمس عشرة (157)، لا تُدخل إلاّ في فصلٍ واحد وهو بعد نزول المطر بأرض السند والهند وذلك في أوائل شهر يوليه، وتهب في هذه البرية ريح السموم القاتلة التي تعفّن الجسوم حتى أن الرجل إذا مات تفسخ أعضاؤه، وقد ذكرنا أن هذه الريح تهبّ أيضا في البرية بين هرمز وشيراز.(158)

وكانت تقدمت أمامنا رفقةٌ كبيرةٌ فيها خُذَاوَنْد زاده قاضي التِّرمذ فمات لهم جمال وخيل كثيرة، ووصلت رفقتنا سالمةً بحمد الله تعالى إلى بَنج آب (159)، وهو ماء السند، وبَنْج بفتح الباء الموحدة وسكون النون والجيم ومعناه الماء، فمعنى ذلك الأودية الخمسة، وهي تصبّ في النهر الأعظم وتسقي تلك النواحي وسنذكرها إن شاء الله تعالى. 92/3

وكان وصولنا لهذا النهر سلخ ذي الحجة، واستهل علينا تلك الليلة هلال المحرم من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، ومن هنالك كتب المُخبرون بخبرنا إلى أرض الهند وعرّفوا ملكها بكيفية أحوالنا.

وهاهنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر والحمد لله رب العالمين.

* * *

(156) شَشْنِغَار : حدّد هذا العَلَم باقليم هَاشْتْنَگر (HASHTNAGAR) الذي يقع على بعد 16 ميلا شمال شرق بِشاور (PESHAWAR) غربي كاشمير بيد أن هذا لا يتوافق مع التحديد الذي أعطيناه لگرماش كما لا يتناسب مع الحكاية التي سيسوقها ...

(157) هذا المقطع من حديث ابن بطوطة يفيد أن الوسيلة الوحيدة لتحديد الطريق التي سلكها هي أنه غادر غزنة في اتجاه الجنوب عبر غرب سلسلة جبال سليمان سالفة الذكر ثم نحو سهل بلاد السند ووصل نهر الهندوس عند بعض المحطات في اقليم الازكانا... مجموع الاميال التي قطعة 350 ابتداء من النقطة المشار اليها هنا.

(158) انظر II، 237 - RICHARD. R. BURTON : PERSONAL NARRATIVE..., I, 265

(159) بنج بالفارسية (Panj)، ويظهر من ابن بطوطة منذ بداية هذا السفر الاول انه لا يميز بصفة واضحة بين نهر الهندوس كَعَلَم جغرافي وبين الأودية الخمسة : بَنج اب" – عبارة : ماء السند من المحتمل أن تكون استعمالاً فارسيًا.

(160) يوافق هذا التاريخ 12 شتنبر 1333.

الفصل العاشر

الطريق إلى دهلي

- الوصول إلى بنج آب
- من بنج آب إلى سيوستان
- مدينة سيوستان
- من سيوستان إلى مُلتان
- من ملتان إلى أبوهر
- الزراعة في الهند
- من أبوهر إلى أجودهن
- من أجودهن إلى دهلي

الطريق إلى دهلي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله (1) :

ولما كان بتاريخ الغرّة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف ببَنْج آب (2)، ومعنى ذلك : المياه الخمسة، وهذا الوادي من أعظم أودية الدنيا وهو يفيض في أوان الحرّ فيزرع أهل تلك البلاد على فيضه كما يفعل أهل الديار المصرية في فيض النيل، وهذا الوادي هو أول || عمالة السلطان المعظّم محمد شاه ملك الهند والسند، ولما وصلنا إلى هذا النهر جاء إلينا أصحاب الأخبار الموكّلون بذلك وكتبوا بخبرنا إلى قُطب الملك أمير مدينة مُلْتان وكان أميرُ أمراء السند على هذا العهد مملوكَ السلطان يسمى سَرْتَيْز، وهو عَرِض المماليك، وبين يديه تعرض عساكر السلطان، ومعنى إسمه : الحادُّ الرأس، لأن سَرْ بفتح السين المهملة وسكون الراء وهو الرأس، وتَيز بتاء معلوة وياء مدّ وزاي معناه : الحادّ، وكان في حين قدومنا بمدينة سِيوَسِتان من السند، وبينها وبين مُلْتان مسيرة

94/3

(1) تظل المعلومات التي قدمها ابن بطوطة عن الهند عمدةً للذين تحدثوا عن تلك القارة حتى يومنا هذا، ومن العجب أن نرى أبا القاسم الزياني يتحدث عن أنّه أخذ معه عام 1169 = 1756 رحلة ابن بطوطة إلى مكة وسردَها على بعض العلماء الهنود فأنكروا ما جاء فيها من أخبار ملوكهم وأبطلوا بالكلية قضاء ابن بطوطة بالهند ومصاهرته لسلطانهم، وقالوا : هذا غير ممكن ...» نقول من العجب ذلك، لأنه أي الزياني آمن بأقوال قوم غائبين أتوا بعد نحو من خمسة قرون من إفادات ابن بطوطة الذي عاش الأحداث وخبرها... ولم يفُت الشيخ عبد الحي الكتاني أن يبدى استغرابه من «امتداد حقد الزياني إلى من كان قبله بدهور وأجيال ... – الزياني : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً أو بحراً.
تحقيق وتعليق : عبد الكريم الفيلالي 1317 = 1967 نشر وزارة الأنباء ص 244-581 – مخطوط للكتّاني عن القَرويين بفاس رقم 2929.
د. التازي مع ابن بطوطة في بلاد الهند والسند دعوة الحق عدد 287 .2 يبراير 1992 – وعدد 293 أكتوبر 1992.

(2) على نحو مّا علقنا به في ج [illegible] عن ابن بطوطة يبدو أنه لايفرق بين نهر الهندوس (وادي السند) وبين الأنهار الخمسة–الحديث عن السلطان محمد سياتي مستوعباً في الفصل الثاني عشر...

– فتحت بلاد السند في أواخر القرن الأول الهجري عام 94=712 بينما دخل الإسلام بلاد الهند في بداية القرن الخامس الهجري أيام السلطان محمود صاحب غزْنة... تكوّن السند اليوم رابع أقاليم الباكستان الحالية بالُوشيسْتان .N.W.F.P البنجاب ويحتل إقليم السند مركزاً في مجال الاقتصاد الوطني، من مدنه كراتشي حيدر أباد... يلاحظ أن عاصمة السند كانت أيام ابن بطوطة هي مُلتان التي توجد في اقليم البنجاب – نجدد الشكر لسفارة الباكستان بالرباط لتزويدها لنا بالمساعدات المطلوبة.

عشرة أيام، وبين بلاد السند وحضرة السلطان مدينة دهلي مسيرة خمسين يوما، وإذا كتب المخبرون إلى السلطان من بلاد السند يصل الكتاب إليه في خمسة أيام بسبب البريد 95/3

ذكر البريد

والبريد ببلاد الهند صنفان : فأما بريد الخيل فيسمون الوُلاق (3) بضم الواو وآخره قاف، وهو خيلٌ تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، وأما بريد الرجّالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رُتَب، ويسمونها الدّاوة (4) بالدال المهمل والواو، والدّاوة هي ثلث ميل، والميل عندهم يسمى الكُروه (5) بضم الكاف والراء، وترتيب ذلك أن يكون في كلّ ثلث ميل قرية معمورة، ويكون بخارجها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدّين للحركة قد شدّوا أوساطهم، وعند كلّ واحد منهم مقرعةٌ مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى، وخرج يشتد بمنتهى جهده فإذا سمع الرجال 96/3 الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقْرعة حتى يصل إلى الدّاوة الأخرى ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه.

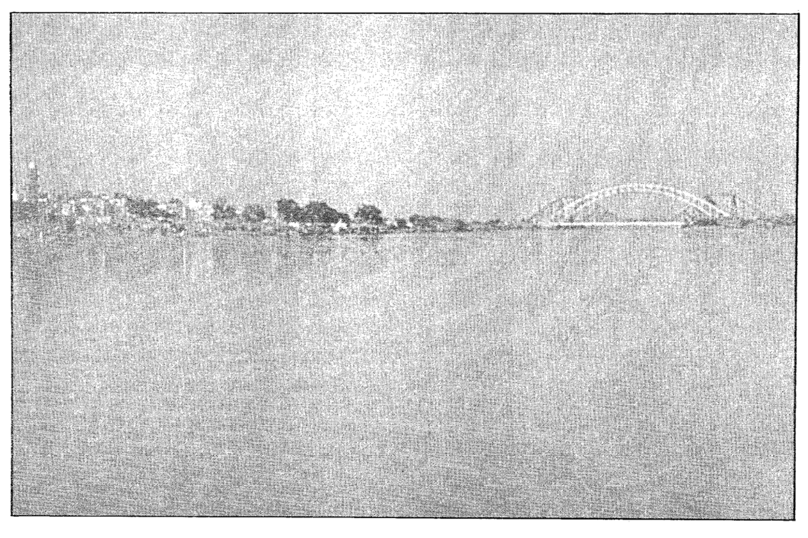
وهذا البريد أسرع من بريد الخيل، وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند، من فواكه خراسان، يجعلونها في الأطباق ويشتدون بها حتى تصل إلى السلطان، وكذلك يحملون أيضا الكبار من ذوي الجنايات، يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويسيرون به شداً، وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان إذا كان بدولة أباد، يحملونه من نهر الكنك الذي تحجّ الهنود إليه.

و هو على مسيرة 97/3 أربعين يوماً منها، وإذا كتب المخبرون إلى السلطان بخبر مَن يصل إلى بلاده، استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك وعرّفوه أنه ورد رجل صورته كذا، ولباسه كذا، وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه، وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كلّه شيئاً، فإذا وصل الوارد إلى مدينة مُلْتان وهي قاعدة بلاد

(3) الولاق : لفظ تركي يستعمل حتى اليوم، والبريد كلمة عربية من أصل لاتيني (VEREDUS) على ما يلاحظه البروفيسور گيب ومعلوم أن البريد كان من مهام الدولة وليس للخواص حق مباشرته، هذا ويلاحظ أنه – على نحو ما قرأناه عن الهند، فإن البريد بالمغرب تميز طوال التاريخ بنظام محكم، وكان فيه البريد العادي والبريد السريع – د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج. 2، 227-232.

(4) الدّاوة : الكلمة من أصل فارسي (Daw) الركْض والجرْي .

(5) الكُروه الكلمة من الأوْردو (Kuroh)، يعني ثلث الفرسخ وإن المعادلة بين هذه المقاييس وبين الميل والكيلوميتر تبقى تقريبية.



نهر السند

يجعلون الرجل المطلوب على سرير ليُبلغوه فوراً لمن طلبه ! – عن المكتبة الوطنية ، باريز

السند أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدومه، وما يجرى له من الضيافة وإنما يُكرم الإنسان على قدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته إذ لا يعرف هنالك، ما حسبُه ولا آباؤه.

98/3 ومن عادة ملك الهند السلطان أبي المجاهد محمد شاه إكرام الغرباء ومحبتهم وتخصيصهم بالولايات والمراتب الرفيعة، ومعظم خواصه وحجابه ووزرائه وقضاته وأصهاره غرباء، ونفَّذ أمره بأن يسمى الغرباء في بلاده بالأعزَّة (6)، فصار لهم ذلك اسماً علماً، ولابدَّ لكّل قادم على هذا الملك من هديةٍ يهديها إليه، ويقدمها وسيلةً بين يديه، فيكافيه السلطان عليها بأضعاف مضاعفة، وسيمرّ من ذكر هدايا الغرباء إليه كثير.

ولما تعوّد الناس ذلك منه صار التجار الذين ببلاد السند والهند يعطون لكل قادم على السلطان الآلاف من الدنانير دَيْنا، ويجهّزونه بما يريد أن يهديه إليه أو يتصرف فيه لنفسه من الدوابّ للركوب والجمال والأمتعة ويخدمونه بأموالهم وأنفسهم، ويقفون بين يديه كالحشم، فإذا

99/3 وصل السلطان أعطاه العطاء الجزيل فقضى ديونهم، ووفاهم حقوقهم، فنفقت تجارتهم، وكثرت أرباحهم، وصار لهم ذلك عادة مستمرة.

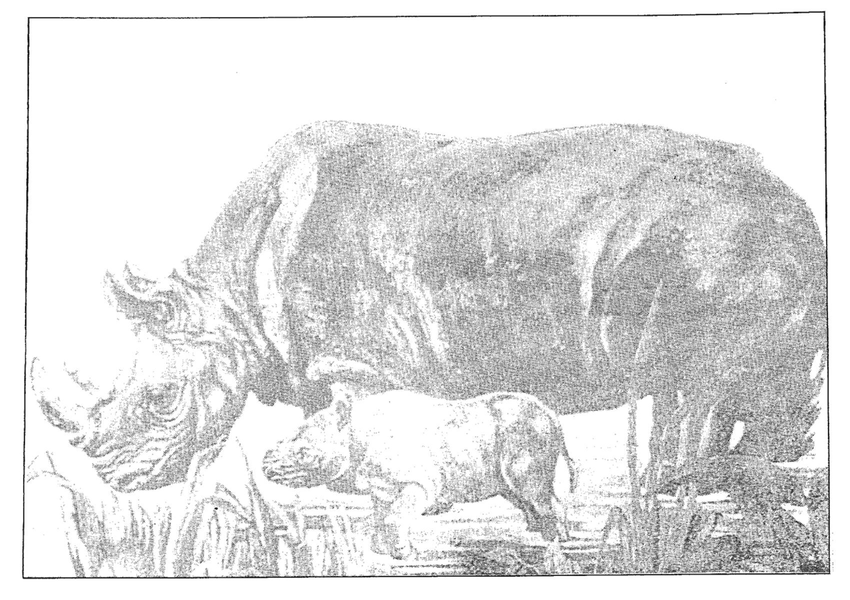
ولما وصلتُ إلى بلاد السند سلكت ذلك المنهج واشتريتُ من التجار الخيل والجمال والمماليك وغير ذلك، ولقد اشتريت من تاجرٍ عراقي من أهل تَكريت يعرف بمحمد الدوري بمدينة غزنة نحو ثلاثين فرساً وجملاً عليه حمل من النّشاب فإنه مما يهدى إلى السلطان، وذهب التاجر المذكور إلى خراسان، ثم عاد إلى الهند، وهنالك تقاضى مني ماله واستفاد بسببي فائدةً عظيمةً وعاد من كبار التجار، ولقيته بمدينة حلب بعد سنين كثيرة وقد سلبني

100/3 الكفار مما كان بيدي فلم ألْق منه خيرا.

ذكر الكَرْكَدّن

ولما أجزنا نهر السند المعروف ببنج آب دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق، لأنه في وسطها، فخرج علينا الكركدن، وصورته أنه حيوان أسود اللون، عظيم الجرم رأسه كبير،

(6) الأعزة جمع عزيز يُعتبر هذا اللفظ من الكلمات الحضارية التي ينبغي أن نقف عندها ونحن نقرأ عن بلاد السند فقد ظل الغريب محل توصية من لدن سائر الذين كتبوا عن معاملة الناس حتى ولو كانوا غير مسلمين ... ونحن نعلم أن ابن السبيل من الأصناف التي تصرف لهم الزكاة ... والطريف الجميل تشجيعُ الغرباء على استثمار أموالهم بل إنَّ السلطان يمكنهم بما يساعدهم على نفاق تجارتهم وربحهم... ومن هنا أخذ التجار في السند والهند يقرضون لكل قادم آلاف الدنانير إلى آخر ما ذكره..



الكركدن يسميه القزويني كركند

متفاوت الضخامة، ولذلك يُضرب به المثل فيقال : الكركدن، رأس بلاً بدَن، وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف، وله قرن واحد، بين عينيه، طوله نحو ثلاثة أذرع، وعرضه نحو شبر، ولما خرج علينا عارضه بعض الفرسان في طريقه، فضرب الفرس الذي كان تحته بقرنه فأنفذ فخذه وصرعه، وعاد إلى الغيضة، فلم نقدر عليه!

وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذه الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الأرض، فلما قصدناه هرب منا، ورأيته مرة أخرى ونحن مع ملك الهند، دخلنا غيضة قَصَب، وركب السلطان على الفيل وركبنا معه الفيَلة، ودخلت الرّجالة والفرسان فأثاروه وقتلوه واستاقوا رأسه إلى المحلة. 101/3

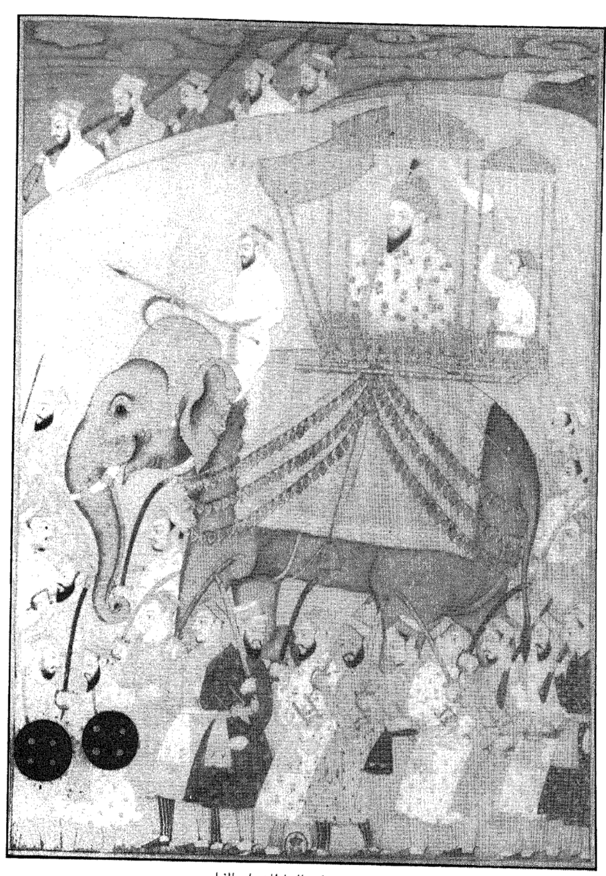
وسرنا من نهر السِّند يومين، ووصلنا إلى مدينة جَناني(7)، وضبط إسمها بفتح الجيم والنون الأولى وكسر الثانية، مدينة كبيرة حسنة على ساحل نهر السند لها أسواق مليحة، وسكانها طائفة يقال لهم : السَّامرة (8)، استوطنوها قديماً واستقر بها أسلافهم، حين فتحها على أيام الحجاج بن يوسف حسبما أثبت المؤرخون في فتح السند، وأخبرني الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد ركن الدين بن الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين بن الشيخ الإمام العابد الزاهد بهاء الدّين زكرياء (9) القرشي، وهو أحد الثلاثة الذين أخبرني الشيخ الولي الصالح برهان الدين الأعرج بمدينة الإسكندرية أني سألقاهم في رحلتي فلقيتهم، والحمد لله أن جدّه الأعلى كان يسمى بمحمد بن قاسم القرشي (10)، وشهد فتح السند في العسكر الذي بعثه لذلك الحجاج بن يوسف أيام إمارته على العراق وأقام بها وتكاثرت ذرّيته. 102/3

(7) لم نقف على أثر لهذا المدينة : (جناني) ويظهر حسب الوصف الذي قدمه أنَّها تقع شمال مدينة سيوَستان وأن تحديدها بمدينة هلاني (Halani) من قبل بعض الباحثين أمر مريب.

(8) يتعلّق الأمر بسُومْرا (Sumra) : قبيلة راجْبوت RAJPUT التي يظهر أنها بسطت نفوذها في بلاد السِّند بعد إنهزام السلطان مسعود بن السلطان محمود صاحب غزنة، أمام السلجوقيين عام = 1040 431 وهم هندوس اعتنقوا الإسلام في آخر المطاف وإن التطورات المروية هنا ليست بغريبة عندما يتغير الحكم من دولة إلى أخرى ...

(9) بهاء الدين زكريا 579-665 = 1183 - 1267 هو الرسول والسفير الذي بعثه شهاب الدين أبو حفص عُمر السُّهْرَوَرْدي إلى الهند، وهو مؤسس الطريقة السُّهروردية بالهند، ولده صدر الدين (وليس شمس الدين، المتوفى عام 684 = 1285، وحفيده ركن الدين المتوفى عام 775 = 1335، كوَّنوا جميعهم السلسلة الوارثة للطريقة في مُلْتان ج II، 48 – ابن بطوطة أهمل القول حول ما إذا كان لقى هذا الشيخ في جناني أو في ملتان كما يظهر...

(10) عماد الدين محمد بن قاسم، ابن عمّ للحجاج، فتح بلاد السند عام 94 = 712، ولكن بهاء الدين أرسل إلى خراسان بالهند من لدن السُّهْرَوَرْدي حسبما ورد عند الذين ترجموه ...



موكب السلطان على الفيل

وهؤلاء الطائفة المعروفون بالسامرة لا يأكلون مع أحد ولا ينظر إليهم أحد حين يأكلون ولا يصاهرون أحدًا من غيرهم ولا يصاهر إليهم أحد وكان لهم في هذا العهد أمير يسمى وُنار بضم الواو وفتح النون، وسنذكر خبره.

103/3 ثم سافرنا من مدينة جَناني إلي أن وصلنا إلى مدينة سِيوَسِتان (11)، وضبط إسمها بكسر السين الأول المهمل وياء مد وواو مفتوح وسين مكسور وتاء معلوة وآخره نون، وهي مدينة كبيرة وخارجها صحراء ورمال، ولا شجر بها إلا شجر أم غيلان، ولا يزرع على نهرها شيء ما عدا البطيخ، وطعامهم الذرة والجُلُبّان، ويسمونه المُشنُك (12)، بميم وشين معجم مضمومين ونون مسكن، ومنه يصنعون الخبز، وهي كثيرة السمك والألبان الجاموسية، وأهلها يأكلون السَّقَنْقور وهي دُويبّة شبيهة بأم جُبين التي يسميها المغاربة حُنَيْشة الجنّة إلا أنها لا ذَنَب لها، ورأيتهم يحفرون الرمل ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون بما فيه، ويحشونه بالكُركُم، وهم يسمونه زَرْدَشوبَة (13)، ومعناه العود الأصفر، وهو عندهم، عوض الزعفران، ولما رأيت تلك الدّويبّة، وهم يأكلونها، استقذرتُها فلم آكلها !

104/3 ودخلنا هذه المدينة في احتدام القيظ، وحرّها شديد (14)، فكان أصحابي يقعدون عريانين، يجعل أحدهم فوطة على وسطه، وفوطة على كتفيه مبلولة بالماء فما يمضي اليسير من الزمان حتى تيبس تلك الفوطة فيبلها مرة أخرى، وهكذا أبداً.

ولقيت بهذه المدينة خطيبها المعروف بالشيباني وأراني كتاب أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لجدّه الأعلى بخطابة هذه المدينة، وهم يتوارثونها من ذلك العهد إلى الآن ونص الكتاب : هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان

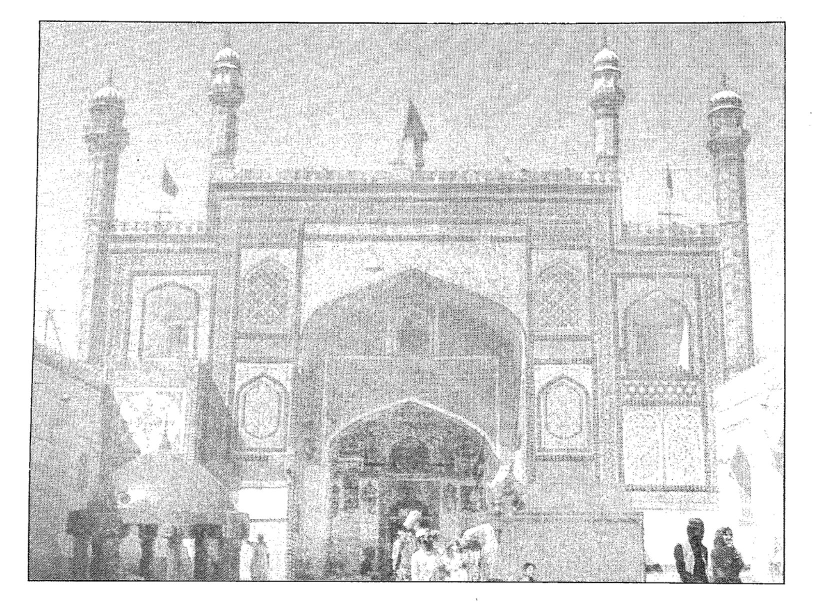
---

(11) سيوَسِتان (SEHWAN) مدينة صغيرة على بعده 12ميلا شمال كراتشي على بضع مسافة من نهر الهندوس (السند).

(12) المُشك كلمة فارسية الأصل (Mushang) نوع من الحبوب – القصد بالذّرة ليس إلى الأمريكية ولكن إلى الذّرة التي تنعت في المغرب بالبيضاء، وهناك ذرة دكناء هي : أُنْلي.

(13) باللغة الفارسية (Zard Tchuba) – أم جبَّين : صنِّفت على أنها الوزغ (Lezard) أو ذكر الحرباء (Chameleon) وحنيشة الجنة : تطلق فعلاً على الوزغ الذي يعْلق بالجدران. وقد قيل عن السقنقور أنه ضرب الزحافات يشبه الجردون

(14) المفروض أنَّ وصول ابن بطوطة إلى سيوسِتان يوم 12 شتنبر فهل صادف مثلَ هذا الحر الشديد ؟ هذه الأسئلة يضعها بعض المعلقين...



مدينة سيوستان

وتاريخه سنة تسع وتسعين (15)، وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : الحمد لله وحده (16)، على ما أخبرني الخطيب المذكور. 105/3

ولقيت بها أيضا الشيخ المعمّر محمد البغدادي، وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المِرَنْدِي وذُكر أن عمره يزيد على مائة وأربعين سنة، وأنه حضر لقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس رضي الله عنهم لما قتله الكافر هُلَاوُن بن تنكيز التَّتري، وهذا الشيخ على كبر سنه قوي الجثّة يتصرف على قدميه.

• حكاية [الجلود المصلوبة] :

كان يسكن بهذه المدينة الأمير وُنار السامري الذي تقدم والأمير قيصر الرُّومي، وهما في خدمة السلطان ومعهما نحو ألف وثمانمائة فارس، وكان يسكن بها كافر من الهنود اسمه رتَن، بفتح الراء وبفتح التاء المعلوة والنون، وهومن الحُذّاق بالحساب والكتابة، فوفد على ملك الهند مع بعض الأمراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند، وولاه بتلك البلاد وأقطعه سِيَوسِتان وأعمالها، وأعطاه المراتب، وهي الأطبال والعلامات كما يُعطي كبار الأمراء. 106/3

فلما وصل إلى تلك البلاد عظم على وُنار وقيصر وغيرهما تقديم الكافر عليهم فأجمعوا على قتله. فلما كان بعد أيام من قدومه أشاروا عليه بالخروج إلى أحواز المدينة ليتطلّع على أمورها فخرج معهم، فلما جنّ الليل أقاموا ضجة بالمحلة (17) وزعموا أن السبع ضرب عليها، وقصدوا مضرب الكافر، فقتلوه وعادوا إلى المدينة، فأخذوا ما كان بها من مال

(15) لم يكن غريبا علينا اهتمام عمر بن عبد العزيز بأمر المساجد سيما ونحن نعلم أنه هو الذي اشتغل على مسجد الرسول عليه الصلوات في المدينة المنورة بعد أن استجاب ملك الروم للسفارة التي بعث بها الوليد بن عبد الملك إلى بيزنطة عام 88 هـ لطلب الخبرة الفنية. المقريزي الذهب المسبوك القاهرة 1955 ص 30 ولهذا لا أرى مبررا لاستبعاد الزميل كيب أن تصدر هذه الوثيقة عام 98 هـ من الخليفة عمر عبد العزيز حول هذا الموضوع !

(16) من المحتمل جدا أن علامة توقيع خلفاء الدولة الموحدية بالمغرب، والتي هي : (والحمد لله وحده) التي كانوا يكتبونها بخط أيديهم. من المحتمل أن تكون مستوحاة من توقيع أمير المؤمنين عمربن عبد العزيز الذي كان يكتب بخط يده كما نرى : الحمد لله وحده ...

(17) يعتبر ابن بطوطة المصدر الوحيد لهذه الثورة، ويظهر أن هناك علاقةً لصعود أسرة راجبوت سامّا Rajput Samma للحكم بإقليم السند حيث كوّنت سلسلة حكام يحملون لقب جام كان أولهم جام وُنار.

القصد بُهلاون هولاكو. Gibb : the Travels III P. 599 - Note 21 - Houlagou

السلطان وذلك إثنا عشر لكا، واللّك : مائة ألف دينار، وصرف اللّك عشرة آلاف دينار من
107/3 ذهب الهند، وصرف الدينار الهندي ديناران ▒ ونصف دينار من ذهب المغرب (18)، وقدّموا
على أنفسهم وُنار المذكور، وسموه ملك فيروز، وقسم الأموال على العسكر، ثم خاف على
نفسه لبعده عن قبيلته، وقدم الباقون من العسكر على أنفسهم قيصر الرومي.

واتصل خبرهم بعماد الملك سَرْتِيْز مملوك السلطان، وهو يومئذ أمير أمراء السند،
وسكناه بمُلتان، فجمع العساكر وتجهز في البر وفي نهر السند، وبين ملتان وسِيوَسْتان عشرة
أيام، وخرج إليه قيصر فوقع اللقاء، وانهزم قيصر، ومن معه أشنع هزيمة وتحصنوا بالمدينة،
فحصرهم ونصب المجانيق عليهم واشتد الحصار، فطلبوا الأمان بعد أربعين يوماً من نزوله
108/3 عليهم، فأعطاهم ▒ الأمان، فلما نزلوا إليه غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم، فكان كل يوم
يضرب أعناق بعضهم، ويوسِّط بعضهم، ويسلخ آخرين منهم، ويملأ جلودهم تبنا ويعلقها على
السور فكان مُعظمه علّيْه تلك الجلود مصلوبة ترعب من ينظر إليها، وجَمّع رؤوسهم في وسط
المدينة فكانت مثل التل هنالك! ونزلتُ بتلك المدينة إثر هذه الوقيعة بمدرسة فيها كبيرة، وكنت
أنام على سطحها فإذا استيقظت من الليل أرى تلك الجلود المصلوبة فتشمئز النفس منها،
ولم تطب نفسي بالسكنى بالمدرسة، فانتقلت عنها، وكان الفقيه الفاضل العادل علاء الملك
109/3 الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضي هراة في متقدم التاريخ، قد وفد ▒ على ملك الهند
فولاه مدينة لاهري وأعمالها من بلاد السند، وحضر هذه الحركة مع عماد الملك سَرْتِيز بمن
معه من العساكر فعزمت على السفر معه إلى المدينة لاهري وكان له خمسة عشر مركبا قدم
بها في نهر السند تحمل أثقاله فسافرت معه.

ذكر السفر في نهر السند وترتيب ذلك

وكان للفقيه علاء الملك في جملة مراكبه مركب يعرف بالأَهَوْرَة، بفتح الهمزة والهاء
وسكون الواو وفتح الراء، وهي نوع من الطريدة عندنا، إلا أنها أوسع منها وأقصر (19)،

(18) كانت العملة المستعملة من لدن مملكة دهلي تتكون على ذلك العهد بصفة أساسية من عملتين أثنتين تسميان معا تنكا Tanka : واحدة ذهبية تزن تسعة گرامات، والثانية فضية تزن 9,3 الأولى تساوي رسمياً عشر مرات قيمة الثانية، وابن بطوطة يسمي الأولى تنكا، والثانية يسميها دينار.

MAHDI Husain : muhammad b. Tughluq, London 1938 p. 233 - 238:

(19) هكذا في النص العربي : طريدة، وهو ما يعني نوعاً من السفن المستعملة في البحر المتوسط يَحمل الخيول والبضائع الثقيلة (107, IV). يختلف تمام الاختلاف عما ترجم به الناشران (D.S.) (Tartane) الذي يعني مركبا خفيفا له صاري واحد يسميه الهنود هورى : Huri : مركب للصيد.
هنا يبتدئ ابن بطوطة رحلته النهرية، في انتظار وصول الإذن له بدخول الهند ويخترق بلادّ السند عن طريق هذا النهر الذي يحمل اسم السند، مسافة طويلة نحو الجنوب.

حبل الجذب

العارضة

الذراع

الكفة بها
المقذوف

القاعدة

المنجنيق

وعلى نصفها معرَّش من خشب يصعد له على درج، وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الأمير ويجلس أصحابه بين يديه ويقف المماليك يَمنةً ويسرةً والرجال يقذِّفون وهم نحو ‖ أربعين، ويكون من هذه الأَهْوْرة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها اثنان منها فيها مراتب الأمير، وهي العلامات والطبول والأبواق والأنفار والصرّنايات، وهي الغيطات، والآخران فيهما أهل الطرب، فتضرب الطبول والأبواق نوبة، ويغني المغنون نوبة، ولا يزالون كذلك من أول النهار إلى وقت الغَداء.

110/3

فإذا كان وقت الغداء انضمّت المراكب واتصل بعضها ببعض ووضعت بينهما الإصقالات (20) وأتى أهل الطرب إلى أَهْوْرَة الأمير فيغنون إلى أن يفرغ من أكله، ثم ياكلون، وإذا انقضى الأكل عادوا إلى مركبهم، وشرعوا أيضا في المسير على ترتيبهم إلى الليل، فإذا كان الليل ضربت المحلة على شاطئ النهر ونزل الأمير إلى مضاربه، ومُدّ ‖ السّماط وحضر الطعام معظم العسكر، فإذا صلوا العشاء الأخيرة سَمَر السُمَّار بالليل نُوَبا، فإذا أتم أهل النوبة من نوبتهم نادى منادٍ منهم بصوت عال : يا خَوَنْدَ ملِك، قد مضى من الليل كذا من الساعات، ثم يسمر أهل النوبة الأخرى فإذا أتموه نادى مناديهم أيضا معلما بما مرّ من الساعات، فإذا كان الصبح ضربت الأبواق والطبول وصليت صلاة الصبح وأُتِي بالطعام، فإذا فرغ الأكل أخذوا في المسير، فإن أراد الأمير ركوب النهر ركب على ماذكرناه من الترتيب، وإن أراد المسير في البرّ ضربت الأطبال والأبواق وتقدم حجابه ثم تلاهم المشّاؤون بين يديه، ويكون بين أيدي الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم ‖ أطبال قد تقلدوها وعند ثلاثة صُرَّنايات فإذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الأرض مرتفع ضربوا تلك الأطبال والصرّنايات، ثم تضرب أطبال العسكر وأبواقه، ويكون عن يمين الحُجّاب ويسارهم المغنون ويغنون نُوَبا، فإذا كان وقت الغداء نزلوا.

111/3

112/3

وسافرت مع علاء الملك خمسة أيام، ووصلنا إلى موضع ولايته وهو مدينة لاهَري،

(20) الاصقالات : ألواح تنصب بين المراكب للمُرور عليها، واللفظ له صلةٌ بكلمة الصقالات ج(صقالة) : البرج، وقد ورد ذكر هذا اللفظ في كتب التاريخ المغربي ويقصد بها شبه بروج تربط الصلة مع قطع الأسطول ... والكلمة من أصلٍ إيطالي (SCALA).

– ابن علي الدكالي : الاتحاف الوجيز، ص 65، منشورات الخزانة الصبيحية، 1406.

وضبط إسمها بفتح الهاء وكسر الراء، مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير (21)، وبها يصب نهر السند في البحر فيلتقي بها بحران، ولها مرسى عظيم يأتي إليه أهل اليمن وأهل فارس وغيرهم، وبذلك عظمت جباياتها، وكثرت أموالها. أخبرني الأمير علاء الملك المذكور أن مجْبَا هذه المدينة ستون لِكاً في السنة، وقد ذكرنا مقدار اللّك، وللأمير من ذلك نِمْ دَهْ يك، ومعناه نصف العشر، وعلى ذلك يعطي السلطان البلادَ لعمّاله يأخذون منها لأنفسهم نصف العشر. 113/3

• ذكر غريبة رأيتها بخارج هذه المدينة.

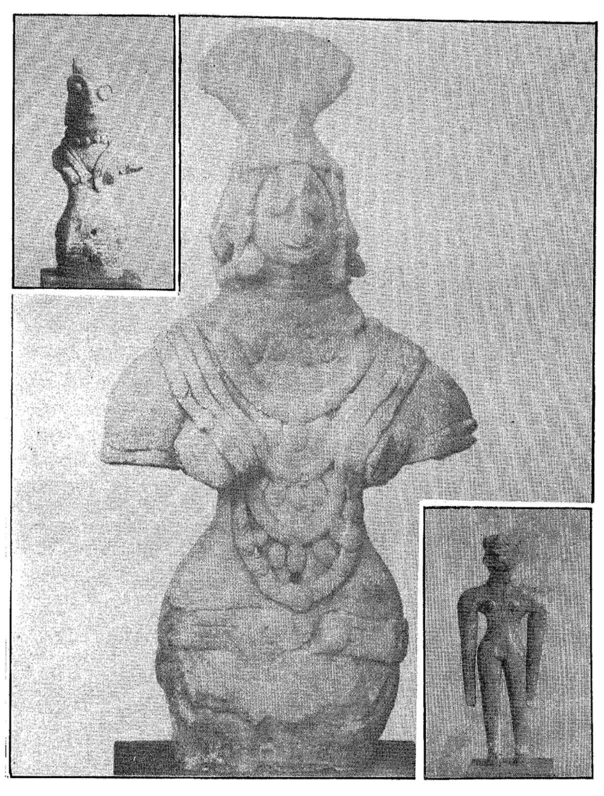
وركبت يوماً مع علاء الملك فانتهينا إلى بسيط من الأرض على مسافة سبعة أميال منها يعرف بتَارْنا، فرأيت هنالك ما لا يحصره العدّ من الحجارة مثل صور الأدَميين والبهائم (22)، وقد تغير كثير منها ودثرت أشكاله فيبقى منه صورة رأس أو رجل أو سواهما، ومن الحجارة أيضا صور الحبوب من البُر والحمّص والفول والعدس، وهنالك آثار سور وجدران دور، ثم رأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة وفي وسطه دكانة حجارة منحوتة كأنها حجر واحد، عليها صورة أدمي إلا أن رأسه طويل، وفمه في جانب من وجهه، ويداه خلف ظهره كالمكتوف. 114/3

وهنالك مياهٌ شديدة النتن، وكتابة على بعض الجدران بالهندي، وأخبرني علاء الملك أن أهل التاريخ يزعمون أن هذا الموضع كانت فيه مدينة عظيمة، أكثر أهلها الفساد فمسخوا حجارة! وأن ملكهم هو الذي على الدكانة في الدار التي ذكرناها وهي إلى الآن تسمى دار الملك وأن الكتابة التي في بعض الحيطان هنالك بالهندي هي تاريخ هلاك أهل تلك المدينة وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها.

---

(21) العاصمة لاهري (Lahari) هذه المدينة المعروفة تحت إسم لارًّ بندر Larrybunder توجد على بعد 28 ميلا، جنوب شرقي كراتشي حيث يصب نهر السند في بحر العرب (أنظر الخريطة)، وبمرور الأيام عوضتها (أي لاَهري) حوالي سنة 1800 شَهْبندر، ثم كراتشي أقصى الجنوب عند مصب نهر السند في بحر العرب ولم تلبث أن تحولت العاصمة إلى أقصى الشمال تحت اسم اسلام أباد غرب المنطقة المتنازع عليها مع الهند : كاشمير ... هذا وكلّ المخطوطات التي نتوفر عليها تحمل بوضوح تام هذه العبارة (نِمْ دَه يك) على نحو ما يوجد في المخطوطات الباريزية، ويرى الأستاذان الناشران D.S. أن يكون هكذا : (ده يك) التي تعني العُشُر ... ويستدلان على هذا الاجتهاد منهما بما ورد في بعض المصادر الفارسية التي تتحدث عن ده يك III، (459 تعليق 112 من D.S.).

(22) حول تارنا : التعريف الوحيد الممكن هو أن نقول إن القصد إلى الأطلال المسماة : مُورَامَاري (Mora MARI) التي تقع على بعد ثمانية أميال شمال شرق لاهري.



التماثيل...

وأقمت بهذه المدينة مع علاء الملك خمسة أيام ثم أحسن في الزاد وانصرفت عنه إلى مدينة ‖ بَكار (23)، بفتح الباء الموحدة، وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند، وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر عمَّرها كَشْلُوخان أيام ولايته على بلاد السند، وسيقع ذكره. 115/3

ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي، ولقيت بها قاضيها المسمى بأبي حنيفة، ولقيت بها الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمَّرين : ذكَرَ لي أن سنه يزيد على مائة وعشرين عاماً.

ثم سافرت من مدينة بَكار فوصلت إلى مدينة أُوجَه (24)، وضبط إسمها بضم الهمزة وفتح الجيم، وهي مدينة كبيرة على نهر السند، لها أسواق حسنة وعمارة جيدة، وكان الأمير بها إذ ذاك الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجي أحد الشجعان الكرماء، وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها عن فرسه ‖ . 116/3

مكرمة لهذا الملك

ونشأتْ بيني وبين هذا الملك الشريف جلال الدين مودة، وتأكدت بيننا الصحبة والمحبة، واجتمعنا بحضرة دهلي، فلما سافر السلطان إلى دولة أباد، كما سنذكره، وأمرني بالإقامة بالحضرة، قال لي جلال الدين، إنك تحتاج إلى نفقة كبيرة، والسلطان تطول غيبته فخذ قريتي واستغلها حتى أعود، ففعلت ذلك واستغللت منها نحو خمسة آلاف دينار جزاه الله أحسن جزائه.

ولقيت بمدينة أُوجَه الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوي (25)، وألبسني الخرقة، وهو من كبار الصالحين ولم يزل الثوب الذي ألبسنيه معي إلى أن سلبني كفار الهنود في البحر (26).

---

(23) بَكّار القصد إلى جزيرة – بْهاخار (BHAKHAR) جزيرة محصنة على نهر السند تقع بين مدينة سكور SUKKUR ومدينة رُوهْري ROHRI على بعد 110 أميال، من سيبوستان (Schwan) سالفة الذكر.

(24) أوجه (Uch) على طريق ملتان جنوبها وفي غرب ولاية بَهَا وَلْبور (أنظر الخريطة) (Bahawalpur) كانت على ذلك العهد مركزاً إسلامياً هاماً تحتضن، فيمن تحتضنه الشيخ جلال الدّين البخاري (1199 - 1291) وهو من عيون السّهروردية ...

(25) لم نقف على ترجمة حيدر العلوي، كما ولا نعرف إلى أي طريقة صوفية ينتسب ولو أننا نعرف أن مدينة (أوجه) كان مركزا للسُّهروردية، والنسبة إلى الإمام على كرم الله وجهه لا تعني بالضرورة إنه منحدر من فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلوات فقد كان للإمام عليّ زوجات أُخَر ...

(26) يتحدث هنا عن سلبه في البحر بينما يتحدث في (10,IV) عن سلّبه في الغاب...

ثم سافرت من مدينة أوجة إلى مدينة مُلتان (27)، وضبط إسمها بضم الميم وتاء معلوة، وهي قاعدة بلاد السند ومسكن أمير أمرائه، 117/3

وفي الطريق إليها على مسافة عشرة أميال منها الوادي المعروف بخُسْرو آباد، وهو من الأودية الكبار لا يجاز إلا في المركب (28)، وبه يبحث عن أمتعة المجتازين أشد البحث، وتُفتش رحالهم، وكانت عادتهم في حين وصولنا إليها أن يأخذوا الرُّبع من كل ما يجلبه التجار ويأخذوا على كل فرس سبعة دنانير مغرماً، ثم بعد وصولنا للهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم (29)، وأمر أن لا يوخذ من الناس إلا الزكاة والعشر لما بايع للخليفة أبي العباس العباسي.

ولما أخذنا في إجازة هذا الوادي وفتشت الرحال عظم عليّ تفتيش رحلي لأنه لم يكن فيه طائل، وكان يظهر في أعين الناس كبيراً فكنت أكره أن يُطَّلَعَ عليه، ومن لطف الله تعالى أن وصل أحد كبار الأجناد من جهة قُطب الملك صاحب مُلْتان، فأمر أن لا يُعرض لي ببحث ولا تفتيش فكان كذلك، فحمدت الله على ما هيأه لي من لطائفه. 118/3

وبتنا تلك الليلة على شاطئ الوادي، وقدم علينا في صبيحتها ملك البريد واسمه دَهقان وهو سمرقندي الأصل، وهو الذي يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة وعمالتها وما يحدث بها ومن يصل إليها، فتعرفت به، ودخلت في صحبته إلى أمير مُلْتان.

ذكر أمير مُلتان وترتيب حاله

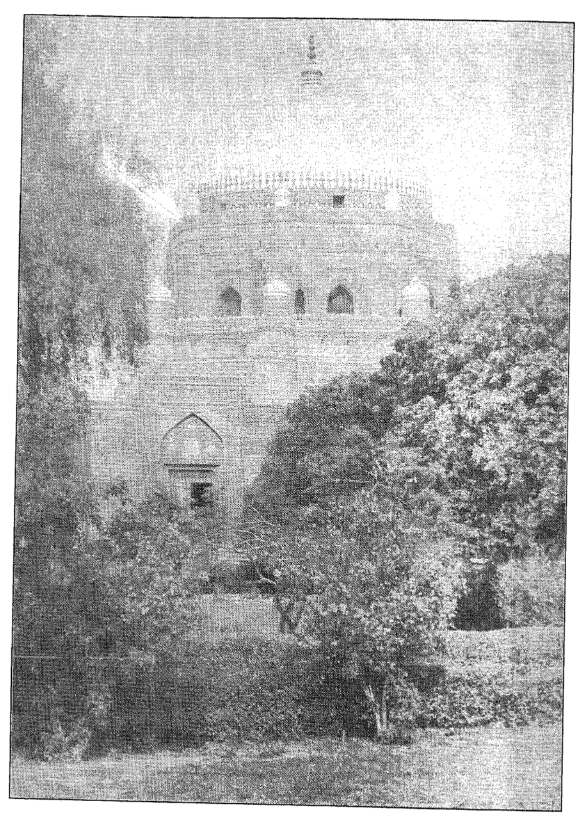
وأمير ملتان هو قطب المُلك من كبار الأمراء وفضلائهم، ولما دخلت عليه قام إليّ وصافحني وأجلسني إلى جانبه، وأهديت له مملوكاً وفرساً وشيئاً من الزَّبيب واللوز وهومن أعظم ما يُهدى إليهم لأنه ليس ببلادهم، وإنما يجلب من خراسان. 119/3

---

(27) ملتان (Multan) أعتنقت منذ الفتوحات الأولى دين الإسلام عام 94 هـ = 713م وقد أصبحت أحد المراكز الإسلامية في السند – كانت عاصمة للسند أيام ابن بطوطة، وتقع ضمن البنجاب.

(28) وادي خسرو آباد يقصد به وادي (راوي Ravi) أحد الأودية الخمس لنهر الهند يمر على مقربة من لاهورمنطقة البنجاب ولم نعرف معنى الإسم الغريب الذي أورده ابن بطوطة للوادي : خسرو أباد.

(29) يلاحظ المعلقون أن هذا المرسوم أو الظهير إنما صدر بتاريخ 741 = 1341 وليس سنتين بعد وصول ابن بطوطة للهند، على أن «الخليفة العباسي» المشار إليه إنما عين خليفة في الأيام الأخيرة لهذه السنة صيف 1341. هذا وينبغي التنبيه إلى أن عبارة (سنتين)، تقتضي تعويضها بكلمة (سِنين) فإن لم تكن هفوة من الناسخ فهي سهو من ابن بطوطة !



(ملتان) التي كانت عاصمة السند

وكان جلوس هذا الأمير على دكانة كبيرة، عليها البُسط وعلى مقربة منه القاضي، ويسمى سالار، والخطيب ولا أذكر اسمه، وعن يمينه ويساره أمراء الأجناد وأهل السلاح وقوف على رأسه والعساكر تعرض بين يديه.

وهنالك قِسِيٌّ كثيرة، فإذا أتى من يريد أن يثبت في العسكر راميًا أعطى قوساً من تلك القسي ينزع فيها، وهي متفاوتة في الشدة فعلى قدر نزعه يكون مرتّبه، ومن أراد أن يثبَّت فارسًا فهنالك طبلة منصوبة فيُجري فرسه ويرميها برمحه، وهنالك أيضا خاتم معلَّق من حائط صغير فيجري فرسه حتى يحاذيه، فإن رفعه برمحه ‖ فهو الجيّد عندهم، ومن أراد أن يثبَّت رامياً فارساً فهنالك كرة موضوعة في الأرض فيجري فرسه ويرميها، وعلى قدر ما يظهر من الإنسان في ذلك من الإصابة يكون مرتَّبه. 120/3

ولما دخلنا على هذا الأمير وسلّمنا عليه كما ذكرناه أمر بإنزالنا في دار خارج المدينة هي لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين الذي تقدم ذكره، وعادتهم أن لا يضيفوا أحدا حتى يأتي أمر السلطان بتضييفه.

ذكر من اجتمعت به في هذه المدينة من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند.

فمنهم خُذاوند زاده قوام الدين قاضي ترمذ، قدم بأهله وولده، ثم ورد عليه بها إخوته عماد الدين وضياء الدين وبرهان الدين، ومنهم مبارك شاه أحد ‖ كبار سمرقند، ومنهم أُرُن بغا أحد كبار بخارى، ومنهم ملك زاده ابن أخت خذاوند زاده، ومنهم بدر الدين الفصّال، وكل واحد من هؤلاء معه أصحابه وخدّامه واتباعه. 121/3

ولما مضى من وصولنا إلى مُلتان شهران وصل أحد حجّاب السلطان وهو شمس الدين البوشنجي والملك محمد الهروي الكُتْوال (30)، بعثهما السلطان لاستقبال خُذاوند زاده وقدم معهم ثلاثة من الفتيان بعثتهم المخدومة جِهان، وهي أم السلطان، لاستقبال زوجة خُذاوند زاده المذكور وأتوا بالخلع لهما ولأولادهما ولتجهيز من قدم من الوفود، وأتوا جميعا إليَّ وسألوني : لماذا قدمت ؟ فأخبرتهم أني قدمت للإقامة في خدمة خوند عالَم وهو‖السلطان وبهذا يُدعى في بلاده. 122/3

(30) حول ركن الدين انظر III، 101 – حول بُرهان الدّين أنظر III، 58 – الكُتوال تعبير أردُو يعني رئيس الشرطة.

وكان أمر أن لا يترك أحد ممن يأتي من خراسان يدخل بلاد الهند إلا إن كان برسم الإقامة، فلما أعلمتهم أني قدمت للإقامة استدعوا القاضي والعدول وكتبوا عقداً عليَّ وعلى من أراد الإقامة من أصحابي وأبى بعضهم من ذلك.

وتجهَّزنا للسفر إلى الحضرة، وبين مُلتان وبينها مسيرة أربعين يوماً في عمارة متصلة وأخرج الحاجب وصاحبه الذي بُعِث معه ما يحتاج إليه في ضيافة قوام الدين واستصحبوا من مُلتان نحو عشرين طبَّاخاً وكان الحاجب يتقدم ليلا إلى كل منزل، فيجهّز الطعام وسواه فما يصل خُذاوَنْد زاده حتى يكون الطَّعام متيسِّرا، وينزل كل واحد ممن ذكرناهم من الوفود على حدة ‖ بمضاربه وأصحابه، وربَّما حضروا الطعام الذي يصنع لخُذاوَنْد زاده، ولم أحضره أنا إلا مرة واحدة.

123/3

وترتيب ذلك الطعام أنهم يجعلون الخبز، وخبزهم الرّقاق، وهو شبه الجراديق، ويقطعون اللَّحم المشوي قطعاً كباراً بحيث تكون الشاة أربع قطع أو ستّاً، ويجعلون أمام كل رجل قطعة ويجعلون أقراصا مصنوعة بالسَّمن تشبه الخبز المشرّك (31) ببلادنا، ويجعلون في وسطها الحلواء الصَّابونية (32)، ويغطون كل قرص منها برغيف حلواء يسمونه الخِشْتي ومعناه الأَجُري، مصنوع من الدقيق والسكر والسمن، ثم يجعلون اللحم المطبوخ بالسمن والبصل والزنجبيل الأخضر في صحاف صينية، ثم يجعلون شيئاً يسمونه سَمُوسِك (33)، وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والآبازير، موضوع في جوف رقاقة ‖ مقلوّة بالسمن، يضعون أمام كل إنسان خمسَ قطع من ذلك أو أرْبعا، ثم يجعلون الأرز المطبوخ بالسمن وعليه الدجاج، ثم يجعلون لقُيْمات القاضي ويسمونها الهاشمي ثم يجعلون القاهرية.

124/3

ويقف الحاجب على السّماط قبل الأكل ويخدم إلى الجهة التي فيها السلطان، ويخدم جميع من حضر لخدمته، والخدمة عندهم حطّ الرأس نحو الركوع، فإذا فعلوا ذلك جلسوا

(31) الجرادق ج. جردق وجردقة : الرغيف، والقصد بالخبز المشرّك : المقسوم إلى شطرين ويحشى بالسمن ونحوه من عسل وخليع ...

(32) الصابونية نوع من الحلوى المصرية تركيبها من اللوز والفستق والنشاء والعسل وزيت السمسم. ويظهر أن من هذه التركيبة اقتبس أهل فارس حلواهم المعروفة في القديم تحت اسم (الفالوذج)، وقد ورد ذكرها عند تفسير الإمام النسفي للآية الشريفة : [يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم] سورة المائدة 88 د. التازي : الماء والغذاء والإنسان في التراث الإسلامي، أكاديمية المملكة المغربية = 1982 .1402

(33) من أصل فارسي : (Sanbusa) وهي على شكل مثلث على نحو ما نسمّيه في المغرب (البريوات) جمع بريوة : تصغير براءة : الرسالة الصغيرة أطلق عليها تشبيها لأنها تطوى على وافي داخلها من لوز ونحوه.



العنبة – المانگو

للأكل، ويوتى بأقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النبات، وهو الجُلاّب محلولاً في الماء، ويسمون ذلك الشّربة، ويشربونه قبل الطعام، ثم يقول الحاجب بسم الله فعند ذلك يشرعون في الأكل فإذا أكلوا أتوا بأكواز الفُقّاع (34) ، فإذا شربوه أتوا بالتّنبول والفوفَل، وقد تقدم ذكرهما، فإذا أخذوا التنبول والفوفل قال الحاجب : بسم الله فيقومون ويخدمون مثل خدمتهم أولاً وينصرفون. 125/3

وسافرنا من مدينة مُلتان، وهم يُجرون هذا الترتيب على حسب ما سطّرناه إلى أن وصلنا إلى بلاد الهند، وكان أول بلد دخلناه مدينة أبوهَر (35)، بفتح الهاء، وهي أول تلك البلاد الهندية، صغيرة حسنة كثيرة العمارة، ذات أنهار وأشجار.

وليس هنالك من أشجار بلادنا شيء ما عدا النّبق (36)، لكنه عندهم عظيم الجِرم، وتكون الحبة منه بمقدار حبة العفص، شديد الحلاوة، ولهم أشجار كثيرة ليس يوجد منها شيء ببلادنا ولا بسواها !

ذكر أشجار بلاد الهند وفواكهها.

فمنها العَنْبَة (36)، بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة، وهي شجرة تشبه أشجار النارنج إلا أنها أعظم أجراماً وأكثر أوراقاً وظلها أكثر الظلال غير أنه ثقيل، فمن نام تحته وُعك، وثمرها على قدر الإجاص الكبير، فإذا كان أخضر قبل تمام نضجه أخذوا ما سقط منه وجعلوا عليه الملح وصيَّروه كما يُصيَّر اللّيم (37) والليمون ببلادنا، وكذلك يصيّرون 126/3

---

(34) الفُقّاع عند المغاربة – هو الفُطْر أو الكمأة فيبدوا هنا أنّه شرابٌ يتخذ من هذا النبات، وقد جهل بعض التراجمة مَعنى الفقاع عندنا فأخذوا يفترضون أنه نبيذ الشعير : الجعة La Bière ! الأمر الذي يتنافى والحقيقة، ونحن نعلم عن رأى أهل الهند في الملوك الذين يشربون الخمر وأنهم غير جديرين بالملك! أخبار الصين والهند 237 ص 232.

(35) أبو هر (Abuhar) على مقربة من الحدود الهندية الباكستانية اليوم في إقليم فيروزبور FEROZEPUR في البنجاب جنوب مدينة لاهور (انظر الخريطة) ... يوخذ على ابن بطوطة أنه ارتكب خطأ بذكر هذه المدينة قبل مدينة أجودهن آتية الذكر. د. التازي مع ابن بطوطة في بلاد الهند والسند. دعوة الحق عدد 287 - 293 مصدر سابق.

(36) يشرع ابن بطوطة هنا في تقديم معلومات عن النبات في الهند، ابتدأها بالنبق الذي هو ثمرَ السدرة الشائكة المعروفة بقصرها. وهو يصغر في الحجم ما يوجد في الهند مما يعرف عندنا باسم الزفزف (jubjub) ، وإلى جانب النبق ذكر العنبة أخذاً من التعبير الهندي Amb وتعرف في اللغة الأنجليزية تحت اسم مانكو محرفة عن الاسم بلغة التاميل مانكاي (Mankay) إلى آخر اللائحة.

(37) ما يسمى بالمغرب بالليمون الدق أي الدقيق الحجم، وتصبيره –أو "تصْبيره" كما نقول في المغرب – ضروري لدى بعض العائلات وهذا اللّيمون يعرف في بلاد الخليج : (نومي بصرة) انظر سليم النعيمي...

أيضا الزنجبيل الأخضر، وعناقيد الفلفل ويأكلون ذلك مع الطعام يأخذون بإثر كل لقمة يسيراً من هذه الملوحات، فإذا نضجت العَنْبة في أوان الخريف، إصفَرَّت حباتها فأكلوها كالتفاح، فبعضهم يقطعها بالسكّين، وبعضهم يمصها مصّاً، وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة، ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الأشجار كما تزرع نَوَى النارنج وغيرها.

127/3 ومنها الشكّي والبَرْكي (38)، بفتح الشين المعجم وكسر الكاف، وفتح الباء الموحدة وكسر الكاف أيضا، وهي أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز، وثمرها يخرج من أصل الشجرة فما اتصل منه بالأرض فهو البَرْكي وحلاوته أشد ومطعمه أطيب، وما كان فوق ذلك فهو الشكّي، وثمره يشبه القرع الكبار، وجلوده تشبه جلود البقر، فإذا اصفرَّ في أوان الخريف، قطعوه وشقُّوه فيكون في داخل كلِّ حبّة المائة والمائتان فما بين ذلك من حبات تشبه الخيار، بين كل حبة وحبة صفاق أصفر اللون، ولكل حبة نواة تشبه الفول الكبير، وإذا شويت تلك النواة أو طبخت يكون طعمها كطعم الفول، إذ ليس يوجد هنالك، ويدخرون هذه النَّوى في التراب الأحمر فتبقى إلى سنة أخرى، وهذا الشكّي والبَرْكي هو خير فاكهة ببلاد الهند.

128/3 ومنها التَّنْدُو، بفتح التاء المثناة وسكون النون وضم الدال، وهوثمر شجر الآبنوس، وحباته في قدر حبات المشمش ولونها، شديد الحلاوة.

ومنها الجُمون (39)، بضم الجيم المعقودة، وأشجاره عادية، ويشبه ثمره الزيتون وهو أسود اللَّون ونواه واحدة كالزيتون.

ومنها النارنج الحلو، وهو عندهم كثير، وأما النَّارنج الحامض فعزيز الوجود، ومنه صنف ثالث يكون بين الحلو والحامض وثمره على قدر اللّيم وهو طيب جداً وكنت يعجبني أكله!.

ومنها المَهوا (40)، بفتح الميم والواو، وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة، وثمره مثل الإجاص الصغير، شديد الحلاوة، وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها كطعم العنب، إلا أن الإكثار من أكلها يُحدث في الرأس صداعا.

129/3

(38) شكي : جنس شجر Le jacquier من فصيلة الخُبْزيات يشبه القرع ويبلغ وزن الحبة من 25 أو 30 رطل تكفي الواحدة منه لغذاء أربعة أو خمسة أشخاص أما البركى فيشبه البطيخ، الواحدة منه تزن من ثلاثة إلى أربعة أرطال ...

(39) ربَّما كان ثمر الآبنوس هو ما يسمّى اليوم تشيكو – حول الجمون – انظر ج II ص 191.

(40) المَهْوا (BASSIA LATIFOLIA) يتخذ منه نوع من المشروبات...

ومن العجب أن هذه الحبوب إذا يبّست في الشمس كان مطعمها كمطعم التين، وكنت آكلها عوضاً من التين إذ لا يوجد ببلاد الهند، وهم يسمون هذه الحبة ألأنْكور، بفتح الهمزة وسكون النون وضم الكاف المعقودة والواو والراء، وتفسيره بلسانهم : العنب.

والعنب بأرض الهند عزيز جداً ولا يكون بها إلا في مواضع بحضرة دهلي وببلاد.(41) ويثمر مرتين في السنة، ونوى هذا الثمر يصنعون منه الزيت ويستصبحون به.

ومن فواكههم فاكهة يسمونها كَسيرا (42)، بفتح الكاف وكسر السين المهمل وياء مدٍّ وراء، يحفرون عليها الأرض وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل.

وببلاد الهند من فواكه بلادنا الرّمان، ويثمر مرتين في السنة ورأيته ببلاد جزائر ذيبة المهل لا ينقطع له ثمر، وهم يسمونه أَنَار، بفتح ‖ الهمزة والنون، وأظن هو الأصل في تسمية الجُلَّنار فإن جُل بالفارسية الزهر، وأنار : الرمان. 130/3

ذكر الحبوب التي يزرعها أهل الهند ويقتاتون بها

وأهل الهند يزدرعون مرتين في السنة، فإذا نزل المطر عندهم في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته، ومن هذه الحبوب الخريفية عندهم الكُذْرو (43)، بضم الكاف وسكون الذال المعجم وضم الراء وبعدها واو، وهو نوع من الدُّخن، وهذا الكُذْرُو هو أكثر الحبوب عندهم. ومنها القال، بالقاف، وهو شبه أُنْلي.

ومنها الشاماخ، بالشين والخاء المعجمين، وهو أصغر حبّاً من القال، وربما نبت هذا الشاماخ من غير زراعة، وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين، يخرجون

---

(41) يظهر ان ابن بطوطة طلب إلى ابن جُزَى أن يترك هنا فراغا على أمل أن يتذكر المكان الآخر الذي يوجد فيه العنب، بعض النسخ كتبت عوض الفراغ حرف الضاد إشارة للبياض أما البيلوني الذي اختصر الرحلة فقد ملأ المكان بقوله : «وبعض أماكن». هذا ويلاحظ أن العنب يوجد بكثرة في الهند كيف وهو أي ابن بطوطة يتحدث كما ياتي عن أن دولة أباد تشهد موسمين اثنين للعنب مع العلم أن العُمَري – وهو معاصر لابن بطوطة يتحدث في مسالك الابصار عن وجود العنب بالهند – كلمة (أنكور) من أصل فارسي ...

(42) كسيرا، يجعل كيب أمامه الاسم المحلي والعلمي على هذا النحو : Kaseru ; seripus kysoor ويردد وصف ابن بطوطة لها بأنها فاكهة أرضية، هذا وكلمة جُلنار، كما نرى، كلمة فارسية...

(43) الكُذْرو : يطلق على ما يعرف عندنا بالمغرب أنْلي أوإيلان (Millet)، يكثر بجنوب المغرب ويوصف لتقوية العظام وهو قريب من الدُّخن ومن القال ... اما الشاماخ فقد قال عنه ابن بطوطة أنه قد ينبت من غير زراعة، ولذلك كان طعام الصالحين!

131/3 لجمع ما نبت منه من غير زراعة، فيمسك أحدهم قفة كبيرة ▒ بيساره وتكون بيمناه مقرعة يضرب بها الزرع فيسقط في القفة، فيجمعون منه ما يقتاتون به جميع السنة.

وحب هذا الشاماخ صغير جدا، وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهاريس الخشب فيطير قشره، ويبقى لبُّه أبيض ويصنعون منه عصيدةً يطبخونها بحليب الجواميس، وهي أطيب من خبزه، وكنت آكلها كثيراً ببلاد الهند وتعجبني. ومنها الماش (44) وهو نوع من الجلبان.

ومنها المُنج (45)، بميم مضموم ونون وجيم، وهونوع من الماش إلا أن حبوبه مستطيلة، ولونه صافي الخضرة، ويطبخون المُنْج مع الأرز ويأكلونه بالسمن، ويسمونه كُشَرِي بالكاف والشين المعجم والراء (46)، وعليه يفطرون في كل يوم وهو عندهم كالحريرة ببلاد المغرب (47)، ومنها اللوبيا (48) وهي نوع من الفول.

132/3 ومنها المُوت (49)، بضم الميم ▒ وهو مثل الكُذْرُو المذكور إلا أن حبوبه أصغر وهو من علف الدوابّ عندهم، وتسمن الدواب بأكله.

والشعير عندهم لا قوة له، وإنما علف الدواب من هذا المُوت أو الحمص يجرشونه ويبلُّونه بالماء ويطعمونه الدواب، ويطعمونها عوضاً من القصيل أوراق الماش بعد أن تسقى الدابة السمن عشرة أيام في كل ليلة ثلاثة أرطال أو أربعة ولا تركب في تلك الأيام، وبعد ذلك يطعمونها أوراق الماش كما ذكرنا شهراً أو نحوه.

---

(44) يحكون في بغداد أن العشاء بالماش يسبب أحلامًا لذيذة وقد جرب فصحّ !! وهو ضرب من الفاصوليا (phaseolus nadiatus).

(45) المُنج نوع آخر من الفاصوليا (mungo).

(46) تحتفظ بعض المخطوطات وخاصة رقم 2399 ك ببَياض قبل حرف الكاف والشين والراء أملاً في شكله ويصنعونه عادة من العدس والأرز... صحن شعبي بمصر من أغنى الصحون وأوسعها انتشاراً...

(47) الحريرة نوع من الحساء يمتاز بثرائه في المواد التي يتكون منها، وهي مشهورة عند المغاربة وخاصة عند الإفطار أيام رمضان، وتكوِّن الحريرة مع الكسكس الصَّحْن الأساس في الديار المغربية...

ومما قاله الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي مازحاً متفكها :

أُحبُّ الحَريرة والكُسْكُسا وحبُّهما في الفؤاد رَسا
فأمَّا الحريرةُ فالحِرُ منْها ! وثاني الأخير محلِّي النسا !!

(48) اللوبيا : إسم فارسي للفاصوليا الصغيرة (Vigna cattiang).

(49) الموت القصد إلى : (Cyperus Rotundus) وهو نوع كما قال من (الكُذْرو)

وهذ الحبوب التي ذكرناها هي الخريفية، وإذا حصدوها بعد ستين يوما من زراعتها ازدرعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعدس وتكون زراعتها في الأرض التي كانت الحبوب الخريفية مزدرعة فيها ‖ وبلادهم كريمة، طيبة التربة. 133/3

وأما الأرز فإنهم يزدرعونه ثلاث مرات في السنة، وهو من أكثر الحبوب عندهم، ويزدرعون السمسم، وقصب السكر مع الحبوب الخريفية التي تقدم ذكرها.

ولْنعد إلى ما كنا بسبيله فأقول سافرنا من مدينة أبوهَر في صحراء مسيرة يوم في أطرافها جبال منيعة يسكنها كفار الهنود وربما قطعوا الطريق، وأهل بلاد الهند أكثرهم كفار، فمنهم رعية تحت ذمة المسلمين يسكنون القرى ويكون عليهم حاكم من المسلمين يقدمه العامل أو الخديم (50) الذي تكون القرية في إقطاعه.

ومنهم عصاة محاربون يمتنعون بالجبال ويقطعون الطريق ‖. 134/3

ذكر غزوة لنا بهذا الطريق وهي أول غزوة شهدتُها ببلاد الهند

ولما أردنا السفر من مدينة أبوهَر خرج الناس منها أول النهار وأقمت بها إلى نصف النهار في لُمَّة من أصحابي، ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارسا منهم عرب ومنهم أعاجم، فخرج علينا في تلك الصحراء ثمانون رجلا من الكفار وفارسان، وكان أصحابي ذوي نجدة وغَناء، فقاتلناهم أشد القتال، فقتلنا أحد الفارسين منهم وغنمنا فرسه، وقتلنا من رجالهم نحو اثنى عشر رجلا، وأصابتني نشّابة، وأصابت فرسي نشابة ثانية، ومنّ الله بالسلامة منها، لأن نشّابهم لا قوة لها، وجُرِح لأحد أصحابنا فرس عوَّضناه له بفرس الكافر وذبحنا فرسه المجروح، فأكله ‖ الترك من أصحابنا، وأوصلنا تلك الرؤوس إلى حصن أبي بَكْهَر (51) فعلّقناها على سوره ووصلنا في نصف الليل إلى حصن أبي بكهر المذكور وضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف وفتح الهاء وآخره راء. 135/3

---

(50) لابد أن نقف عند هذه الألقاب الثلاثة : الحاكم الذي يعني شخصاً يمارس السلطة، والعامل الذي قد يعني الوالي أوالذي يشرف على جمع أموال الزكاة، والخديم الذي يعني الموظف الذي يعمل تحت إشراف مسؤول كبير من وظيفةٍ أو إقطاعٍ وما تزال هذه الألفاظ مستعملة في الوثائق المغربية.

(51) لم نعثر على هذا العلم الجغرافي في غيرهذه الفقره، ولكنه وجد في قطعة ذكرها مهدي حسين على أنه مكان يحتوي على نزل المسافرين على بعد 20 ميلا من مدينة اجودَهن الآتية مباشرة ...



أول غزوة شهدتها ببلاد الهند.

وسافرنا منه فوصلنا بعد يومين إلى مدينة أَجُودَهن (52)، وضبط اسمها بفتح الهمزة وضم الجيم وفتح الدال المهمل والهاء وآخره نون، مدينة صغيرة هي للشيخ الصالح فريد الدين البَذاوُني (53) الذي أخبرني الشيخ الصالح الولي برهان الدين الأعرج بالاسكندرية أني سألقاه، فلقيته والحمد لله، وهو شيخ ملك الهند وأنعم عليه بهذه المدينة.

وهذا الشيخ مبتلّى بالوسواس، والعياذ بالله، فلا يصافح أحداً ولا يدنو منه، وإذا ألصق ثوبه بثوب أحد غسل ثوبه ! دخلت زاويته ولقيته وأبلغته سلام الشيخ برهان الدين فعجب، وقال : أنا دون ذلك، ولقيت ولديه الفاضلين معز الدين (54) وهو أكبرهما، ولما مات أبوه تولى الشياخة بعده. وعلم الدين (55) ، وزرت قبر جده القطب الصالح فريد الدين البذاوني منسوبا إلى مدينة بَذاوُن بلد السُّنبل (56)، وهي بفتح الباء الموحدة والذال المعجم وضم الواو وآخرها نون، ولما أردت الانصراف عن هذه المدينة قال لي علم الدين، لا بدّ لك من رؤية والدي، فرأيته، وهو في أعلى سطح له، وعليه ثياب بيض وعمامة لها ذُوابة، وهي مائلة إلى جانب ودعا لي وبعث إليّ بسكّر ونبات.

136/3

(52) أُجودَهن : ابن بطوطة هنا يعكس خطّ سيره، فإن (أجودَهن) تقع بين ملتان وأبوهر، مكان عبور وادي سوتلج (Sutledj) الأكثر شرقا للبنجاب، وقد سميت المدينة من قبل الامبراطور أكبر بَاكْبَطَّان (Pakpattan) تكريماً للشيخ فريد الدين الذي تقصد مزارته من لدن عارفيه ... يراجع التعليق35.

(53) فريد الدين مسعود الملقب بشكركنج (مخزن السكر)، المتوفى عام 669-70 = 1271 كان تلميذاً لقطب الدين بختيار الكاكي. وكان هو الذي خلفه وأسس الطريقة الشيشتية في مدينة أجودْهَن.
وقد خلفه ولده بدر الدين سليمان المتوفى عام 677-680=1281، وخلف هذا ولده علم الدين مَوْج داريا MAWJ - DARYA المتوفى عام 734 - 1334، وهذه الشخصية الأخيرة هي التي يمكن أن يكون ابن بطوطة إلتقى بها إذا ما احتفظنا بتاريخ 733 = 1333 كتاريخ لوصوله للهند، وهكذا فقد وقع لابن بطوطة خلط بين فريد الدين الجد وبين علم الدين الحفيد الذي كان من جهة أخرى المربي الروحي للسلطان محمد بن تغلق. هذا وإن نسبته إلى بَذاون فيا خلط بينه وبين خلفه في الطريقة نظام الدين أولياء، فقد ولد هو في غوتفال Ghutval قريبا من مُلتان. وليس في بذاون شرقي دهلي. وبالنسبة لبرهان الدين الأعرج، أنظر ج I-37-38, III, 102.

(54) معز الدين هذا عين فيما بعد من لدن محمد بن تغلق، حاكما على كوجرات (Gujerat)، ثم قتل أثناء ثورة عام 748 = 1348.

(55) علم الدين تَسمى شيخا للإسلام وكبير رجال الفتوى في دهلي ...

(56) إقليم السُّنبل (Sumbal) في منطقة أُطّار بّراديش (Uttar Pradesh) في شرق دهلي.

• ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار

ولما انصرفت عن هذا الشيخ رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم : ما الخبر ؟ فأخبروا أن كافرا من الهنود مات 137/3 وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استأذنوا السلطان في إحراقها فيأذن لهم فيحرقونها (57).

ثم اتفق بعد مدة أني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بأَمْجِرى (58)، وأميرها مسلم من سامرة السِّند، وعلى مقربة منها الكفار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً وخرج الأمير المسلم لقتالهم 138/3 وخرجتْ معه رعيته من المسلمين والكفار، ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر، وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن، وإحراقُ المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوبٌ إليه، غير واجب، لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونُسبوا إلى الوفاء، ومن لم تَحرِق نفسها لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها، ولكنها لا تكره على إحراق نفسها، ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنهن يودعن الدنيا، ويأتي إليهن النساء من كل جهة، وفي 139/3 صبيحة اليوم الرابع أُتيتْ كل واحدة منهن بفرس، فركبتْه وهي متزينة متعطرة وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار، وكل إنسان من الكفار يقول لها : أبلغي السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي ! وهي تقول : نعم، وتضحك إليهم، وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الإحتراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال وانتهينا إلى موضع مظلم كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قباب في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الأشجار، فلا تتخلّلها الشمس 140/. فكأن ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم، أعاذنا الله منها، ولما وصلنا إلى تلك القباب، نزلن إلى

(57) هذه العادة المشهورة تحدث عنها كذلك مؤلف أخبار الصّين والهند ص 22 وتحدث عنها ماركو پولو، ونذكر أنه صدر قانون عام 1829 يمنع حرق الزوجات لأنفسهن وفاءً لعهد الزوج».

(58) أَمْجَري : القصد إلى (Amjhera) على بعد 12 ميلا في غرب ظهار (Dhar) في جنوب غرب منطقة ماذيا – بّراديش (mdhya Pradesh).

الصهريج وانغمسن فيه وجرّدن ما عليهن من ثياب وحُليّ فتصدقن به وأُتيت كل واحدة منهنّ بثوب قطن خشن غير مخيط فربطت بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيها والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض وصبَّ عليها روغن كُنْجُت (59) وهو زيت الجلجلان، فزاد في اشتعالها وهناك نحو خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم من الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار، وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حُجبت النار بملحفة يمسكها الرجال ‖ بأيديهم ليلاً يدهشها النظر إليها، فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف، وقالت لهم (60) : مَارَا مِيتَرْسَانِي أزْأطَشْ مَنْ مِيدَانَمْ أو آطَشْ اَسْتَ رَها كُنِي مَارَا، وهي تضحك، ومعنى هذا الكلام : أبِالنَّار تُخوفونني ؟ أنا أعلم أنها نار محرقة! ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار ورمت بنفسها فيها، وعند ذلك ضربت الأطبال والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها، وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلّا تتحرك، وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج، ولما رأيت ذلك كدت أسقط عن فرسي لولا أصحابي تداركوني بالماء، فغسلوا وجهي وانصرفت!

141/3

وكذلك يفعل أهل الهند أيضا في الغرق يُغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنكَ ‖ (61) وهو الذي إليه يحجون، وفيه يرمى برماد هؤلاء المحرقين، وهم يقولون إنه من الجنة، وإذا أتى أحدهم ليُغرق نفسه، يقول لمن حضره : لا تظنوا أني أغرق نفسي لأجل شيء من أمور الدنيا أو لقلة مال، إنما قصدي التقرب إلى كُساي (62)، وكساي بضم الكاف والسين المهمل، إسم الله عز وجل، بلسانهم، ثم يغرق نفسه، فإذا مات أخرجوه وأحرقوه ورموا برماده في البحر المذكور.

142/3

ولْنعد إلى كلامنا الأول فنقول : سافرنا من مدينة أَجوُدَهَّن، فوصلنا بعد مسيرة أربعة أيام منها إلى مدينة سَرْسَتي (63). وضبط إسمها بسينين مفتوحين بينهما راء ساكنة ثم تاء

---

(59) الكلمة من أصل فارسي (Kungud) يعني السمسم، (السيرج)

(60) نلاحظ أن ابن بطوطة أمسى يتوفر على نصيب في اللغة الفارسية التي كانت شائعة بتلك المناطق شيوع اللغة الأنجليزية اليوم، ويلاحظ گيب أن الترجمة العربية أهملت الفقرة الأخيرة في النص الفارسي.

(61) الكانج (gange) النهر المقدس عند الهندوس.

(62) يلاحظ أن الناشرَيْن D.S. هما الوحيدان اللذان أضافا كلمة كريشنا (KRISHNA) إلى ترجمتهما، وكأنهما يقولان أن القصد من كلمة كساي : كريشنا أنظر گيب III ,616 تعليق 81.

(63) سَرْسَتي كانت مدينة قديمة ولكنَّها تُركت سنة 1138 = 1726 وعوضت عام 1253 = 1837 بسيرْسا في منطقة هاريانا (Haryana) والمدينة اليوم من الجمهورية الهندية شمال غربي دلهي أنظر الخريطة.



رسم بريشة ليون بينيط L. BENETT من القرن 19

مثناة مكسورة وياء، مدينة كبيرة كثيرة الأَرُز، وأَرُزها طيب ومنها يُحمل إلى حضرة دهلي ولها مجبى كثير جداً، أخبرني الحاجب شمس الدين البوشنجي ▌ بمقداره وأُنسيتُه. 143/3

ثم سافرنا منها إلى مدينة حَانْسي (64)، وضبط اسمها بفتح الحاء المهمل وألف ونون ساكن وسين مهمل مكسورة وياء، وهي من أحسن المدن وأتقنها وأكثرها عمارة، ولها سور عظيم ذكروا أن بانيه رجل من كبار سلاطين الكفار يسمى تُوره، بضم التاء المعلوة وفتح الراء، وله عندهم حكايات وأخبار، ومن هذه المدينة هو (65) كمال الدين صدر الجهان، قاضي قضاة الهند، وأخوه قُطْلُو خان معلم السلطان وأخواهما نظام الدين وشمس الدين الذي انقطع إلى الله وجاور بمكة حتى مات.

ثم سافرنا من حانسي فوصلنا بعد يومين إلى مسعود أباد (66)، وهي على عشرة أميال من حضرة دهلي، وأقمنا بها ثلاثة أيام، وحانسي ومسعود أباد، هما للملك المعظم هُوشَنج، بضم الهاء وفتح الشين المعجم وسكون النون وبعدها جيم، ابن الملك كمال كُرك ▌ بكافين معقودين أولاهما مضمومة، ومعناها الذّيب، وسيأتي ذكره. 144/3

وكان سلطان الهند الذي قصدنا حضرته غائباً عنها بناحية مدينة قِنَوْج (67)، وبينها وبين حضرة دهلي عشرة أيام، وكانت بالحضرة والدته وتُدعى المَخْدومة جهان، وجِهان إسم الدنيا، وكان بها أيضا وزيره خْواجه جِهَان المسمى بأحمد بن إياس، الرومي الأصل (68) فبعث الوزير إلينا أصحابه ليتلقونا، وعيّن للقاء كل واحد منا مَن كان من صنفه، فكان من الذين عيَّنهم للقاءي الشيخ البِسْطامي والشريف المازَنْدراني، وهو حاجب الغرباء، والفقيه علاء الدين المُلْتاني المعروف بقُنَّره، بضم القاف وفتح النون وتشديدها.

145/3 وكتب إلى السلطان بخبرنا وبعث الكتاب مع ▌ الدَّاوة وهي بريد الرجّالة، حسبما ذكرناه، فوصل إلى السلطان، وأتاه الجواب في تلك الأيام الثلاثة التي أقمناها بمسعود أباد.

---

(64) حانسي فتحت من لدن الغزنويين عام 429 = 1038. وقد اقترن اسمها باسم ثورة السيد ابراهيم الذي أخضعها عام 1336م.

(65) كلمة (هو) سمعتها في ماليزيا تلازم ذكر الأسماء عندهم !

(66) مسعود أباد اليوم في حالة خراب، وهي على مقربة من قرية نَجَفْكَرْه (Nadjafgrh) على مسافة ميل.

(67) سيضْبُطها (25,IV) بكسر القاف وفتح النون وواو ساكن وجيم.

(68) ربما كان الأمر يتعلق بأحد الهنود المنتمي لأسرة رجا المعتنق للإسلام والمنتسب إلى ديوجير (Deogir)، دولة أباد الحالية يراجع (212,III).

وبعد تلك الأيام خرج إلى لقائنا القضاة والفقهاء والمشايخ وبعض الأمراء، وهم يسمون الأمراء ملوكا، فحيث يقول أهل ديار مصر وغيرها الأمير يقولون هم الملك، وخرج إلى لقائنا الشيخ ظهير الدين الزنجاني وهو كبير المنزلة عند السلطان.

ثم رحلنا من مسعود أباد فنزلنا بمقربة من قرية تسمى بّالم (69)، بفتح الباء المعقودة وفتح اللام، وهي للسيد الشريف ناصر الدين مُطهَّر الأوْهَري (70) أحد ندماء السلطان وممن له عنده الحُظوة التامة.

146/3 وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دِهْلي قاعدة بلاد الهند وضبط إسمها بكسر الدال المهمل وسكون الهاء وكسر اللام، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق.

ذكر وصفها

ومدينة دِهْلي كبيرة الساحة، كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات.

إحداها : المسماة بهذا الاسم دِهلي وهي القديمة، من بناء الكفار، وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة (71).

والثانية : تسمى سِيري، بكسر السين المهمل والراء وبينهما ياء مد، وتسمى أيضا دار الخِلافة (72)، وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه، وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين، وسنذكرهما.

---

(69) تقع (بالم) على بعد ستة أميال جنوب شرق المحطّة السابقة : مسعود أباد.

(70) مُطهَّر هذا لم نقف على ترجمته، وقد سبق ذكره من لدن ابن بطوطة على أنه من عراق العجم، وأنه مقيم بالهند (420,I).

(71) إن القصبة التي كانت النواة الأولى للمدينة لألكوط (Lalkot) بنيت حوالي سنة 444 هـ = 1052م من طرف رَاجْبُوت Rajput أحد الزعماء في القرن الحادي عشر، وقد فتحت المدينة من لدن قطب الدين أيْبَك (Aibak) عام588 = 1192 وليس عام 584 = 1188 كما يقول ابن بطوطة، تقع على بعد عشرة أميال نحو جنوب مدينة موغال Mughal في دهلي. راجع دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة.
د. التازي : مع ابن بطوطة في السّند والهند – دعوة الحق، العدد 287 والعدد 293 أكتوبر 1992.

(72) تقع سِيري على بعد نحو أربع أو خمس ك.م. شمال شرق المدينة القديمة : دهلي / أسست في الأصل كقاعدة عسكرية من لدن علاء الدين خلْجي (Khaldji) إبتداء من سنة 703 = 1303.

147/3 والثالثة : تسمى تُغْلق أباد (73) باسم ▌ بانيها السلطان تُغْلُق والد سلطان الهند الذي قدمِنا عليه، وكان سبب بنائه لها أنه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له : يا خوند عالَم، كان ينبغي أن تبني هنا مدينة، فقال له السلطان متهكما : إذا كنت سلطانا فابنها، فكان من قدر الله أن كان سلطاناً فبناها وسماها باسمه!

والرابعة : تسمى جهان پَناه (74) وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه، ملك الهند الآن الدي قدمِنا عليه، وهو الذي بناها وكان أراد أن يضم هذه المدن الأربع تحت سور واحد فبنى منه بعضاً وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه.

ذكر سور دِهلي وأبوابها.

148/3 والسور المحيط بمدينة دهلي لا ▌ يوجد له نظير، عرض حائطه إحدى عشرة ذراعا، وفيه بيوت يسكنها السُمَّار وحُفَّاظ الأبواب، وفيها مخازن للطعام ويسمونها الأنْبارات(75) ومخازن للعُدَد ومخازن للمجانيق، والرّعادات (76)، ويبقى الزرع بها مدة طائلة، لا يتغير ولا تطرقه آفة. ولقد شاهدت الأرُزّ يخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسودّ، ولكن طعمه طيب، ورأيت أيضا الكُذْرُو يخرج منها، وكل ذلك من اختزان السلطان بَلَبَن منذ تسعين سنة، ويمشي في داخل السور الفرسان والرجال من أول المدينة إلى آخرها وفيه طيقان مفتحة إلى جهة المدينة يدخل منها الضوء، وأسفل هذا لسور مبني بالحجارة وأعلاه بالآجر وابراجه كثيرة متقاربة.

149/3 ولهذه ▌ المدينة ثمانية وعشرون باباً، وهم يسمون الباب دروازة، فمنها دروازة

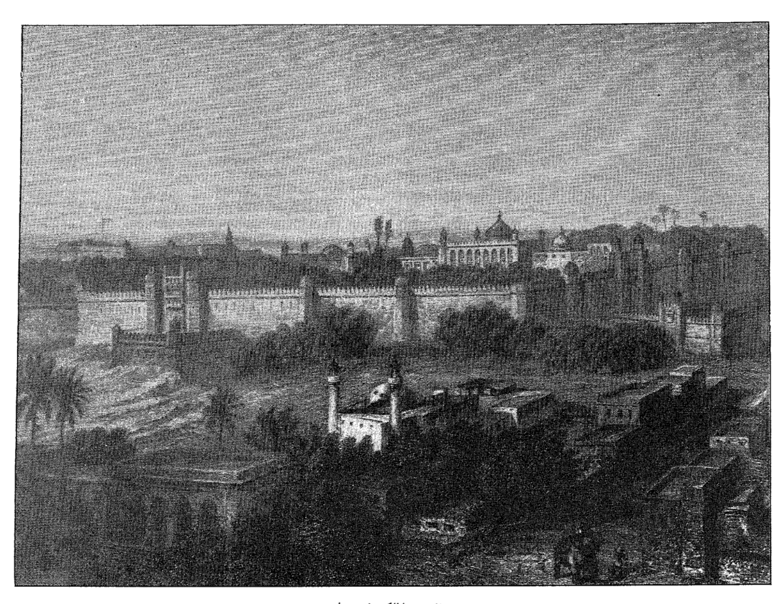
---

(73) تغلق أباد تقع على بعد 8 ك.م. جنوب شرق المدينة القديمة إبتُدئ بناؤها من لدن غياث الدين تغلق إبتداء من سنة 720 = 1320 . حول السلطان تغلق انظر III 210-215.

(74) تعني الكلمة : ملاذ العالَم، وقد بنيت من لدن محمد بن تغلق بعد سنة 725 = 1325، ملاذ الفضاء – على مسافة أربعة أميال – بين دهلي القديمة وبين سيري ...

(75) الأنبارات جمع أنبار ولا يزال العامة في بغداد يسمونها العنبارات.

(76) الرَّعَّادات نوع من القذّافات وهي أخف من المجانيق ويرى النعيمي انها مقلوب عرادة ترمي بقذائف محرقة... مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 24 سنة 1974 ص 22-23
Cl. Cahen : Un Traité d'Armurerie composé pour Saladin, Bull, d'Etudes orientales XII Beyrouth 1948 - P M 141-3, 157-9.



القصر الملكي في دهلي

بَذَاون (77) وهي الكبرى، ودروازة المِندَوي (78)، وبها رحبة الزرع، ودرْوازة جل (79)، بضم الجيم، وهي موضع البساتين ودروازة شاه، إسم رجل، ودروازة بالَم (80)، إسم قرية قد ذكرناها، ودروازة نجيب إسم رجل، ودروازة كمال كذلك، ودروازة غزنة (81) نسبة إلى مدينة غزنة التي في طرف خراسان، وبخارجها مُصلّى العيد وبعض المقابر، ودروازة البَجّالصة (82)، بفتح الباء والجيم والصاد المهمل.

وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلي، وهي مقبرة حسنة يبنون بها القباب، ولابد عند كل قبْر من محراب وإن كان لا قبة له، ويزرعون بها الأشجار المزهرة مثل قُل شنْبَه وريبول (83)، والنِّسرين وسواها، والازاهير هنالك لا تنقطع في فصلٍ من الفصول. 150/3

ذكر جامع دهلي

وجامع دهلي كبير الساحة (84) حيطانة وسقفه وفرشه كلُّ ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، مُلصقة بالرصاص أتقن إلصاق، ولا خشبة به أصلا، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبرُه أيضاً من الحجر، وله أربعة من الصحون، وفي وسط الجامع العمود الهائل (85) الذي لا يُدرى من أي المعادن هو.

(77) يقع هذا الباب في الشرق وهو يؤدي إلى تغلق أباد، ومن هنا إلى مدينة بَداوْن (Badaun).

(78) مَنْدَوي تعني في الأصل نوعاً من الحبوب، وقد ورد في مقطع للمؤرخ فيريشتا (Firishta) الحديث عن تعيين مفتش لسوق الحبوب يسمى في اللغة الهندية مانْدوي (Mandwy)... Gibb, 621 n°10.

(79) جل من أصل فارسي (Gul) وتعني الوردة والزّهرة... كما سبقت الإشارة إليه في المتن.

(80) باب (بَالَم) يقع جنوب غربيّ المدينة.

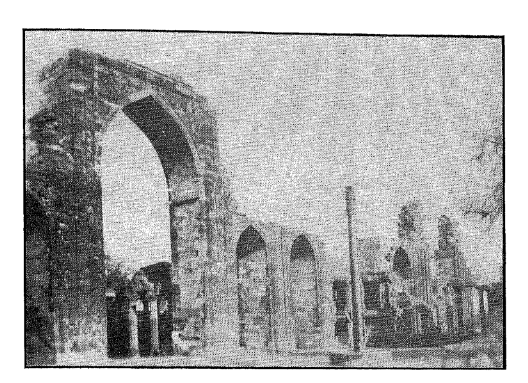
(81) هذا الباب ينبغي أن يكون هو المسمى كذلك رَنْجيتا (Randjit) والذي حُصِّنَ من لدن علاء الدين خلْجي في نفس الوقت الذي تم فيه تحصين القصبة.

(82) البَجالِصة محطة على مقربة من قِنَوْح سيزورها فيما بعدُ (27,IV).

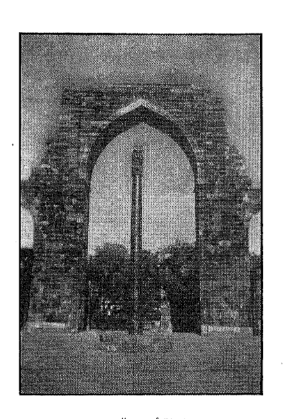
(83) ترجمت كلمة (قُل شَنْبَه بالفارسية gul-ishabbo نبات من فصيلة النرجسيات 383, III. أما الريبول فقد ترجمت بكلمة الياسمين وربّما كان القصد إلى الزهر الذي يسمَّى الفُلّ وربّما سمّى في العراق (بالرازقي) هذا والقصد بكلمة (المحراب) شاهد القبر يكون عند رأس الميت على شكل قوس...

(84) هذا المسجد المسمى (قوة الإسلام) شيد على معبد هندي من لدن قطب الدين أَيْبَك منذ عام = 1192 588، وقد وسعت مساحته في بداية القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي من لدن إلْتُمِش، وفي بداية القرن الرابع عشر كذلك من لدن علاء الدين الخَلْجي، حالته الحاضرة تتوافق والمعالم التي شيّدها إلْتُمِش.

(85) يرجع تاريخ هذا العمود إلى القرن الرابع الميلادي، وقد نقل - في رأي البعض - من معبد فيشنو (Vishnu) بالهند ويذكر البروفيسور گيب أن علو هذا العمود 24 قدما مع شكرنا للسفارة الهندية بالرباط



وفي وسط الجامع العمود الهائل



لقطة أخرى للعمود

ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى هَفْت جوش (86)، بفتح الهاء وسكون الفاء وتاء معلوة وجيم مضموم وآخره شين معجم، ومعنى ذلك، سبعة معادن، وأنه مؤلَّف منها، وقد جُلي من هذا العمود مقدار السبّابة ولذلك المجلوّ منه بريق عظيم، ولا يؤثر فيه الحديد، وطوله ثلاثون ذراعاً، وأدرنا به عمامة فكان الذي أحاط بدائرته منها ثماني أذرع.

151/3

وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالأرض، قد ألصقا بالحجارة ويطأ عليهما كلّ داخل إلى المسجد أو خارج منه (87).

وكان موضع هذا المسجد بُدْخانة، وهو بيت الأصنام (88)، فلما افتتحت جعل مسجداً.

وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الإسلام، وهي مبنية بالحجارة الحمر خلافا لحجارة سائر المسجد فإنها بيض، وحجارة الصومعة منقوشة، وهي سامية الارتفاع، وقَحْلُها من الرخام الأبيض الناصع وتفافيحها من الذهب الخالص، وسعة ممرِّها بحيث تصعد فيه الفيلة (89) .

152/3

حدثني من آثق به أنه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها، وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين ابن السلطان غياث الدين بَلَبَن (90).

---

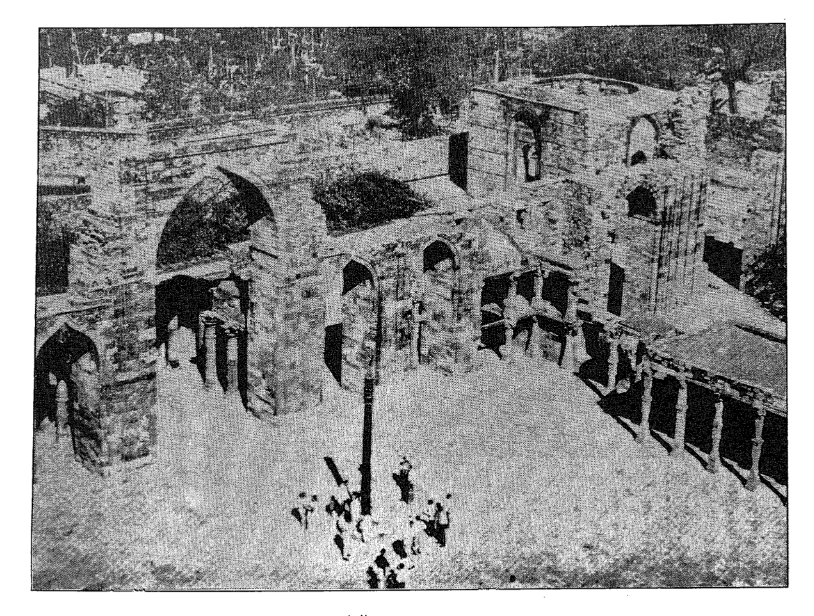
(86) كلمة هَفْت جوش (Haft gush) ربما تعني أن العمود سباعي الزوايا أو إنه يتألف من سبعة عناصر باعتبار صمودها أمام الصَّدى وتقلبات الجو.

(87) ربما تعلق الأمر بتمثال يحتوي على عضو تناسلي لفكْرا مَديتْيا (Vikramaditya) حُمل من أوجين -Uj) (jain من لدن إلْتُمِش عام 631 = 1234، بيد أن هناك تماثيل أخرى هندية كانت تنقل بين الفينة والأخرى لتجعل في مكانٍ يتعرض فيه لمرور المسلمين عليه.

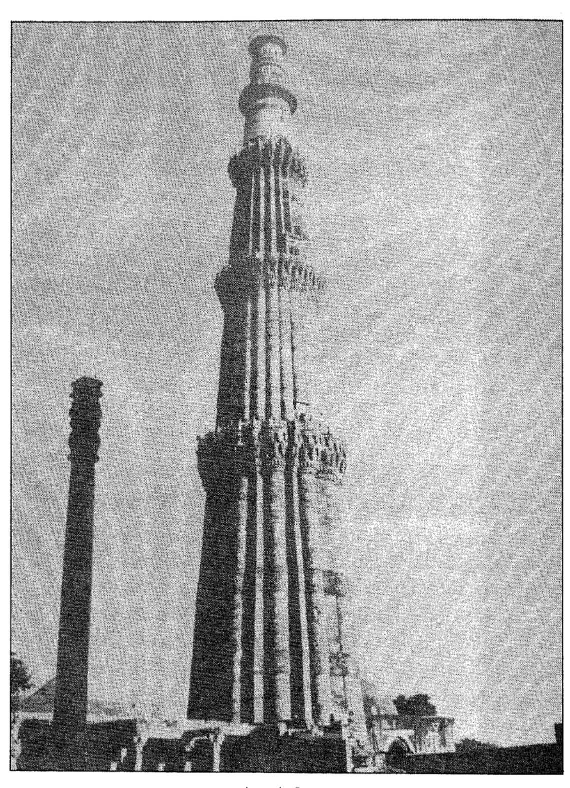
(88) كلمة (بُدْخَانة) مركبة من بُودا : إلاه الهنود، وخانة الفارسية ومعناها البيت فتكون الكلمة : بُودا خانة ثم اختصرت، وبالفارسية : بتخانة من بت : صنم، وكلمة (بد) تطلق عند العرب كالجاحظ والمسعودي والبيروني والشهرستاني على بودا كما أنها تطلق على الصنم ... انظر القاموس وشرحه... د. سليم النعيمي : ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، مجلة المجمع العراقي 1974.

(89) قطب منار (Qutbe Minar) الشهير إبتدأ تشييده قطب الدين أيبك، وأنهاه التمِش عام 626 = 1229، وزاد في علوه أيضا فيروز شاه 752 - 790 = 1351 - 1388، علوه حاليا 234 قدم، صعدتُ يوم 28-4-1975 جانبًا فيه بيد أن الرفاق حذّروني من الاستمرار في التسلّق نظرا لتداعي البناء...

(90) يظهر أن هناك التباساً وقع فيه ابن بطوطة أو الذين أخبروه بين معز الدين (قَيْقباد) الذي حكم دهلي بين عام 686 - 689 = 1287-1290 الآتي الذكر، وبين السلطان الغورى معز الدين محمد بن سام الذي وردت الإشادة به في نقوش المنار والمتوفى عام 602-1206، وقد بنى المنار من لدن قطب الدين على نموذج غُوري يوجد في مدينة جام، وتمم من طرف شمس الدين لألْميش (إيلتمش) حوالي عام 1229 هذا وقد رُمّم المنار أخيرا بين عام 1828- 1829.



صحن الجامع



صومعة جامع دهلي

وأراد السلطان أن يبني بالصحن الغربي صومعةً أعظم منها فبنى مقدار الثلث منها واخترم دون تمامها (91) وأراد السلطان محمد اتمامها ثم ترك ذلك تشاؤماً.

وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة، وهذا الثلث المبني منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التي ذكرنا أنها بالصحن الشمالي.

وصعدتُّها مرة فرأيت معظم دور المدينة، وعاينت الأسوار على ارتفاعها وسموِّها منحطة، وظهر لي الناس في أسفلها كأنهم الصبيان الصغار، ويظهر لنا ظرها من أسفلها أن 153/3 ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها!

وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبني أيضا مسجداً جامعاً بسِيري المسماة دار الخلافة، فلم يتم منه غير الحائط القبلي والمحراب، وبناؤه بالحجارة البيض والسود والحمر والخضر، ولو كمُل لم يكن له مثل في البلاد، وأراد السلطان محمد إتمامه وبعث عرفاء البناء ليقدروا النفقة فيه فزعموا أنه ينفق في اتمامه خمسة وثلاثون لكا، فترك ذلك استكثارًا له، وأخبرني بعض خواصه أنه لم يتركه إستكثارا لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قد 154/3 قُتل قبل تمامه.

ذكر الحوضين العظيمين بخارجها

وبخارج دهلي الحوضُ العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين لَلْمِش (92) ومنه يشرب أهل المدينة، وهو بالقرب من مصلاها، وماؤه يجتمع من ماء المطر، وطوله نحو ميلين وعرضه على النصف من طوله، والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة مصنوعة أمثال الدكاكين بعضها أعلى من بعض وتحت كل دكان درج يُنزَل عليها إلى الماء وبجانب كل دكان قبة حجارة فيها مجالس للمتنزهين والمتفرجين، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة مجعولة طبقتين، فإذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها 155/3 إلا في القوارب، فإذا قل الماء دخل إليها الناس وداخلها مسجد، وفي أكثر الأوقات يقيم

(91) قاعدة هذه الصومعة التي يبلغ قطر دائرتها ضعف قطر مِنار قطب ما تزال إلى الآن باديةً للعيان، وقد بنيت من لدن علاء الدين الخَلْجي 1295-1215 والد قطب الدين، مبارك شاه.

(92) حول السلطان شمس الدّين هذا انظر III، 164-165.

بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه، وإذا جف الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الأخضر (93) والأصفر وهو شديد الحلاوة صغير الجرم.

وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخاصّ (94)، وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين وعلى جوانبه نحو أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب. وموضعهم يسمى طرب آباد، ولهم سوق "هناك من أعظم الأسواق ومسجد" جامع ومساجد سواه كثيرة.

وأخبرت أن النساء المغنيات الساكنات هناك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات ويؤم بهن الأئمة، وعددهن كثير، وكذلك الرجال المغنّون، ولقد شاهدت الرجال أهل الطرب في عرس الأمير سيف الدين غدا ابن مهنّى لكل واحد منهم مصلًّى تحت ركبته فإذا سمع الآذان قام فتوضأ وصلّى. 156/3

ذكر بعض مزاراتها

فمنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختيار الكعكي (95)، وهو ظاهر البركة كثير التعظيم، وسبب تسمية هذا الشيخ بالكعكي أنه كان إذا أتاه الذين عليهم الدُّيون شاكين من الفقر أو القلة أو الذين لهم البنات ولا يجدون ما يجهزونهن به إلى أزواجهن يعطى مَن أتاه منهم كعكة من الذهب أو من الفضة، حتى عُرف من أجل ذلك بالكعكي، رحمه الله، ومنها قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكُرْلاني، بضم الكاف وسكون الراء، والنون، ومنها قبر الفقيه علاء الدين الكِرماني (96) نسبة إلى كرمان، وهو ظاهر البركة ساطع النور ومكانه يُظهر قِبلة المصلِّي، وبذلك الموضع قبور رجال صالحين كثير، نفع الله تعالى بهم. 157/3

(93) القصد إلى ما يسمّيه المغاربة اليوم بالدّلاح أو الدلاع الذي باطنه أحمر تمييزاً له عن البطّيخ الذي باطنه أصفر في الغالب.

(94) يقع حوض الخاص على بعد كيلوميترين شمال المسجد وعلى نفس المسافة سيري. III/24 271-272-273.

(95) قطب الدين بختيار الكعكي المتوفى عام 633 = 1236,1235 كان تلميذا لمعين الدين الشِّشتي مؤسس الطريقة الششتية في الهند وقد خلفه في دهلي. وقد كان كذلك أستاذا لفريد الدين مسعود مؤسس الطريقة الششتية في أجودهن ADJODHAN، قبره الموجود في قرية مِهْرَوْلى ظلَّ دائما محل تقدير من لدن السلطان ومن لدن الناس ويرى بعضهم أن التَّلقيب بالكعكي لسببٍ آخر.

(96) لم نعرف شيئاً عن الكُرلاني امّا أسرة الكِرماني فهذه مشهورة بأنها من أسرة لأعيان المتدينين وهي تنحدر من الشريف الحسين بن علي، كانت معروفة في دهلي، ويتعلق الأمر، على ما يحتمل بالشريف محمد بن محمود المتوفى سنة 711 = 1311. صديق ملازم للرجل الصالح نظام الدين أوْليا.

ذكر بعض علمائها وصلحائها

فمنهم الشيخ الصالح العالم محمود الكُبّا (97)، بالباء الموحدة، وهو من كبار الصالحين، والناس يزعمون أنه ينفق من الكون لأنه لا مال له ظاهرًا، وهو يطعم الوارد والصادر ويعطي الذهب والدراهم والأثواب، وظهرت له كرامات كثيرة واشتهر بها، رأيته مرات كثيرة وحصلت لي بركته، ومنهم الشيخ الصالح العالم علاء الدين النّيلي (98)، كأنه منسوب إلى نيل مصر، والله أعلم، كان من أصحاب الشيخ العالم الصالح نظام الدين البِذَاوْني، وهو يعظ الناس في يوم كل جمعة فيتوب كثير منهم بين يديه، ويحلقون رؤسهم ويتواجدون ويُغشى على بعضهم. 158/3

حكاية [قتيل خوف العذاب]

شاهدته في بعض لأيام وهو يعظ، فقرأ القارئُ بين يديه : «يا أيُّها النَّاس اتَّقوا رَبَّكم إنَّ زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهَل كل مُرضِعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد (99)» ثم كررها الفقيه علاء الدين فصاح أحد الفقراء من ناحية المسجد صيحةً عظيمة، فأعاد الشيخ الآية فصاح الفقير ثانية ووقع ميّتا ! وكنت فيمن صلّى عليه وحضر جنازته. 159/3

ومنهم الشيخ الصالح العالم صدر الدين الكُهْراني (100)، بضم الكاف وسكون الهاء وراء ونون، وكان يصوم الدّهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعاً ونبذها، ولباسه عباءة، ويزوره السلطان وأهل الدولة، وربما احتجب عنهم فرغب السلطان منه أن يُقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين، فأبى ذلك، وزاره يوما وأَتَى إليه بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها، وذكروا أنه لا يفطر إلا بعد ثلاث، وأنه قيل له في ذلك، فقال : لا أفطر حتى اضطرّ فتحِلُّ لي الميتة.

---

(97) لا يوجد شخص مهم يحمل هذا الإسم في المصادر الهندية، ولهذا فإن القصد – على ما يبدو – إلى ناصر الدين محمود المعروف تحت إسم سراج دهلي، المتوفى عام 757 = 1356، خلَف نظام الدين أَوليا على ما سنرى ص 211-212 الكُبّا : تعني الأحدب.

(98) النِّيلي مولود بموقع معروف تحت اسم (Oudh)، كان أيضا أحد تلامذة نظام الدين أوليا، وقد توفي في دهلي عام 762 = 1361.

(99) السورة رقم 22، الآية 1 - 2 هذا ويلاحظ على المترجمَيْن الفرنسيين أنهما أضافا من عندهما في الأخير كلمة (il les étourdira) التي لا توجد في نص الآية الواردة هنا.

(100) لم نقف على شيء مما يقربنا إلى هذه الشخصية.

160/3 ومنهم الإمام الصالح العالم العابد الورع الخاشع ▒ فريد دهره ووحيد عصره، كمال الدين عبد الله الغاري، بالغين المعجم والراء، نسبة إلى غار كان يسكنه خارج دهلي بمقربة من زاوية الشيخ نظام الدين البذاوْني، زرته بهذا الغار ثلاث مرات (101).

كرامة له

كان لي غلام فأبق مني، وألفيته بيد رجل من الترك، فذهبت إلى انتزاعه من يده فقال لي الشيخ : إن هذا الغلام لا يصلح لك فلا تأخذه، وكان التركي راغباً في المصالحة فصالحته بمائة دينار أخذتها منه وتركته له، فلما كان بعد ستة أشهر قتل سيدَه وأُتي به السلطان، فأمر بتسليمه لأولاد سيده، فقتلوه.

ولما شاهدت لهذا الشيخ هذه الكرامة، انقطعتُ إليه ولازمته، وتركت الدنيا ووهبت جميع ما كان عندي ▒ للفقراء والمساكين وأقمت عنده (102) مدة فكنت أراه يواصل عشرة أيام وعشرين يوما، ويقوم أكثر الليل حتى بعث عني السلطان ونشبتُ في الدنيا ثانية، والله تعالى يختم بالخير، وسأذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى وبكيفية رجوعي إلى الدنيا (101). 161/3

(101) سيرد ذكر الغارى (III 445-446).

(102) تراجع ص 447 من الجزء III.

الفصل الحادي عشر

فتح دهلي ومن تداولها من الملوك

- وصف مدينة دهلي
- أولياء وصلحاء دهلي
- السلطان شمس الدين لَلْمِش (ILETMISH) وأبناؤه
- السلطانة رضية بنت شمس الدّين...
- السلطان غِياث الدين بَلَبَن وحفيده
- السلطان خسرو خان ناصر الدّين
- السلطان غياث الدّين تُغلق.

ذكر فتح دهلي ومن تداولها من الملوك :

حدثني الفقيه الإمام العلامة قاضي القضاة بالهند والسند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي (1)، الملقَّب بصدر الجهان، أن مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسمائة (2)، وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها، وأخبرني أيضا أنها ‖ افتتحت على يد الأمير قطب الدين أَيْبَك (3)، واسمه بفتح الهمزة 162/3 وسكون الياء، آخر الحروف، وفتح الباء الموحدة، وكان يلقب سپاه سالار، ومعناه مقدَّم الجيوش، وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري، ملك غَزْنة وخراسان (4) المتغلب على مُلك ابراهيم (5) بن السلطان الغازي محمود بن سُبُكتِيكين الذي ابتدأ فتح الهند.

وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الأمير قطب الدين بعسكرٍ عظيم ففتح الله عليه مدينة لاهُوْر (6) وسكنها وعظم شأنه، وسُعِي به إلى السلطان وألقى إليه جلساؤه أنه

---

(1) قاضي القضاة لدى المماليك في جيش دهلي وهو الذي كان مصدرًا لابن بطوطة في هذه الافادات التي قدمها لنا الرحالة المغربي على ما سنرى.

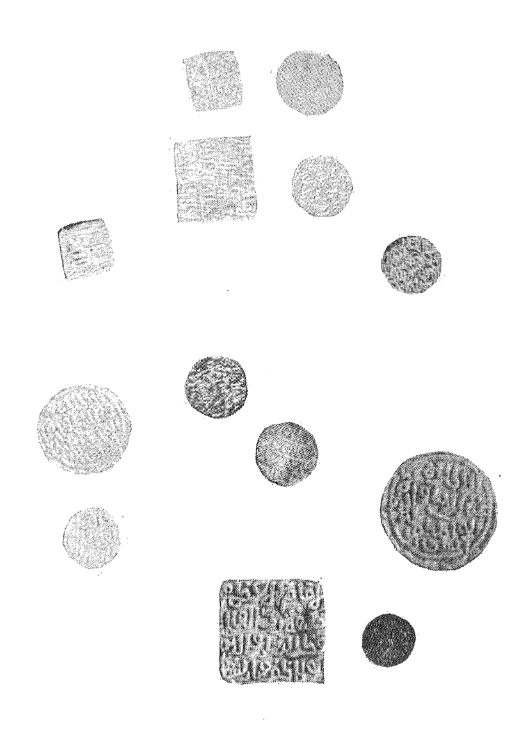
(2) إن أقدم نقش في المسجد يرجع لتاريخ 587=1191 وهو الأمر الذي يتفق مع التاريخ الذي تم فيه إفتتاح دهلي. هذا ونلاحظ هنا أن أبا القاسم الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى ينقل صفحة 247 عن ابن بطوطة من غير أن يذكر اسمه بالرغم من أنه التزم أن لا ينقل عن ابن بطوطة اقتناعًا منه بأن ما يرويه هذا الرّحالة كذب!! انظر المقدمة في المجلد الأول...

(3) قطب الدين أيبك، كان مملوكًا ثم أصبح ضابطًا لسلطنة دهلي 602-610، 1206-1210. وكلمة (سباه سالار) بمعنى القائد العام للجيش ما تزال مستعملةإلى الآن في إيران على ما لا حظته أثناء سفارتي هناك عام 1979.

(4) شهاب الدين سمى نائباً للملك في غزنة عام 568=1173 من طرف أخيه غياث الدين محمد السلطان الغوري المقيم في هرات 558-599=1163-1203. وقد باشر فتح شمال الهند، وبعد وفاة أخيه ورث مجموع الممتلكات الغورية. وعند وفاته هو عام 602=1206 تفكّكت أجزاء أمبراطوريته وأصبحت الممتلكات الهندية في يد أيبك. هذا ونعيد إلى الذاكرة أن (الغور) يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي في هرات وإلى الجنوب من غرجستان وجوزان ... بارثولد– تركستان ص 489-619.

(5) إبراهيم : سلطان غزنوى 451-492=1059-1099 كان الحفيد، والنائب التاسع لمحمد صاحب غزنة، لقد كانت غزنة فتحت من لدن الغوريين أثناء تملك بهرام 512-547=1118-1152 وعاش الملوك الغزنيون المتأخرون في لاهور إلى عام 562=1186.

(6) لاهور إفتتحت من طرف غياث الدين محمد الغوري وانتزعت من يد آخر ملك غزنوي خسرويه مالك عام 582=1186 لكنها بقيت مع ذلك مقرَّ السلطنة في الهند الاسلامية قبل اخذ دهلي. وقد اسعدني الحظ بقضاء بعض الأيام بين معالمها وبين خيار أهلها بمناسبة اجتماع وزراء الخارجية المسلمين، يناير عام 1980، في اسلام أباد عاصمة الباكستان، وتقع جنوب (رَاوَل بيندي) وشمال ملتان وهي مليئة بالمخطوطات وكتب التراث وفيها وقفت على نسخة قد يمة من الرسالة التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ...



انتشرت النقود الإسلامية في بلاد السند والهند
منذ عهد قطب الدّين أيبك أنظر (162,III)

يريد الإنفراد بمُلك الهند، وأنه قد عصى وخالف، وبلغ هذا الخبر إلى قطب الدين فبادر بنفسه وقدم على غزنة ليلاً ودخل على السلطان ولا علم عند الذين وشوا به إليه ‖ فلما كان بالغد قعد السلطان على سريره، واقعد أيْبك تحت السرير بحيث لا يظهر، وجاء النُّدماء والخواص الذين سعوا به فلما استُقِرَّ بهم الجلوس، وسألهم السلطان عن شأن أيْبَك، فذكروا له : أنه عصى وخالف وقالوا : قد صحَّ عندنا أنه ادَّعى الملك لنفسه، فضرب السلطان سريره برجله وصفق بيديه، وقال : يا أيْبك ! قال : لبّيك، وخرج عليهم وسُقِط في أيديهم، وفزعوا إلى تقبيل الأرض، فقال لهم السلطان : قد غفرت لكم هذه الزَّلَّة وإياكم والعودة إلى الكلام في أيبك (7)، وأمره أن يعود إلى بلاد الهند فعاد إليها وفتح مدينة دِهلي وسواها، واستقرّ بها الإسلام إلى هذا العهد وأقام قطب الدين بها إلى أن توفّى ‖ .

163/3

164/3

ذكر السلطان شمس الدين لَلْمِش (8)

وضبط إسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم، وهو أول من ولِي الملك بمدينة دهلي مستقلاً به، وكان قبل تملُّكه مملوكاً للأمير قطب الدين أَيْبك وصاحَب عسكره ونائباً عنه فلما مات قطب الدين أيْبك استبد بالملك، وأخذ الناسَ بالبيعة فأتاه الفقهاء يقدمهم قاضي القضاة إذ ذاك وجيه الدين الكاساني، فدخلوا عليه وقعدوا بين يديه، وقعد القاضي إلى جانبه على العادة وفهم السلطان عنهم ما أرادوا أن يكلّموه به فرَفع طرف البساط الذي هو قاعدٌ عليه وأخرج لهم عقداً يتضمن عتقه، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعاً واستقل بالملك، وكانت مُدَّته عشرين (9) سنة، وكان عادلاً صالحاً فاضلاً.

ومن مآثره أنه اشتد في ‖ رد المظالم وإنصاف المظلومين وأمر أن يلبس كلُّ مظلوم ثوباً مصبوغًا، وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض، فكان متى قعد للناس أو ركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وإنصافه ممن ظلمه، ثم إنه أعْيا في ذلك، فقال : إنّ بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين

165/3

---

(7) هذه الأسطورة إستأثربها ابن بطوطة نقلا عما سمعه من العامة ولكن أيْبك، بعد غارة ناجحة في الكجرات عام 591=1195 استدعى من لدن السلطان غياث الدين محمد لياتي إلى غزنة حيث أقام هناك نحو العام ... وقد تمت هذه الزيارة قبل فتح دهلي.

(8) الرسم الحقيقي لهذا الإسم ربَّما يكون هكذا إيليتْمِيش (Ilitmish). عند وفاة أيْبك بلاهور عام 607=1210 إثْر سُقوطه من فرسه، قامت حاشيته بتسمية ولده أرام شاه كسلطان على البلاد، في الوقت الذي كانت فيه أوساط دهلي تنتخب شمس الدين إيليتْميش (Ilitmish) المملوك السابق لأيبك – وقد انهزم أرام شاه سنة 608-1211 فاختفى من السَّاحة ...

(9) كان ذلك من سنة 668=1211 إلى 29 أبريل 1236=20 شعبان 633.

مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي ليلاً فيُحرِّك الجرس فيسمعه السلطان وينظر في أمره للحين وينصفه (10) !

ولما توفي السلطان شمس الدين خلَّف من الأولاد الذّكور ثلاثة وهم : ركن الدين الوالي بعده، ومعزّ الدين، وناصر الدين وبنتاً تسمى رضية هي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين كما ذكرناه (11). 166/3

ذكر السلطان ركن الدين بن السلطان شمس الدين.

ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمرَه بالتعدّي على أخيه معزّ الدين فقتله (12) وكانت رضية شقيقتَه، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها فلما كان في بعض أيام الجُمع، فخرج ركن الدين إلى الصلاة (13)، فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم، وهو يسمى دولة خانة ولبست عليها ثياب المظلومين، وتعرضت للناس وكلّمتهم من أعلى السطح وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه، وهو يريد قتلي معه، وذكرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد، فقبضوا عليه وأتوا به إليها، فقالت لهم : القاتل يُقتَل، فقتلوه قصاصاً بأخيه وكان أخوهما ناصر الدين صغيراً فاتّفق الناس على تولية رضية. 167/3

ذكر السلطانة رضية

ولما قُتِل ركن الدّين اجتمعت العساكر على تولية أخته رضية فولّوها المُلك واستقلت فيه أربع سنين، وكانت تركب بالقوس والتركش والقُربان (14) كما يركب الرجال ولا تستر وجهها،

(10) هذه التقاليد نسبت لِعدد من الملوك.. الادريسي : النُّزهة ق 1 ص 98.

(11) كان السلطان إيليتْميش عَيَّن كخلف له على كرسي الملك ابنته رضية، بيد أنَّ الأمراء لم يستطيعوا أن يهضموا فكرة تولي امرأة على الحكم بالملكة، وفضلوا على رضية ابنه ركن الدين فيروز الذي حكم إلى يوم 8 ربيع الأول 634 = 9 نونبر من نفس السنة 1236.

(12) لم يكن لركن الدين الوقت الكافي حتى يجهز على أخيه معز الدين ! معز الدين خلفته في الحكم أخته رضية عام 637=1240 كما سنرى.

(13) كان ركن الدين خرج من دهلي ليواجه بعض الحكام الثائرين عليه عند ما شاع في البلاد عن أخبار تتحدث عن اغتيال وشيك لرضية من طرف الملكة الأم، لقد قام سكان المدينة ضده وأجلسوا رضية على العرش، وهكذا تخلّى الناس عن ركن الدين فالقى عليه القبض وقُتِل.

(14) دولة خانة : مقر الحكومة – التركش : كنانة السهام – القربان : الجلساء.

ثم إنها اتّهمت بعبدٍ لها من الحبشة (15)، فاتفق الناس على خلْعها وتزويجها، فخلعت وزوجت
169/3 من بعض أقاربها وولى الملك أخوها ناصر الدين (16) ║ .

ذكر السلطان ناصر الدين بن السلطان شمس الدّين.

ولما خُلِعت رضية وَلِّي ناصر الدين أخوها الأصغر، واستقلّ بالملك مدة، ثمّ إن رضية وزوجها خالفا عليه (17)، وركبا في مماليكهما ومن تبعهما من أهل الفساد وتهيأ لقتاله، وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بَلبَن متولّي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدها الإعياء، فقصدت حرّاثاً رأته يحرث الأرض، فطلبت منه ما تأكله فأعطاها كسرة خبز فأكلتْها وغلب عليها النوم، وكانت في زي الرِّجال، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباءً مرصّعاً، فعلم
170/3 أنها امرأة فقتلها، وسلبها وطَرَد فرسها ودفنها ║ في فدّانه، وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعها، فأنكر أهلُ السوق شأنه وأتوا به الشِّحْنة (18)، وهو الحاكم، فضربه، فأقرّ بقتلها، ودلّهم على مدفنها فاستخرجوها وغسلوها وكفّنوها، ودفِنت هنالك، وبُنيّ عليها قبّة، وقبرها الآن يُزار ويُتبرك به وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون (19) على مسافة فرسخٍ واحدٍ من المدينة.

واستقل ناصر الدّين بالمُلك بعدها واستقام له الأمر عشرين سنةً وكان ملِكا صالحا،

---

(15) الوضع السياسي في دهلي تحكّم فيه، عند تلك الفترة، مَجلس "الأربعين" عائلة التي تنتمي للأمراء الأتراك الذين كانوا يعارضون منذ البداية إمارة رضية، فلأجل أن تحتفظ رضية بالتوازن الذي يضمن لها البقاء شجعت دخول مقدم الاصطبلات الافريقي الحبشي جلال الدين ياقوت للميدان السياسي، الأمر الذي احدث هو الآخر شرْخاً جديداً أدى إلى خلع الامبراطورة رضية.

(16) ينبغي أن نقرأ عوض ناصر الدين معزّ الدين بهرام (637-640=1240-1242). سيخلف أحد أبناء ركن الدّين، علاء الدين مسعود (640-664=1242-1266) أما ناصر الدين محمُود فإنه سوف لا يأتي إلا بعد تاريخ 644-664=1246-1266.

(17) الثورة ضد رضية أشعلت من طرف حاكمٍ يسمى اختيار الدين التُّونيا الذي أصبح فيما بعد المكلف بحراسة السلطانة السابقة بسجنها، وبعد ذلك وجدنا ان اختيار الدين - وقد وجد نفسه مبعدًا عن السلطة الجديدة التي قامت في دهلي - يُقدِم على تحرير الملكة من السجن، ويتزوجها ليحصل على الشرعية وهكذا أخذ طريقه نحو دهلي. لكن جيشه انهزم يوم 23 ربيع الأول 638 = 13 أكتوبر 1240 وقد اغتيلت رضية في اليوم الموالي ...

(18) الشِّحْنة تعني على العموم الحاكم العسكري للمدينة، حيث يكون هو أيضا على رأس الشرطة.

(19) نـــهر الجـــون هـــو (La yamouna) وقد وُصف هذا القبر وموقعه كذلك من مهدي حسين في كتابه عن محمد بن تُغلق - لندن 1938 ص 35 ت تعليق 4.

ينسخ نُسَخاً من الكتاب العزيز، ويبيعها فيقتات بثمنها (20) ! وقد وقفني القاضي كمال الدين على مصحفٍ بخطه مُتقنٍ محكم الكتابة، ثم إن نائبه غياث الدين بَلَبَن قتله وملك بعده (21)، ولبلَبَن هذا خبر ظريف نذكره. 170/3

ذكر السلطان غياث الدين بَلَبَن

وضبط إسمه بباءين موحدتين بينهما لام والجميع مفتوحات وآخره نون، ولما قتل بَلَبن مولاه السلطان ناصر الدين استقل بالملك بعده عشرين سنة، وقد كان قبلها نائباً له عشرين سنة أخرى، وكان من خيار السلاطين عادلاً حليماً (22) فاضلاً ومن مكارمه أنه بنى داراً وسمَّاها دار الآمن. فمن دخلها من أهل الديون قُضِي دينه، ومن دخلها خائفاً أمِن ومن دخلها وقد قَتل أحداً أرضى عنه أولياءَ المقتول، ومن دخلها من ذوي الجِنايات أرضى أيضا من يطلبه، وبتلك الدار دفن لما مات وقد زرت قبره (23) . 171/3

حكايته الغريبة :

يذكر أن أحد الفقراء ببُخارَى رأى بها بَلَبَن هذا وكان قصيراً حقيراً ذميماً، فقال له : يا تُرْكَك ! وهي لفظة تعرب عن الاحتقار، فقال له لبّيك يا خوند ! فأعجبه كلامه، فقال له : أشترِ لي من هذا الرّمان، وأشار إلى رمان يُباع بالسوق، فقال له : نعم، وأخرج فُليسات لم يكن عنده سواها، واشترى له من ذلك الرمان، فلما أخذها الفقير، قال له : وهبناك مُلْكَ الهند، فقبّل بَلَبَن يدَ نفسه وقال : قبلت ورضيت ! واستقرّ ذلك في ضميره.

واتّفق أن بعث السلطان شمس الدين لَلْمِش تاجراً يشتري له المماليك بسمرقند

---

(20) كان ناصر الدين ملكاً عاقلاً نبيلاً علاوةً على خطه الجميل الامر الذي كان وراء الأساطير والحكايات التي تروى عنه والتي نجد لها أصداء في مختلف المصادر ... وعن الملوك الذين نسخوا القرآن بخطوطهم لا ننسى ذكر ملوك دولة بني مرين وخاصة السلطان أبا الحسن وابنه السلطان أبا عنان ... د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 7 ص 217-218... مطبعة فضالة 1988 .

(21) غياث الدين بَلَبَن (Balaban)، اشتراه عام 630=1233 إيلتُميش، تم أصبح حاجباً لناصر الدين منذ إبتداء حكمه عام 644=1246 وأمسى السيد الحقيقي للمملكة، إلا أن ناصر الدين مات على ما يظهر موتا طبيعياً يوم 10 جمادى الأولى 665=18 يبراير 1266 فخلفه بَلَبَن وحكم إلى أن توفاه الله عام 685=1287 .

(22) فيما يتصل بحِلم بَلَبَن لا يظهر أنه نعت مؤكد في المصادر الأخرى سيما وقد تناقلت الأخبار عن الطريقة التي قمع بها ثورة البنغال (Bengal) عام 679=1280 .

(23) يوجد ضريح بَلَبَن إلى الآن جنوب شرق المدينة القديمة على مقربة من جامع جمالي، وبجانبه قبر ابنه شهيد خان آتي الذكر III, 174 .

وبخارى وترمذ، فاشترى مائة مملوك كان من جملتهم بَلَبَن، فلما دخل بالمماليك على السلطان
172/3 أعجبه ‖ جميعهم إلا بَلَبن لِما ذكرناه من دَمامته، فقال : لا أقبل هذا، فقال له بَلَبَن : يا خوند عالم، لِمَن اشتريتَ هؤلاء المماليك ؟ فضحك منه، وقال : اشتريتُهم لنفسي، فقال له : اشترني أنا لله عز وجل ! فقال : نعم وقبِله وجعله في جملة المماليك فاحتُقِرَ شأنه وجُعل في السقَّائين، وكان أهل المعرفة بعلم النجوم يقولون للسلطان شمس الدين : إن أحد مماليكك يأخذ الملكَ من يد ابنك، ويستولي عليه. ولا يزالون يُلقون له ذلك، وهو لا يلتفت إلى أقوالهم لصلاحه وعدله إلى أنْ ذكروا ذلك للخاتون الكبرى أمِّ أولاده، فذكرت له ذلك، وأثَّر في نفسه، وبعث عن
173/3 المنجِّمين، فقال : أتعرفون المملوك الذي يأخذ ملك ابني إذا رأيتموه؟ فقالوا له ‖ نعم، عندنا علامةٌ نعرفه بها، فأمر السلطان بعرض مماليكه وجلس لذلك، فعرضوا بين يديه طبقةً طبقةً والمنجِّمون ينظرون إليهم، ويقولون : لم نره بعدُ، وحان وقت الزوال فقال السقَّاؤون بعضهم لبعض : إنا قد جُعنا فلْنجمَع شيئاً من الدراهم ونبعث أحدنا إلى السوق ليشتري لنا ما نأكله، فجمعوا الدراهم وبعثوا بها بَلَبَن إذْ لم يكن فيهم أحقر منه، فلم يجد بالسوق ما أرادوه، فتوجه إلى سوق أخرى وأبطأ، وجاءت نوبة السقَّائين في العرض، وهو لم يأت بعد، فأخذوا زِقّه وماعونَه وجعلوهما على كاهل صبيٍّ وعرضوه على أنه بَلَبن، فلما نُودي باسمه جاز الصبي بين أيديهم، وانقضى العرض ولم ير المنجمون الصُّورة التي طُلِبو بها، وجاء
174/3 ‖ بَلَبَن بعد تمام العرض لِما أراد الله من إنفاذ قضائه (24)، ثم إنه ظهرت نجابته فجُعل أمين السقائين ثم صار من جملة الأجناد ثم من الأمراء.

ثم تزوج السلطان ناصر الدين بنتَه قبل أن يلي الملك، فلما وَلِي الملكَ جعله نائباً عنه مدة عشرين سنة ثم قتله بَلَبن واستولى على ملكه عشرين سنةً أخرى كما تقدم ذكر ذلك!

وكان للسلطان بَلَبن ولدان : أحدهما الخان الشهيد ولي عهده، وكان واليا لأبيه ببلاد السند ساكناً بمدينة مُلتان وقتل في حرب له مع التتر (25) وترك ولدين كَي قباد، وكَي خسرو (26)، وولد السلطان بَلَبن الثاني يُسمى ناصر الدين وكان والياً لأبيه ببلاد اللكنَوْتي (27)

(24) بالنظر لما ورد في المصادر التاريخية لهذا المرحلة فإن هذه الجملة – على ما يظهر – هي المعلومة الهامة في هذه القصة. بَلَبَن كان فعلا قد اشترى في بغداد، وأصبح الغلام المفضل وكأنه أحد أفراد عائلة السلطان.

(25) هذا الولد الأول الذي يحمل اسم محمود والذي وصف على أنه نصير للعلماء والأدباء قتل أثناء غارة مغولية يوم 28 ذي الحجة 683=7 مارس 1285. قبره يوجد إلى جانب قبر والده على ما أشرنا له تعليق 23.

(26) كَي خُسرو (Kay Khusru) الوحيد الذي كان ولداً لمحمد. معز الدين كَيْ قباد (Kay Qubad) كان ولداً لناصر الدين الولد الثاني لبَلَبَن وقد خلفه هذا الأخير.

(27) بلاد اللُّكنَوْتي (Laknawti) عاصمة البنغال على ذلك العهد، تتطابق مع الموقع الخرب : غُور (Gaur) في منطقة راجشاهي (Rajshahi) تقع على الحدود الغربية للهند مع البانغلاديش أنظرَ الخريطة. ناصر الدين سمي حاكما من طرف والده بعد قمع ثورة البنغال عام 679=1280.

175/3 وبنجالة، فلما استُشهد الخانُ الشهيد جعل السلطان بَلَبَن العهد إلى ولده كي خسرو وعدل به عن ابن نفسه ناصر الدين، وكان لناصر الدين أيضا ولدٌ ساكن بحضرة دهلي مع جده غياث الدين يسمّى معز الدين وهو الذي تولّى الملك بعد جده في خبرٍ عجيب نذكره، وأبوه إذ ذاك حيٌ كما ذكرناه.

ذكر السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بَلَبَن :

ولما توفي السلطان غياث الدين ليلاً، وابنه ناصر الدين غائب ببلاد اللكنوتي، وجعل العهد لابن ابنه الشهيد كي خسرو حسبما قصصناه كان ملك الأمراء نائب السلطان غياث الدين (28) عدوّاً لكي خسرو فأدار عليه حيلةً تمت له، وهي أنه كتب بيعةً دلّس فيها على 176/3 خطوط الأمراء الكبار بأنهم بايعوا معز الدين حفيد السلطان بَلَبَن ودخل على كي خسرو كالمتنصّح له فقال له : إن الأمراء قد بايعوا ابن عمك وأخافُ عليك منهم فقال له : كَي خسرو : فما الحيلة ؟ قال أنجُ بنفسك هارباً إلى بلاد السند، فقال : وكيف الخروج والأبواب مسدودة؟ فقال له : إن المفاتيح بيدي وأنا أفتح لك، فشكره على ذلك وقبّل يده، فقال له : إركب الآن، فركب في خاصته ومماليكه وفتح له الباب وأخرجه، وسدَّ في أثره، واستأذن (29) على معز الدين فبايعه، فقال : كيف لي بذلك وولاية العهد لابن عمّي؟ فأعلمه بما أدار عليه من 177/3 الحيلة وبإخراجه فشكره على ذلك، ومضى به إلى دار الملك وبعث عن الأمراء والخواص فبايعوه ليلاً، فلما أصبح بايعه سائر الناس، واستقام له الملك.

وكان أبوه حيًّا ببلاد بنجالة واللّكنوْتي، فاتصل به الخبر، فقال : أنا وارث الملك، وكيف يلي ابني الملك ويستقلّ به وأنا بقيد الحياة ؟ فتجهز في جيوشه قاصداً حضرة دهلي وتجهز ولده في جيوشه أيضاً قاصداً لمدافعته عنها فتوافيا معاً بمدينة كَرَا (30)، وهي على ساحل نهر الكنك الذي تحج الهنود إليه، فنزل ناصر الدين على شاطئه مما يلي كَرَا ونزل ولده السلطان معزّ الدين مما يلي الجهة الأخرى والنَّهرُ بينهما وعزما على القتال، ثم إن الله تعالى 178/3 أراد حقن دماء المسلمين فالقى في قلْب ناصر الدين الرحمة لابنه، وقال : إذا ملك ولدي فذلك شرف لي وأنا أحقّ أن أرغب في ذلك، وألقى في قلب السلطان معز الدين الضّراعة لأبيه

(28) يتعلق الأمر بفخر الدين كُتوال (Kotual) (رئيس الشرطة) في دهلي.

(29) كَيْ خُسْرو كان قد غادر دهلي ليعوِّض والده، وعند وفاة بَلَبَن وجد نفسه في مُلْتان عاصمة بلاد السند.

(30) ناصر الدين لا يظهر أنه تعرَّض لامتحانات الملكة، بيد أنه أمام الفتن التي شنت في دهلي بعد تنصيب معز الدين كَيْقُباد اعتقد أن من واجبه أن يتدخل، وكان اللقاء أوائل صفر 687 = أواسط شهر مارس 1288 على سواحل وادي (كاغرا) من روافد نهر الكانج في منطقة (الله أباد) ببنغلادش .

فركب كل واحد منهما في مركب منفرداً عن جيوشه والتقيا في وسط النهر فقبَّل السُّلطان رجل أبيه، واعتذَر له فقال له أبوه : قد وهبتك مُلكي ووليتك، وبايعه وأراد الرجوع لبلاده، فقال له ابنه : لا بدَّ لك من الوصول إلى بلادي فمضى معه إلى دهلي (31)، ودخل القصر وأقعده أبوه على سرير الملك، ووقف بين يديه وسُمِّيَ ذلك اللّقاء الذي كان بينهما بالنَّهر لقاء السعدين، لما كان فيه من حقن الدماء وتواهُب الملك والتجافي عن المنازعة، وأكثرت الشعراء في ذلك، وعاد ناصر ‖ الدين إلى بلاده. فمات بها بعد سنين وترك بها ذرية منهم غياث الدين بها دور (32) الذي أسره السلطان تغلق، وأطلقه ابنه محمد بعد وفاته، واستقام الملك لمعز الدين أربعة أعوام بعد ذلك كانت كالأعياد (33). رأيتُ بعض مَن أدركها يصف خيراتها ورخص أسعارها وجود معز الدين وكرمه، وهو الذي بنى الصَّومعة بالصحن الشمالي من جامع دهلي، ولا نظير لها في البلاد. 179/3

وحكى لي بعض أهل الهند أن معز الدين كان يُكثر النكاح والشرب فاعترته علّة أعجز الأطباء دواؤها ويَبِسَ أحد شقَّيه، فقام عليه نائبه جلال الدين فيروز شاه الخَلَجي (34)، بفتح الخاء المعجم واللام والجيم ‖. 180/3

ذكر السلطان جلال الدين

ولما اعترى السلطان معز الدين ما ذكرناه من يُبْس أحد شقّيه، خالف عليه نائبه جلال الدين ما ذكرناه من يُبْس أحد شقّيه خالف عليه نائبه جلال الدين وخرج إلى ظاهر المدينة فوقف على تلٍّ هنالك بجانب قبَّةٍ تعرف بقبة الجيشاني، فبعث معز الدين الأمراء لقتاله، فكان كل من يبعثه منهم يبايع جلال الدين، ويدخل في جملته، ثم دخل المدينة وحصره في القصر ثلاثة أيام.

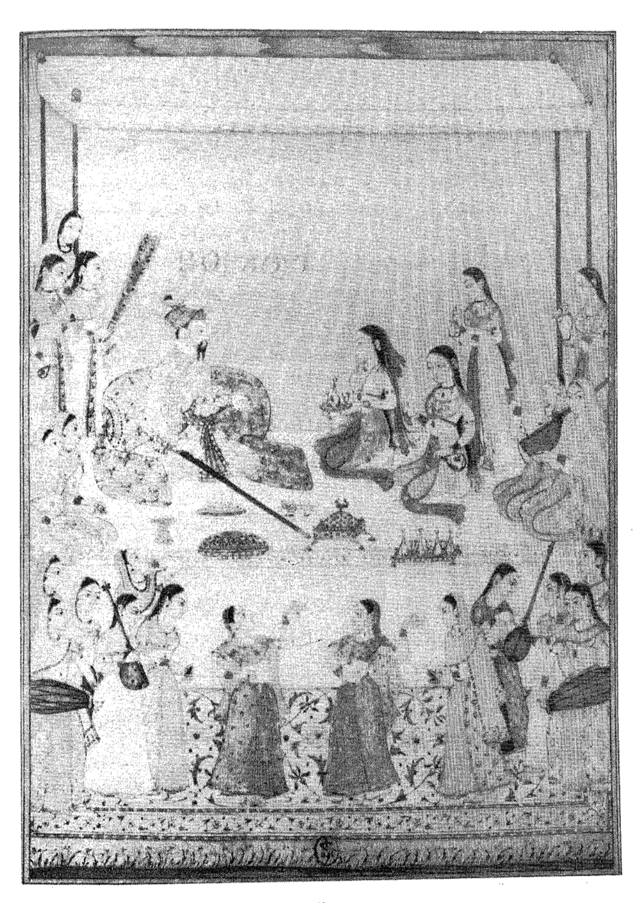
وحدَّثني مَن شاهد ذلك أن السلطان معز الدين أصابه الجوع في تلك الأيام، فلم يجد ما يأكله، فبعث إليه أحد الشرفاء من جيرانه ما أقام أوَدَه، ودُخل عليه قصر فقُتِل، وولي بعده

(31) قصة تذكرّ في عدد من نظائرها مع الفارق، مثلا أبو الحسن المريني مع ابنه أبي عنان عندما رضي الوالد عن ولده وكتب له بولاية عهده – الزركشي : تاريخ الدولتين – ص : 90.

(32) تملك تحت اسم ناصر تحت اسم شاه بوغره، وكان مستقلاً إلى غاية 690=1291 وقد خلَّفه أولاده. غياث الدين بها دور الذي سنقرأ تاريخه فيما بعد، III 210-216 الخ.

(33) يتحدث المؤرخون عن الانغماس في الملذّات والإسراف في الانفاق...

(34) جلال الدين فيروز ينتسب لقبيلة الخَلَج، من أصل تركي، بيد أنه أقام كثيراً بأفغانستان في غَزْنَة بالذات فأمْسى – نتيجةً لذلك– يشعر بأنه أفغاني، ولهذا فإن وصول جلال الدين للحكم لم ينظر اليه كشيء جميل لا من جانب الأرستُقراطية التركية ولا من جانب سكان دهلي.



رسم مع الحريم

181/3 جلال الدين وكان حليماً فاضلاً، وحلمُه أدّاه إلى القتل، كما سنذكره، واستقام له الملك سنين (35)، وبني القصر المعروف باسمه (36)، وهو الَّذي أعطاه السلطان محمد لصهره الأمير غدا بن مهنّى لما زوَّجه بأخته، وسيُذكر ذلك، فكان للسلطان جلال الدين ولدٌ إسمه ركن الدين، وابن أخٍ إسمه علاء الدين زوَّجه بابنته، وولاَّه مدينة كَرَا ومَانِكْبُور ونواحيها (37)، وهي من أخصب بلادِ الهند، كثيرة القمح والأرز والسكّر، وتصنع بها الثياب الرفيعة، ومنها تجلب إلى دهلي وبينهما مسيرة ثمانية عشر يوماً.

وكانت زوجة علاء الدين تؤذيه فلا يزال يشكوها إلى عمه السلطان جلال الدين حتى وقعت الوحشة بينهما بسببها، وكان علاء الدين شهماً شجاعاً مظفراً منصوراً، وحبّ الملك ثابتٌ في نفسه إلاّ أنّه لم يكن له مال إلاّ ما يستفيده بسيفه من غنائم الكفَّار، فاتفق أنّه ذهب مرّة إلى الغزو ببلاد الدُّويقير (38)، وتسمى بلاد الكَتَكَة أيضا، وسنذكرها، وهي كرسيٌّ بلاد المالْوَة والمَرْهَتة (39)، وكان سلطانها أكبر سلاطين الكفار فعثرت بعلاء الدين في تلك الغزوة دابّةٌ له عند حجر، فسمع له طنيناً، فأمر بالحفر هنالك فوجد تحته كنْزاً عظيما (40)، 182/3

(35) يعني من 689 إلى 695 (1290-1296) هذا ولم يفت بعض المعلقين التأكيد على أن لفظ (القبة) من الكلمات التي دخلت اللغات الأوربية (alcôve)... كوبا ...؟

(36) سيتم التعريف بهذا القصر فيما بعد ج III ص 271 على أنه القصر الأحمر (كُوشك لعل (Kushki-La'L) الذي يقع في المدينة العتيقة لدهلي، وعليه فإن هذا القصر بني من قبل بَلَبَن. أما القصر المبني من لدن جلال الدين فيروز فإنه يسمى القصر الأخضر وهو يكوّن امتداداً للذي شيد من قبل معز الدين كَيْقُباد في كيلوخْري (Kilokhri) على بعد نحو 10 كـم شمال شرق المدينة القديمة على ساحل نهر يامونا (Yamuna).

(37) يوجد في أغلب الأحيان اسم هذين المدينتين الموجودتين في الشمال الغربي لمدينة اللّه أباد (Al-lahabad) على نهر الكانج، هذا الإسم يعني اقطاعية كَرَا – مَنِكْبُور – عند تنصيب جلال الدين فيروز كان المستلم لهذه الاقطاعية تشاتجو (Tchadju) خان ابن أخي بَلَبَن الذي احتفظ بها إلى ثورته في السنة اللاحقة، عندئذ أخذت منه وأعطيت لعلاء الدين ابنُ أخي جلال الدين وخَلفُه في المستقبل...

(38) الدّويقير (Deoghir) تغير هذا الإسم إلى (دولة أباد) من لدن محمد بن تغلق، تقع في الشمال الغربي في أُرنجابَاد (Aurungubad) الحالية في دكّان (Deccan). وقد وقفتُ على معالم أورانگاباد (أبريل 1975) كَتكَه (Catacah) : (باللغة السنسكرية : المعسكر الملكي) قُدم كإسم لجزءٍ من أورَانْجَاباد...

(39) المرهتة (Maharashtra) أوبلاد مهرات – منطقة مالوة (Malua) تقع في الشمال أكثر شرقي كُوجَرَات.

(40) علاء الدين قام بحملة جريئة في ديوغير (Deoghir) في سرّيّةٍ وبجيوشه الخاصة. العاهل الهندي راما شاندرا (Ramachandra) حاول بمفرده وبمساعدة جيوش ولده أن يقاوم الزحف لكنه استسلم – إذا كان الحديث عن الكنز المدفون يثير بعض الأساطير، فإن الغنائم التي حصل عليه جيش علاء الدين كانت عظيمة، وقد مكنت علاء الدين من أن يصل إلى العرش...

ففرّقه في أصحابه ووصل إلى الدُّويقير فأذعن له سلطانها بالطاعة ومكّنه من المدينة من غير حرب، وأهدى له هدايا عظيمة فرجع إلى مدينة كَرَا، ولم يبعث إلى عمّه شيئا من الغنائم فأغرى النّاس عمّه به، فبعث عنه فامتنع من الوصول اليه، فقال السلطان جلال الدين : أنا أذهب إليه وآتي به فإنه ‖ محلّ ولدي، فتجهّز في عساكره وطوى المراحل حتى حلّ بساحل مدينة كَرَا حيث نزل السلطان معز الدين لما خرج إلى لقاء أبيه ناصر الدين، وركب النهر برسم الوصول إلى ابن أخيه وركب ابن أخيه أيضاً في مركب ثان عازماً على الفتك به وقال لأصحابه : إذا أنا عانقته فاقتلوه، فلما التقيا وسط النهر عانقه ابن أخيه، وقتله أصحابه كما وعدهم واحتوى على ملكه وعساكره (41).

183/3

ذكر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي.

ولما قتل عمّه استقلّ بالملك وفرّ إليه أكثر عساكر عمه وعاد بعضهم إلى دِهلي واجتمعوا على ركن الدين (42) وخرج إلى دفاعه فهربوا ‖ جميعاً إلى السلطان علاء الدين وفرّ ركن الدين إلى السّند ودخل علاء الدين دار الملك واستقام له الأمر عشرين سنة، وكان من خيار السلاطين، وأهلُ الهند يثنون عليه كثيراً، وكان يتفقّد أمورَ الرعيّة بنفسه ويسئل عن أسعارهم، ويحضر المحتسب (43)، وهم يسمونه الرئيس في كلِّ يوم برسم ذلك، ويذكر أنه سأله يوماً عن سبب غلاء اللّحم، فأخبره أن ذلك لكثرة المغْرم على البقر في الرّتب، فأمر برفع ذلك وأمر باحضار التّجار وأعطاهم الأموال، وقال لهم : اشتروا بها البقر والغنم وبيعوها ويرتفع ثمنها لبيت المال، ويكون لكم أجرةٌ على بيعها، ففعلوا ذلك، وفعل مثل هذا في الأثواب التي يوتي بها من دولة أباد.

184/3

وكان إذا غلا ثمن الزَّرع فتح المخازن وباع الزَّرع حتَّى يرخص ‖ السعر، ويذكر أنَّ السعر ارتفع ذات مرةٍ فأمر ببيع الزرع بثمن عيَّنه فامتنع الناس من بيعه بذلك الثمن فأمر أن

185/3

(41) مرويات ابن بطوطة تتفق تماما مع المصادر الأخرى، واغتيال جلال الدين فيروز تمت يوم 17 شعبان 726 = 19 يوليه 1326 بواسطة الأسلوب المذكور : قُبلة الخيانة (Le baiser de Judas)

(42) إن الوارث المعين لجلال الدين كان هو ولده أرخلى خان (Arhali Khân) الذي كان يوجد في ملتان كحاكم هناك، أثناء هذه الأحداث. وعندئذ نادت أرملة جلال الدين بابنها الثاني قادر خان كسلطان على البلاد تحت إسم ركن الدين إبراهيم. هذا الأخير هرب عند اقتراب علاء الدين الذي دخل إلى دهلي يوم 24 ذي القعدة 726 = 22 أكتوبر 1326.

(43) المحتسب وظيفة حضارية ما تزال حية بالمغرب الأقصى، تعني المشرف على ضبط الأسعار في السوق على نحو ما تعني مراقبة البضائع وضبط سلوك الناس ... وقد ألّفت فيها عدة كتب... واللفظ موجود في قاموس اللغة الإسبانية (Motacen)، و (Almotacén) – يراجع ج I 353 التعليق 194.



المحتسب يتفقد مطاعم المدينة

لا يبيع أحد زرعاً غير زرع المخزن، وباع للناس ستّة أشهر فخاف المحتكرون فساد زرعهم بالسوس فرغبوا أن يؤذن لهم في البيع فأذن لهم على أن باعوه بأقلّ من القيمة الأولى التي امتنعوا من بيعه (44) بها.

وكان لا يركب لجمعةٍ ولا عيدٍ ولا سواهما، وسببُ ذلك أنه كان له ابن أخ يسمّى سليمان شاه (45)، وكان يحبّه ويعظّمه، فركب يوماً إلى الصيد وهو معه وأضمر في نفسه أن يفعل به ما فعل هو بعمّه جلال الدين من الفتك، فلما نزل للغداء رماه بنشّابة فصرعه وغطّاه بعض عبيده بتُرس وأتى ابن أخيه ليُجهز عليه فقال له العبيد : إنه قد مات فصدّقهم، وركب فدخل القصرَ على الحرم، وأفاق السلطان علاء الدين من غشْيتِه وركِب واجتمعت العساكرُ عليه، وفرَّ ابن أخيه فأُدرِكَ وأُوتِي به إليه فقتله، وكان بعد ذلك لا يركب.

186/3

وكان له من الأولاد خِضر خان، وشادي خان، وأبو بكر خان، ومبارك خان، وهو قطب الدين الذي ولي الملك وشهاب الدين، وكان قطب الدين مهتضَماً عنده، ناقصَ الحظّ، قليل الحظوة. وأعطى جميع إخوته المراتب وهي الأعلام والأطبال، ولم يعطه شيئاً وقال له يوماً : لا بدّ أن أعطيك مثل ما أعطيت إخوتك، فقال له : اللّه هو الذي يعطيني ! فهال أباه هذا الكلام، وفزع منه.

187/3

ثم إنّ السلطان أصابه المرض الذي مات منه، وكانت زوجته أم ولده خضر خان، وتسمى ماه حق، والماه القمر بلسانهم (46)، لها أخ يسمى سنجر، فعاهدت أخاها على تمليك ولدها خضر خان (47)، وعلم بذلك ملك نائب أكبر أمراء السلطان وكان

---

(44) بعد الحملات المتوالية للمغول في السنوات الأولى من القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي أحس علاء الدين بالحاجة إلى جيش قوي تؤدّى له الأجرة أحسن أداء. لكنه عوض أن يزيد في الأجور اختار أن يخفض من ثمن المواد الغذائية التي كانت مرتفعة بسبب التضخم المالي الناتج عن كثرة الذهب الوارد من الجنوب بسبب الغارات، ولأجل هذا فإنه أنشأ احتكاراً في الشراء بأثمان محدودة وسجّل سائر التجار، وحدد لهم سعراً معينا للفائدة، وكان على الفلاحين أيضا أن يُجبروا على بيع منتوجاتهم للتجار بأثمان كذلك محدودة. بسبب هذا وفي إطار هذه السياسة أنشأت الحكومة كذلك مخازن كبرى للمواد الغذائية التي وَجَدها ابن بطوطة، بعد ثلاثين سنة وتحدث عنها...

(45) ولد الأخ هذا يسمى أقَط (AKAT) خان في المصادر الهندية.

(46) ماه : بدون ألف كلمة فارسية تعني الشهر ومنه يأتي التعبير في البلاد التي كانت محكومة من قبل الأتراك عن الواجب الشهري : بماهية فلان يعني أجرته الشهرية.

(47) اسم الملكة كان هو ماهْرو (Mahru)، ولقبها هو ملِكة جهان، كانت أختاً لملك سنْجار الذي، لأجل أنه قتل جلال الدين فيروز بيده، أعطى لقب ألْب خان وأصبح نتيجة لذلك من المرافقين الرئيسيين لعلاء الدين. ابنته تزوجت بتاريخ 712=1312 بخضر خان، وأخذت العائلة تستعد حقيقة لكي يتبوأ العرش خضر خان هذا...

يـسـمّى الألفي (48)، لأن السلطان اشـتراه بألف تَنْكة، وهي ألفان وخمـسـمائة من دنانير المغرب (49)، فوشى إلى السلطان بما اتَّفقوا عليه، فقال لخواصّه : إذا دخل عليّ سنجر فإنّي معطيه ثوبا، فإذا لبسه فأمسكوا بأكمامه واضربوا به الأرض وأذْبَحوه، فلما دخل عليه فعلوا ذلك وقتلوه!

وكان خضر خان غائباً بموضع يقال له سَنْدَبَت (50) على مسيرة يومٍ من دهلي، توجّه 188/3 لزيارة شـهـداء مـدفـونين به لنَذْرٍ كـان عليـه أن يمشي تلك المسـافـة راجـلاً ويدعـو لوالده بالراحة، فلما بلغه أنَّ أباه قتل خاله حزن عليه حزناً شديداً ومزّق جيبه، وتلك عادةٌ لأهل الهند يفعلونها إذا مات لهم من يعزّ عليهم، فبلغ والدَه ما فعله، فكره ذلك فلما دخل عليه عنّفه ولامه، وأمر به فقيّدت يداه ورجلاه وسلّمه لملك نايب المذكور، وأمره أن يذهب به إلى حصن كَالِيور (51)، وضبطه بفتح الكاف المعقودة وكسر اللام وضم الياء آخر الحروف وآخر راء، ويقال له أيضا كُيَالِيُر بزيادة ياء ثانية، وهو حصن منقطع بين كفّار الهنود منيع على مسيرة عشر من دهلي، وقد سكنته أنا مدّة فلما أوصله إلى هذا الحصن سلّمه للكُتْوال وهو أمير الحصن، 189/3 وللمُفرِدين (52) وهم الزّماميّون (53) وقال لهم : لا تقولوا : هذا ابن السلطان فتكرموه، إنّما هو أعدى عدوٍّ له فاحفظوه كما يحفظ العدوّ! ثمَّ إنّ المرض اشتدّ بالسلطان، فقال لملك نايب ابعث مَن ياتي بابني خضر خان لأولّيه العهد، فقال له : نعم وماطله بذلك، فمتى سأله عنه، قال هو ذا يصل إلى أن توفى السلطان، رحمه الله.

ذكر ابنه السلطان شهاب الدين

ولما توفي السلطان علاء الدين أقعدَ ملك نايب ابنَه الأصغر شهاب الدين على سرير

(48) (ملك نائب) تعني في الاصطلاح الفارسي نائب ملك، وهو هنا كافور أحد الهندوس، اشتُرى عام 676 = 1277 عند الأحداث التي نهب فيها ميناء كامباي (Cambay) في الكوجرات، اشترى بمبلغ الف دينار وعرف منذ ذلك الوقت بهذا اللقب الفارسي هزار ديناري (Mezardinari)، وهو اللقب الذي ترجمه ابن بطوطة بالألْفِي. هذه الشخصية التي أصبحت قوية جداً في أواخر دولة علاء الدين هي التي دبرت مخطط نسف سائر العائلة الملكية مبتدئةً بطغمة ألب خان ولكن بدون رضى علاء الدين.

(49) تَنْكَة (TANGA) ذهبية تساوي 9.010 كرام، والدينار بالمغرب يساوي 4.722 كرام ويتعلق الأمر إذن بمبلغ أقلّ قليلاً من 2000 دينار.

(50) سَندبت هي SONEPAT أو SONPAT الحالية على بعد 28 ميلا شمال دهلي.

(51) كاليور يقصد (Gawalior) في جنوب أكْرَا التي ستصبح بعد ذلك سجنًا للدولة، وسيزورها ابن بطوطة على ما سنرى.

(52) المُفرِد يظهر انه تعبير يعني هيأةً خاصة دون تعريف بوظيفتها.

(53) القصد إلى جنود مسجلين على اللائحة : زمام الجيش.

(54) الملك، وبايعه الناس وتغلب ملك نايب عليه، وسمل أعين أبي بكر خان وشادي خان، وبعث بهما إلى كاليور، وأمر بسمل عيني ‖ أخيهما خضر خان المسجون هنالك، وسجنوا وسجن قطب الدين لاكنّه لم يسمل عينيه، وكان للسلطان علاء الدين مملوكان من خواصّه، يسمّى أحدهما ببشير، والآخر بمبشّر، فبعثت عنهما الخاتون الكبرى زوجة علاء الدين، وهي بنت السلطان معز الدين (55) فذكرتهما بنعمة مولاهما وقالت : إنّ هذا الفتى نايب ملك قد فعل في أولادي ما تعلمانه، وإنه يريد أن يقتل قطب الدين، فقالا لها : سترين ما نفعل، وكانت عادتهما أنّ يبيتا عند نايب ملك، ويدخلا عليه بالسلاح، فدخلا عليه تلك الليلة، وهو في بيتٍ من الخشب مكسوّ بالملف يسمونه الخُرمْقَة (56) ينام فيه أيام المطر فوق سطح القصر، فاتّفق أنه أخذ السيف من يد ‖ أحدهما فقلّبه وردّه إليه فضربه به المملوك، وثنّى عليه صاحبه واحتزّا رأسه وأتيا به إلى محبس قطب الدين فرمياه بين يديه وأخرجاه فدخل على أخيه شهاب الدين وأقام بين يديه أياما كأنّه نايبٌ له ثم عزم على خلعه فخلعه (57).

190/3

191/3

ذكر السلطان قطب الدين ابن السلطان علاء الدين

وخلع قطب الدين أخاه شهاب الدين وقطع إصبعه وبعث به إلى كاليور فحُبس مع إخوته، واستقام الملك لقطب الدين، ثمّ إنّه بعد ذلك خرج من حضرة دهلي إلى دولة أباد، وهي على مسيرة أربعين يوماً منها والطريق بينهما تكنفه الأشجار من الصفصاف وسواه فكأنّ الماشي به في بستان، وفي كلّ ميل منه ‖ ثلاث داوات، وهي البريد، وقد ذكرنا ترتيبه، وفي كلّ دَاوَة جميع ما يحتاج المسافر إليه فكأنّه يمشي في سوق مسيرة الأربعين يوماً، وكذلك يتّصل الطريق إلى بلاد التِّلِنك (58) والمعبر (59) مسيرة ستّة أشهر، وفي كل منزلة قصر

192/3

---

(54) مات علاء الدين يوم 8 شوال 715=5 يناير 1316، وقد سمّى كافور مكان السلطان الراحل أصغر أولاده وكان من خمس أو ست سنين تحت اسم شهاب الدين عمر.

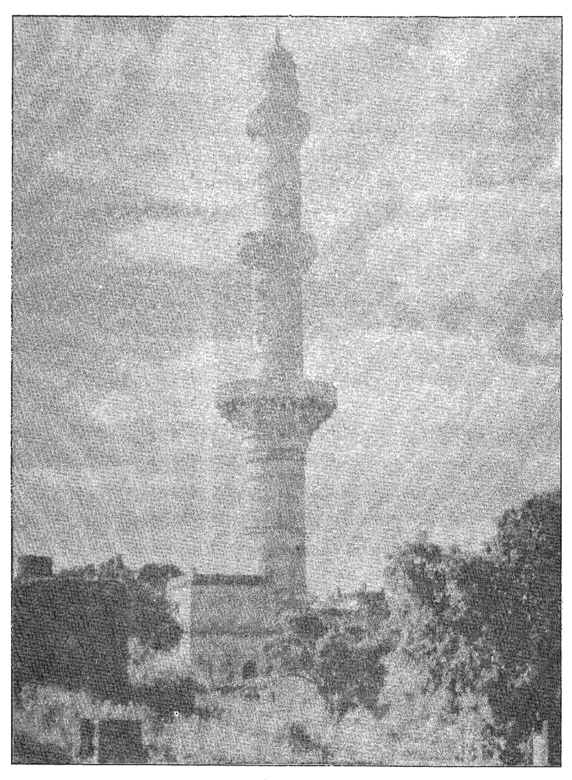
(55) أرملة علاء الدين التي كانت تشعر بالآلام أثناء هذه الفترة من جراء مطامع كافور، كانت هي أمّ شهاب الدين عمر، وكانت ابنة راما شاندْرا صاحب ديوجير (Deogir). وكذلك فإنه حسب المصادر الأخرى فإن قطب الدين مبارك نفسه أقنع بشيرومبْشر اللذين أتَيَا لقتله، أقنعهما بأن ينقلبا ضدّ كافور، هذا الأخير أغتيل يوم 9 ذي القعدة 715 = 4 ببراير 1316.

(56) الخُرَّمْقَة (Khurramgâh) بيت الملذات والمتعة.

(57) شهاب الدين خلع عن العرش وسملت عيناه من لدن أخيه الذي عوَّضه يوم 25 محرم 716 = 19 أبريل 1316.

(58) التِلِنْك : القصد إلى تِلِنْگانا (Telingàna) إمارة هندية بين گودَا فاري ونهر كريشنا عاصمتها وارَانْگال WARANGAL

(59) محطة المَعْبَر اسم عربي لساحل كورُومَانْديل (Coromandel) ساحل شرقي لنهاية شبه الجزيرة التي زارها ابن بطوطة فيما بعد، وسيأتي الحديث عنها،
Gibb : IBN BATTUTA TRAVELS in ASIA and AFRICA 1325-1354 pub-by Routledge and Kegan Pâul p. 261-5 - Travels... III, 644 N. 98.



جامع دولة أباد

للسلطان وزاوية للوارد والصادر. فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق !

ولما خرج السلطان قطب الدين في هذه الحركة (60) اتّفق بعض الأمراء على الخِلاف عليه وتولية ولد أخيه خضر خان المسجون (61)، وسنّه نحو عشرة أعوام، وكان مع السلطان، فبلغ السلطان ذلك، فأخذ ابن أخيه المذكور، وأمسك برجليه، وضرب برأسه إلى الحجارة حتّى نثر دماغه، وبعث أحد الأمراء ويسمى ملك شاه إلى كاليور حيث ▒ أبو هذا الولد وأعمامه وأمره بقتلهم جميعا! 193/3

فحدَّثني القاضي زين الدين مبارك قاضي هذا الحصن، قال : قدم علينا ملك شاه ضحوة يوم وكنت عند خضر خان بمحبسه، فلما سمع بقدومه خاف وتغيّر لونه، ودخل عليه الأمير فقال له : فيما جئت؟ قال : في حاجة خوند عالَم، فقال له : نفسي سالمة ؟ فقال : نعم، وخرج عنه واستحضر الكُتْوال، وهو صاحب الحصن والمُفردين وهم الزماميّون، وكانوا ثلاثمائة رجل وبعث عنّي وعن العدول واستظهر بأمر السلطان فقرأوه وأتوا إلى شهاب الدّين المخلوع فضربوا عنقه وهو متثبّت غير جزع، ثم ضربوا عنق أبي بكر خان وشادي خان، ولما أتوا ليضربوا عنق خضر خان فزع وذُهل، وكانت أمّه معه ▒ فسدّوا الباب دونها وقتلوه، وسحبوهم جميعا في حفرة دون تكفينٍ ولا غسْل، وأخرجوا بعد سنين فدُفنوا بمقابر آبائهم، وعاشت أمّ خضر خان مدّة ورأيتها بمكة سنة ثمان وعشرين. 194/3

وحصن كاليور (62) هذا في رأس شاهق كأنّه منحوت من الصخر لا يحاذيه جبل، وبداخله جبابُ الماء ونحو عشرين بئراً، عليها الأسوار مضافة إلى الحصن، منصوباً عليها المجانيق والرّعادات، ويصعد إلى الحصن في طريقٍ متّسعة يصعدها الفيل والفرس، وعند باب الحصن صورة فيلٍ منحوت من الحجر، وعليه صورة فيّال، وإذا رءاه الإنسان على البعد لم يشكّ أنّه فيلٌ حقيقة، وأسفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلّها بالحجارة البيض المنحوتة ▒ مساجدُها ودورها، ولا خشب فيها ما عدا الأبواب، وكذلك دار الملك بها، والقباب والمجالس 195/3

---

(60) كانت ضد هَرَبَّا لادُوفا (Hurapaladeva) صهر رامَشَانْدرا (Ramachondra) الذي أعلن استقلاله عند وفاة علاء الدين. الحركة المتحدث عنها كانت عام 718=1318.

(61) هذه المعلومة مما استأثر به ابن بطوطة، فليست معروفةً، حسب علمنا، بيد أن هناك نقوداً عثر عليها مضروبة في دهلي عام 718=1318-1319 باسم أحدٍ مَن يسمى شمس الدين محمود شاه، الذي لم نعرف عنه شيئا مع ذلك.

(62) حصن كالْيور (Gwalior)، حصن قديم يقع على قمة جبل يبلغ علوه 300 قدم على الهضبة وعلى طول $1\frac{3}{4}$ وعلى 65 ميلا جنوب اكرا، كان يستعمل كمحطة للسجن من قِبَل الحكام المسلمين...

وأكثر سوقتها كفّار، وفيها ستّماية فارس من جيش السلطان لا يزالون في جهاد لأنّها بين الكفّار.

ولما قَتل قطب الدين اخوته واستقل بالملك فلم يبق من ينازعه ولا من يخالف عليه، بعث الله تعالى عليه خاصّته الحَظِيَّ لديه أكبر أمرائه وأعظمهم منزلة عنده ناصر الدين خسرو خان ففتك به وقتله واستقلّ بملكه الاّ أنّ مدّته لم تطل في الملك فبعث الله عليه أيضاً مَن قتله بعد خلعه وهو السلطان تُغْلُق، حسبما يشرح ذلك كلّه مستوفى إن شاء الله تعالى إثر هذا ونسطره ‖ . 196/3

ذكر السلطان خسرو خان ناصر الدين

وكان خسروخان من أكبر أمراء قطب الدين (63)، وهو شجاع حسن الصورة وكان فتح بلاد جند يري (64) وبلاد المعْبر، وهي من أخصب بلاد الهند، وبينهما وبين دهلي مسيرة ستّة أشهر، وكان قطب الدين يحبّه حبّا شديداً ويؤثره، فجرّ ذلك حتفه على يديه، وكان لقطب الدين معلّم يسمى قاضي خان صدر الجهان (65)، وهو أكبر أمرائه، وكَلِيتْ دار وهو صاحب مفاتيح القصر، وعادته أن يبيت كلّ ليلة على باب السلطان ومعه أهل النوبة وهم ألف رجل يبيتون مناوبةً بين أربع ليال ويكونون صفّين فيما بين أبواب القصر وسلاح كل واحد منهم بين يديه فلا يدخل ‖ أحد إلاّ فيما بين سماطيهم، وإذا تمّ الليل أتى أهل نوبة النهار. 197/3

ولأهل النّوبة امراء وكتّاب يتطوّفون عليهم ويكتبون من غاب منهم أو حضر، وكان معلم السلطان قاضي خان يكره أفعال خسرو خان ويسوؤه ما يراه من إيثاره لكفّار الهنود وميله إليهم. وأصله منهم، ولا يزال يُلقي ذلك إلى السلطان فلا يسمع منه، ويقول له : دعه وما يريد، لما أراد الله من قتله على يديه، فلما كان في بعض الأيام قال خسرو خان للسلطان : إنّ جماعةً من الهنود يريدون أن يُسْلموا، ومن عادتهم بتلك البلاد أنّ الهندي إذا أراد الإسلام

(63) خسرو هِنديّ الولادة، وقد تعرض للسجن عند اجتياح مالْوَى (Malwa) في شرق كُوجَارات عام 704=1305. اعتنق الإسلام تحت إسم الحسن، وعين وزيراً من قبل قطب الدين مبارك عند ارتقائه منصة الحكم.

(64) جَنديري (Chanderi) كانت حصناً في إقليم مَالْوَى (ولاية نَرْوَار)، تابعةً، في تلك الفترة – لسلطنة دهلي – غارة خسرو كانت موجهةً ضد وَارَا نْكَال (Warangal) عاصمة تلينكانا سالفة الذكر، وضد سلاطين بَانديا (Pandya) في كُورُومانديل (Coromandel)، إذا كان القسم الأول من الغارة باعثاً على السُّرور فإن القسم الثاني كان أقلَّ حظاً وقد دعى خسرو إلى دهلي ...

(65) هناك مصادر أخرى تدعوه ضياء الدين، وما تزال كلمة كليليده دار مستعملة في العراق والأماكن المجاورة لمعنى حامل مفاتيح الروضة أو المشهد ... كليد بالفارسية المفتاح من اليونانيّة (KLEIS).

أدخِل إلى السلطان فيكسوه كسوةً حسنة ويعطيه قلادةً وأساور من ذهب على قدره، فقال له السلطان : ائتني بهم ! فـقال : إنهم يستـحْيون أن يدخلوا إليك نهـاراً لأجل أقربـائهم وأهل ملّتهم، فقال له : ائتني بهم ليلاً ! فجمع خسروخان جماعةً من شجعان الهنود وكُبرائهم فيهم أخوه خـان خانان (66)، وذلك أوان الحرّ، والسلطان ينام فوق سطح القصر، ولا يكون عنده في ذلك الوقتِ إلاّ بعض الفـتيان، فلما دخلوا الأبواب الأربعة، وهـم شاكّون في السـلاح، ووصلوا إلى البـاب الخامس وعليـه قـاضي خـان، أنكر شـأنهم وأحسّ بالشـر فـمنعـهم من الدخول، وقـال : لا بدّ أن أسمع من خوند عالَم بنفسي الإذن في دخولهم، وحينئذ يدخلون، فلما منعهم من الدخول هجموا عليه فقتلوه، وعلت الضجّة بالباب فقال السلطان : ما هذا ؟ فقال خسرو خـان : هم الهنود الذين أتوا ليُسلِموا، فمنعهم قاضي خان من الدخول، وزاد الضَّجيج فخاف السلطان، وقام يريد الدُّخول إلى القصر وكان بابه مسدوداً والفتيان عنده، فقرع الباب واحتضنه خسرو خان من خلْفه، وكان السلطان أقوى منه فصرعه، ودخل الهُنُود، فقال لهم خسرو خان : هُوذا فوْقي فاقتلوه ! فقتلوه وقطعوا رأسه ورموا به من سطح القصر إلى صحنه (67).

199/3

وبعث خسرو خان من حينه عن الأمراء والملوك، وهم لا يعلمون بما اتّفق، فكلّما دخلت طائفة وجدوه على سرير الملك، فبايعوه، ولما أصبح أعلن بأمره وكتب المراسم وهي الأوامر إلى جميع البلاد، وبعث لكلّ أمير خلعةً فطاعوا له جميعا واذعنوا إلا تُغْلُق شاه والد السلطان محمد شاه، وكان اذ ذاك أميراً بدِيَّال بُور (68) من بلاد السند، فلما وصلته خلعة خسرو خان طرحها بالأرض وجلس فوقها وبعث إليه أخاه خان خانان فهزمه، ثم آل أمره إلى أن قتله كما سنشرحه في أخبار تُغْلق.

200/3

ولما ملك خسرو خـان آثر الهنود (69) وأظهر أمـوراً منكرة منهـا النهى عن ذبح البـقر

(66) قد يكون خسرو صحب معه من كوجارات (Gujarat) أربعين ألف شخص للحساب الخاص لعصبته : بارْوَار (Barwar) الذين كانوا هندوسا، وذلك لتكوين جيش خاصّ به – خان خانان كان لقباً – أخو خسرو كان يسمّى حسام الدين، وكان قد ثار في كُوجَارات ضد قطب الدين مبارك..

(67) تَمَّ هذا الحدث في شهر أبريل 1320 صفر – ربيع الأول 720.

(68) دِيَّال بُور (Dipalpur) في باكستان الحالية جنوب لاهور على بُعد 80 ميلاً منها.

(69) معظم المؤرخين المسلمين من الذين كتبوا حول أيام آل تغلق يوجهون هذه التهمة ضد خسرو بيد أنه لا يظهر أن هذا السلطان كانت له نية في التنكّر للإسلام، وإنما كان يتوفر على فكرة متساهلة إزاء ديانة الهندوس الذين يكوّنون فصائله العسكرية بيد أنه كان أول عاهل في السلطنة من أصل هندوسي وليس بتركي وقد ساعد شعار "الدين في خطر" على لمّ شمل المعارضة حول غياث الدين تغلق. وهكذا فإن الاحتكاكات بين المسلمين والهندوس ليست وليدة العصور الحاضرة ولكنها متجذرة في التاريخ ...

على قاعدة كفّار الهنود فإنهم لا يجيزون ذبْحها، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق ! وهم يعظمون البقر ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها، وكان ذلك ممّا بغّض خسرو خان ‖ إلى المسلمين وأمالهم عنه إلى تُغلق، فلم تطل مدة ولايته، ولا امتدّت ايام ملكه، كما سنذكره. 201/3

ذكر السلطان غياث الدين تُغْلُق شاه

وضبط اسمِه بضم التاء المعلوة وسكون الغين المعجم وضم اللام وآخره قاف، حدّثني الشيخ الامام الصالح العالم العامل العابد ركن الدين ابن الشيخ الصالح شمس الدين أبي عبد الله بن الولي الإمام العالم العابد بهاء الدين زكرياء القرشي المُلتاني، بزاويته منها، أنّ السلطان تُغلق كان من الأتراك المعروفين بالقَرَوْنة (70)، بفتح القاف والراء وسكون الواو وفتح النون، وهم قاطنون بالجبال التي بين بلاد السند والترك، وكان ضعيف الحال، فقدم بلاد السند في خدمة بعض التّجار. وكان كُلْوانياً له، والكُلْواني، بضم الكاف المعقودة ‖ هو راعي الخيل، وذلك على أيام السلطان علاء الدين، وأمير السند إذ ذاك أخوه أولُو خان (71)، بضم الهمزة واللام، فخدمه تُغلق وتعلّق بجانبه فرتّبه في البِيادَة (72)، بكسر الباء الموحدة وفتح الياء آخر الحروف، وهم الرَّجالة، ثم ظهرت نجابته فأثبت في الفرسان، ثم كان من الامراء الصّغار وجعله أولو خان أميرَ خيله، ثم كان بعدُ من الأمراء الكبار وسمّى بالملك الغازي. 202/3

ورأيت مكتوباً على مقصورة الجامع بمُلتان، وهو الذي أمر بعملها : إنّي قاتلت التتر تسعاً وعشرين مرة فهزمتهم فحينئذ سمّيت بالملك الغازي (73).

ولما ولى قطبُ الدين ولاّه مدينة دِيال بُور وعمالتها، وهي بكسر الدال المهمل وفتح الباء الموحدة، وجعل ولده الذي هو الآن سلطان الهند أمير خيله، وكان يسمى جَونَّة، بفتح الجيم

(70) القَرَوْنة (Qaraunas) حسب ما رواه ماركو پولو – بل وحسب المرويات الهندية هم المتنسّلون من أب تركي أو مغولي وأم هندية ... ومن المعلوم أن أصول تغلق تركية. هذا وقد اشتهر في بلاد المغرب اطلاق كلمة الكُرْغلي (ج كراغلة) على الذين تنسّلوا من أبٍ تركي وأمٍّ مغربية، حول ركن الدين انظر III ,101.

(71) يتعلق الأمر بالْمَاس بك المعروف بـ ألوغ خان بعد أن دخل أخوه الحكم عام 695=1296، وسمى مباشرة حاكما للسند، بعد فتح رانثَمْبُور (Ranthambhor) في راجستان عام 700=1301، وقد نقل إلى هذه المدينة وتوفي في السنة اللاحقة.

(72) البيادة : لفظ من أصل فارسي (Piyada) جندي من المشاة ...

(73) ظهر غياث الدين تغلق لأول مرة أثناء هجوم المغول عام 704 = 1304 وأحرز على لقب (الغازي) بعد أن تمكن من رد هجوم مغولي ثانٍ على أعقابه عام 706=1306.

Dr. Ahmad Nabi Khan : Development of Mosque Archtecture in Pakistan,Islamabad, 1986 P. 36-53.

203/3 والنون، ولما ملك ‖ تسمّى بمحمد شاه، ثم لمّا قُتل قطب الدين وولى خسرو خان أبقاه على امارة الخيل، فلما أراد تُغلق الخلاف كان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم في القتال، وكتب إلى كَشْلُو خان (74)، وهو يومئذ بملتان وبينها وبين ديال بُور ثلاثة أيام يطلب منه القيام بنصرته ويذكّره نعمة قطب الدين ويحرّضه على طلب ثاره.

وكان ولد كَشْلُو خان بدهلي فكتب إلى تُغلق أنّه لو كان ولدي عندي لأعنتك على ما تريد، فكتب تُغلق إلى ولده محمد شاه يعلمه بما عزم عليه، ويأمره أن يفرّ إليه، ويستصحب معه ولد كَشْلو خان، فأراد ولده الحيلة على خسرو خان وتمّت له كما أراد، فقال له : إنّ 204/3 الخيل قد سمِنت وتبدّنَتْ وهي تحتاج ‖ اليَرَاق (75)، وهو التَّضْمير، فإذن له في تضْميرها، فكان يركب كلّ يوم في أصحابه فيسير بها الساعة والساعتين والثلاث، واستمر إلى أربع ساعات إلى أن غاب يوماً إلى وقت الزوال، وذلك وقت طعامهم فأمر السلطان بالركوب في طلبه، فلم يوجد له خبر ولحق بأبيه واستصحب معه ولد كَشْلو خان، وحينئذ أظهر تُغلق الخلاف وجمع العساكر وخرج معه كَشْلو خان في أصحابه وبعث السلطان أخاه خان خانان لقتالهما فهزماه شرّ هزيمة، وفرّ عسكره إليهما ورجع خان خانان إلى أخيه وقتل أصحابه، وأخذت خزاينه وأمواله.

وقصد تُغلق حضرة دهلي وخرج إليه خسرو خان في عساكره ونزل بخارج دهلي 205/3 بموضع يعرف ‖ بآصيا أباد (76) ومعنى ذلك رحى الرّيح، وأمر بالخزائن ففتحت وأعطى الأموال بالبِدَر، لا بوزنٍ ولا عددٍ، ووقع اللقاء بينه وبين تُغلق وقاتلت الهنود أشدّ قتال، وانهزمت عساكر تُغلق ونهبت محلّته وانفرد في أصحابه الأقدمين الثلاثماية فقال لهم : إلى أين الفرار؟ حيثما أُدْرِكْنا قُتِلنا، واشتغلت عساكر خُسرو خان بالنّهب وتفرّقوا عنه، ولم يبق معه إلا قليل فقصد تُغلق وأصحابه موقفه، والسلطان هنالك يعرف بالشّطر الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر القبّة والطّير، ويُرفَع بها في الأعياد، وأما بالهند والصين

(74) هذه الشخصية كانت تسمى في ذلك العهد بهرام أيْبا، وكان حاكم أوش (Uch)، وهو الأول الذي التحق بتغلق، وقد أحرز في إثر هذا اسم كِشلو خان (Kishlu) وحكم السند، واحتفظ بهذه الوظيفة إلى أن ثار عام 728=1328.

(75) اليَرَاق كلمة تركية تعني الرشاقة وخفة الوزن : ماعبَّر عنه ابن بطوطة بالتضمير ثم انتقلت للفارسية قبل أن تشيع في اللّغة العربية...

(76) أصيا اباد (Asya-badd) يوجد هذا الموضع في سهل لهْرَاوَات (Lahrâwat) على بعد ميلين أو ثلاثة شمال غرب (سِيري) (Siri). هذا وكلمة الشطر فيما بعد تعني (المظلة) وهي من أصل سنسكريتي. (Chatr) شطر الفارسية، وتعتبر المظلة شعاراً من شعار الملك في المشرق والمغرب منذ الوقت المبكر، وقد خصَّصنا لها حديثا في التاريخ الديلوماسي للمغرب ج 1 ص 83 - 84 إلخ ...

فلا يفارق السلطان في سفرٍ ولا حضر فلما قصده تغلق وأصحابه حمى القتال بينهم وبين الهنود وانهزم 206/3 أصحاب السلطان ولم يبق معه أحد وهرب فنزل عن فرسه ورَمَى بثيابه وسلاحه وبقي في قميصٍ واحد وأرسل شعره بين كتفيه كما يفعل فقراء الهند، ودخل بستاناً هنالك واجتمع الناس على تُغلق وقصد المدينة فأتاه الكتوال بالمفاتيح ودخل القصر ونزل بناحيةٍ منه، وقال لكشلو خان : أنت تكون السلطان، فقال كشلو خان : بل أنت تكون السلطان وتنازعا فقال له كشلو خان : فإن أبيتَ أن تكون سلطاناً فيتولى ولدُك، فكره هذا وقبل حينئذ وقعد على سرير الملك وبايعه الخاص والعام، ولما كان بعد ثلاث اشتدَّ الجوع بخسروخان وهو مختفٍ بالبستان فخَرَجَ وطاف به فوجد القَيِّم فسأله طعاماً فلم يكن عنده فأعطاه خاتمه وقال : إذهبْ فارهنه في طعام. فلما ذهب بالخاتم إلى السوق أنكر الناس 207/3 أمره ورفعوه إلى الشّحنة، وهو الحاكم، فأدخله على السلطان تُغلق فأعلمه بمَن دفع إليه الخاتم، فبعث ولده محمداً ليأتي به، فقبض عليه وأتاه به راكبا على تتُو، بتائين مثناتين أولاهما مفتوحة والثانية مضمومة وهو البرذون، فلما مثل بين يديه، قال له : إني جائع فائتني بالطعام، فأمر له بالشربة ثم بالطعام ثم بالفُقَّاع ثم بالتَّنبول، فلما أكل قام قائما وقال : ياتُغلق إفعل معي فعلَ الملوك ولا تفضحني ! فقال له : لك ذلك وأمر به فضرُبت رقبته، وذلك في الموضع الذي قَتَل هو به قطب الذين، ورمى برأسه وجسده من أعلى السطح كما فعل هو برأس قطب 208/3 الدين، وبعد ذلك أمر بغسله وتكفينه ودفن في مقبرته واستقام الملك لتُغلق أربعة أعوام وكان عادلاً فاضلاً.

ذكر ما رامه ولده من القيام عليه فلم يتمّ له ذلك.

ولما استقرّ تُغلق بدار الملك بعث ولدَه محمدًا ليفتح بلاد التِّلِنْگ (77)، وضبطها بكسر التاء المعلوة واللام وسكون النون وكاف معقود، وهي على مسيرة ثلاثة أشهر من مدينة دهلي، وبعث معه عسكراً عظيماً فيه كبار الأمراء مثل الملك تَمُوْر، بفتح التاء المعلوة وضم الميم، وآخره راء، ومثل الملك تِكِين بكسر التاء المعلوة والكاف وآخره نون، ومثل ملك كافور المُهر دار بضم الميم ومثل ملك (78) بَيرَم، بالباء الموحدة مفتوحة، والياء آخر الحروف، والراء مفتوحة، وسواهم، فلما بلغ إلى أرض التِّلنك أراد المخالفة، وكان له نديمٌ من 209/3 الفقهاء الشعراء يعرف بعُبيد فأمره أن يلقى إلى الناس أنّ السلطان تُغلق توفى، وظنَّه أنّ الناس يبايعونه مسرعين

(77) غارة 721=1321-1322 كانت موجهة ضدّ آل كَاكَاتياس (Kakatiyas) في (Telingana) التي كان الملك بْرَاطابّارُودْرا (Prataparudra) مفتنماً فِتَن دهلي رافضاً أداء الأتاوة. حول الفقاع – لنظر 124، III.

(78) حول ملك بيرم يلاحظ أن التراجمة يستعملون دون أن يميّزو الكلمة العربية : الملك، التي يترجمونها إلى: سلطان، وفي الحالتين فإن الأمر يتعلق بلقب تشريفي وليس بلقب وظيفي.

إذا سـمـعـوا ذلك، فلمـا ألقى ذلك إلى الناس أنكره الأمـراء، وضـرب كلٌّ واحـدٍ منهم طبْله وخـالف، فلم يبق معه من أحدٍ، وأرادوا قتله فمنهم منه ملك تَمُور، وقام دونه ففرّ إلى أبيه في عشرةٍ من الفرسان سمّاهم يَارَان موافق، معناه الأصحاب الموافقون فأعطاه أبوه الأموال والعساكر وأمره بالعود إلى التِلِنگ (79) فعاد إليها، وعلم أبوه بما كان أراد، فقتل الفقية عُبيداً، وأمر بملك كافور المُهردار فضُرب له عمودٌ في الأرض محدود الطرف وركّز في عنقه حتى خرج من جنبه طَرَفُه ورأسه إلى أسفل وترك على ‖ تلك الحال وفرّ من بقى من الأمراء إلى السلطان شمس الدين ابن السلطان ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بَلْبَن واستقرّوا عنده. 210/3

ذكر مسير تُغلق إلى بلاد اللكْنَوْتي وما اتّصل بذلك إلى وفاته.

وأقام الأمراء الهاربون عند السلطان شمس الدين (80)، ثم إن شمس الدين توفي وعهد لولده شهاب الدين فجلس مجلس أبيه، ثم غلب عليه أخوه الأصغر غياث الدين بهادور بُوره، ومعناه بالهندية : الأسود، واستولى على الملك وقتل أخاه قطلو خان وساير إخوته وفرّ شهاب الدّين وناصر الدين منهم إلى تُغلق فتجهز معهما بنفسه لقتال أخيهما وخلّف ولده محمداً نائباً عنه في ملكه وجدّ السير إلى بلاد اللكنَوْتي، فتغلب عليها ‖ وأسر سلطانها غياث الدين بهادور، وقدم به أسيراً إلى حضرته. 211/3

وكان (80) بمدينة دهلي الولي نظام الدِّين البذاوني (82) ولا يزال محمد شاه ابن السلطان يتردّد إليه ويعظم خدّامه، ويسأله الدعاء، وكان يأخذ الشيخَ حالٌ تِغْلب عليه، فقال

---

(79) يتناقش المؤرخون الهنود مسؤولية محمد تغلق في هذه الحوادث، هذا وقد أرسل حالاً إلى تيليكانا (Telingana) وهذه الغارة الثانية لعام 723 = 1323 أدت إلى إمتداد حكمه إلى مملكة كاكاتيا (Kakatia).

(80) ناصر الدين محمود ابن بَلْبَن سُلطان البنغال كان تنازل عن الحكم عام 690=1291 لصالح ابنه ركن الدين كيكوس (Kaikaus) الذي ظل في الحكم إلى عام 702 = 1302 – شمس الدين فيروز خلفه.

ابن بطوطة الوحيد الذي قدمه الينا كولد لناصر الدين شمس الدين فيروز بسط سيادته على شرق وجنوب البنغال بيد أن هذه السيادة تعرضت بسرعة فائقة لاعتراض ابنائه : غياث الدين بها دور المدعو بُورَه (BHURA) الذي استقر في الشرق، وشهاب الدين الذي أزاح والدَه خلال بعض الوقت عن الحكم في اللكْنَوْتي (Lakhnawti) : البنغال عام 718=1318. في سنة 722=1322 عند وفاة شمس الدين فيروز قام غياث الدّين باقصاء سائر إخوته باستثناء شهاب الدّين وناصر الدّين، وبفعل إلحاحات هذين الاخوين أعطيت المبررات لتدخلٍ من دهلي. ابن بطوطة الشخص الوحيد أيضا الذي تحدث عن فرار المتآمّرين إلى البنغال ...

(81) الغارة تؤرخ بعام 724 = 1324، ناصر الدين عين سلطاناً لشمال البنغال بينما ألحق الباقي بأمبراطورية دهلي.

(82) البذاوني معروف تحت إسم نظام الدين أولياء، (1238-1324م) كان أحد المشاهير الممثلين للطريقة الشيشتية في الهند، كان تلميذاً لفريد الدين البذاوني ... لم يكن على حالة طيبة مع تغلق، بيد أن قبره في دهلي ما يزال إلى الآن مكاناً يقصد للزيارة... – يراجع الجزء III 135-136 – تعليق 53.

ابن السلطان لخدامه : إذا كان الشيخ في حاله الذي تغلب عليه فأعلموني بذلك، فلما أخذته الحال أعلموه فدخل عليه، فلما رآه الشيخ قال : وهبنا لك الملك. ثم توفّى الشيخ في أيام غيبة السلطان، فحمل ابنُه محمد نعشه على كاهله فبلغ ذلك أباه فانكره وتوعده، وكان قد رابتْه منه أمور ونقم عليه استكثاره من شراء المماليك واجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس فزاد

212/3 حنقُه عليه وبلغه أنّ المنجّمين زعموا أنّه لا يدخل مدينة دهلي بعد سفره ذلك، فتوعدهم (83) !

ولما عاد من سفره وقرب من الحضرة أمر ولده أن يبني له قصراً وهم يسمونه الكُشك بضم الكاف وشين معجم مسكن، على وادٍ هنالك يسمى أفغان بُور (84)، فبناه في ثلاثة أيام وجعل أكثر بنائه بالخشب مرتفعاً على الأرض قائمًا على سواري خشب وأحكمه بهندسةٍ تولّى النظر فيها الملك زاده المعروف بعد ذلك بخواجة جهان، واسمه أحمد بن إياس كبير وزراء السلطان محمد (85)، وكان إذْ ذاك شحنة العمارة، وكانت الحكمة التي اخترعوها فيه أنّه متى وطئت الفيلة جهةً منه وقع ذلك القصر وسقط.

213/3 ونزل السلطان بالقصر وأطعم الناس وتفرقوا واستأذنه ولده في أن يعرض الفيلة بين يديه وهي مزيّنة فأذن له.

وحدّثني الشيخ ركن الدين أنّه كان يومئذٍ مع السلطان ومعهما ولد السلطان المؤثر لديه محمود فجاء محمد ابن السلطان، فقال للشيخ : ياخوند ! هذا وقت العصر، اِنزل فصلّ! قال لي الشيخ : فنزلت وأتي بالأفيال من جهة واحدة حسبما دبّروه، فلما وطئتها سقط الكُشك على السلطان وولده محمود قال الشيخ فسمعت الضَّجة فعدت ولم اصلّ فوجدت الكُشك قد سقط، فأمر ابنُه أن يوتي بالفؤس والمساحي للحفر عنه، وأشار بالإبْطاء، فلم يُؤت بهما إلاّ وقد غربت الشمس فحفروا، ووجدوا السلطان قد حنا ظهره على ولده ليقيه الموت !

214/3 فزعم بعضهم أنّه أخرج ميّتا وزعم بعضهم أنّه أُخرج حيّا، فأجهز عليه، وحُمل ليلاً إلى مقبرته التي بناها بخارج البلدة المسمّاة باسمه تُغلق أباد فدفن بها.

(83) الحديث عن تكهّنات المنجمين تردّد عنه مراراً، ونحن نعرف عن شعر أبي تمام عند فتح عمّورية من لدن الخليفة المعتصم : «السيفُ أصدق أنْباء من الكتب». وقد كان مشايخنا يرفضون أقوال المنجمين :

لاتنظُرَنْ لمشترٍ ولازُحَلْ × فالأمرُ للّه كما شاء فَعَلْ !

(84) أفغان بُور (Afghanpur) هو الإسم الذي يطلق على قرية تقع جنوب شرق تغلق أباد المدينة الجديدة لتغلق، حوالي أربعة أميال من شرق المدينة القديمة، ولكن لا يعرف شيء عن الوادي. هذا وكلمة (كشك) تصغر لكلمة كُوشك، وهي أصل الكلمة المستعملة اليوم في اللغات الأوربية (كْيُوسك)...

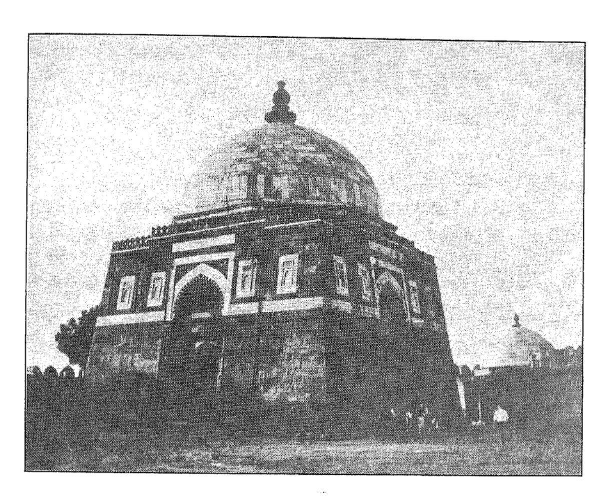
(85) أحمد اياس أو أحمد بن إياز هو الإسم الذي أعطى لـ(هاردْيُو Har Deo) : قريب أحد الهنود : رجاد يوغير، عندما اعتنق الإسلام على يد نظام الدين أولياء مهدي حسين : محمد بن تغلق.

وقد (86) ذكرنا السبب في بنائه لهذه المدينة وبها كانت خزائن تُغلق وقصوره، وبها القصر الأعظم الذي جعل قراميده مذهَّبة، فإذا طلعت الشمس كان لها نور عظيم وبصيص يمنع البصر من إدامة النظر اليها، واختزن بها الأموال الكثيرة.

ويذكر أنّه بنى صهريجا وأفرغ فيه الذهب إفراغاً فكان قطعةً واحدة فصرف جميع ذلك ولده محمد شاه لما ولي، وبسبب ما ذكرناه من هندسة الوزير خواجة جهان في بناء الكُشك الذي سقط على تُغلق كانت حظوته عند ولده محمد شاه وايثاره لديه فلم يكن أحد يدانيه في المنزلة لديه ولا يبلغ مرتبته عنده من الوزراء ولا غيرهم..... .

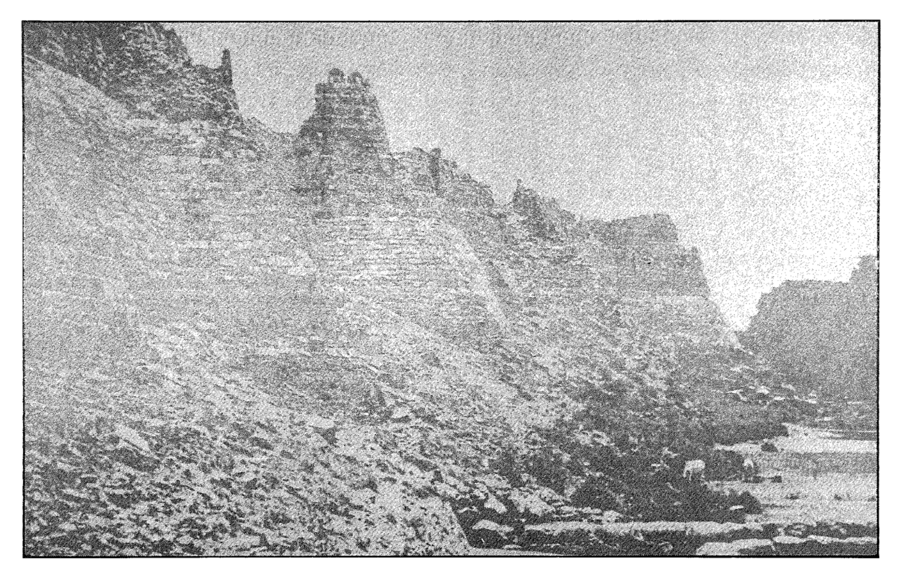
215/3

216/3



ضريح السلطان غياث الدّين تغلق شاه

(86) يوجد القبر إلى الآن جنوب تغلق أباد، هذا وتحكى بعض المصادر الهندية هذه الحادثة بأسلوبٍ تلميحي أكثر، بيد أن معلومات إبن بطوطة تظهر أكثر تفوقا وأداء...عن گيب



جدران (تغلق أباد) في الهند

الفصل الثاني عشر

السلطان محمد ابن تغلق

- مشور السلطان وعاداته
- كرم السلطان وجوده
- قدوم ابن الخليفة على السلطان وأخباره
- ابن بطوطة يترك ولَدَه أحمد عند الأمير غياث الدين ابن الخليفة العباسي فماذا عن مصير الولد ؟
- تزويج أخت السلطان وبنتي وزيره
- تواضع السلطان وفتكه في ذات الوقت !
- قتل القائمين على السلطان
- قيام عين الملك على السلطان
- قيام الأفغان على السلطان

..... ذكر السلطان أبي المجاهد محمد شاه بن السلطان غياث الدين تُغلُق شاه ملك الهند والسند الذي قدِمْنا عليه

ولما مات السلطان تُغلُق استولى ابنه محمد على الملك من غير منازع له ولا مخالف عليه، وقد قدمنا أنه كان اسمه جَوْنة، فلما ملك تسمى بمحمد، واكتنى بأبي المجاهد (1)، وكل ما ذكرت من شأن سلاطين الهند فهو مما أخبرت به وتلقيته أو معظمه من الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوي قاضي القضاة (2) ‖ وأما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوني ببلاده. 216/3

ذكر وصفه

وهذا الملك أحبّ الناس في إسداء العطايا وإراقة الدماء، فلا يخلو بابه عن فقير يغنى أو حي يقتل ! وقد شُهرت في الناس حكاياته في الكرم والشجاعة، وحكاياته في الفتك والبطش بذوي الجنايات، وهو أشد الناس مع ذلك تواضعًا وأكثرهم إظهارًا للعدل والحق، وشعائر الدين عنده محفوظة، وله اشتداد «في أمر الصلاة والعقوبة على تركها، وهو من الملوك الذين أطّردت سعادتهم وخَرق المعتادَ يمنُ نقيبتهم، ولكن الأغلب عليه الكرم، وسنذكرمن أخباره فيه عجائبَ لم يسمع بمثلها عمّن ‖ تقدمه، وأنا أشهد بالله وملائكته ورسله أن جميع ما أنقله عنه من الكرم الخارق للعادة حقّ يقين وكفى بالله شهيدًا. 217/3

وأعلم أن بعض مآثره من ذلك لا يسع في عقل كثير من الناس ويعدّونه من قبيل المستحيل عادة ولاكّن شيئًا عاينته وعرفته صحته وأخذت بحظ وافر منه لا يسعني الا قول الحق فيه، وأكثر ذلك ثابت بالتواتر (2) في بلاد المشرق.

(1) إقتفى سلاطين دهلي طريقة الألقاب الملكية للغزنويين والغوريين، إيلتُتْميش، بَلْبَن، تغلق ... كانت كنتيهم أبا المظفر- النقش الذي نجده على السكة والعملة التي صدرت أيام محمد، هو هذه العبارة «المجاهد في سبيل الله» وليس أبَا المجاهد...

(2) يراجع الحديث عن الشيخ كمال الدّين ج III ص 143 و ص 161 – تاكيد ابن بطوطة على أنه لم يقل إلا الحق. وأنه اعتمد على الخبر المتواتر كأن فيه ردّاً على مَن لم يقتنعوا بمروياته وقد سبق III ,13 حديثه عن عدد الخيل التي أصبحت في ملكه، والتي لم يذكرها خيفة مكذب يكذبها !!

ذكر أبوابه ومشوره وترتيب ذلك :

ودار السلطان بدهلي تسمى دار َسرَا، بفتح السين المهمل والراء، ولها أبواب كثيرة (3)، فأما الباب الأول فعليه جملة من الرجال موكلون به ويقعد به أهل الأنفار والأبواق والصرّنايات، فإذا جاء أمير كبير ضربوها ‖ ويقولون في ضربهم : جاء فلان ! جاء فلان ! وكذلك أيضا في البابين : الثاني والثالث، وبخارج الباب الأول دكاكين يقعد عليها الجلادون وهم الذين يقتلون الناس، فإن العادة عندهم أنه متى أمر السلطان بقتل أحد قُتِل على باب المشور، ويبقى هنالك ثلاثا، وبين البابين الأول والثاني دهليز كبير فيه دكاكين مبنية من جهتيه يقعد عليها أهل النوبة من حفاظ الأبواب.

218/3

وأما الباب الثاني فيقعد عليه البوابون الموكلون به، وبينه وبين الباب الثالث دكانة كبيرة يقعد عليها نقيب النقباء (4)، وبين يديه عَمُود ذهب يمسكه بيده على رأسه كلاه من الذهب مجوهرة في أعلاها ريش الطواويس (5) والنقباء بين يديه، وعلى راس كل واحد منهم شاشية مذهبة، وفي وسطه منطقة وبيده ‖ سوط نصابُه من ذهب أو فضة، ويفضي هذا الباب الثاني إلى مشورٍ كبير متسع يقعد به الناس.

219/3

وأما الباب الثالث فعليه دكاكين يقعد فيها كتاب الباب، ومن عوائدهم أن لا يدخل على هذا الباب أحدٌ إلا مَن عينه السلطان لذلك، ويعين لكل إنسان عددًا من أصحابه وناسه يدخلون معه، وكل من ياتي إلى هذا الباب يكتب الكتاب أن فلانا جاء في الساعة الأولى أو الثانية أو ما بعدهما من الساعات إلى آخر النهار، ويُطالَع السلطان بذلك بعد العشاء الآخرة ويكتبون أيضا بكل ما يحدث بالباب من الأمور، وقد عين من أبناء الملوك (6) من يوصل كل ما يكتبونه إلى السلطان.

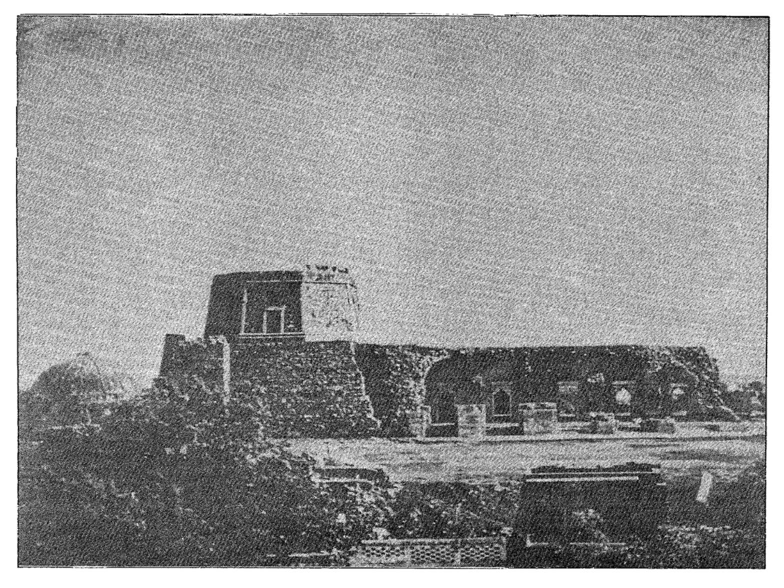
---

(3) هذا القصر أحد المعالم التاريخية النادرة في عهد السلطان محمد ، وما تزال آثاره صامدة إلى الآن في مكان المدينة الرابعة لدهلي ويسمى المكان جَهَان بَنَاه (Djahanpanah) قريباً من القرية الحالية : بيكام بّور (Begampur) بين دهلى القديمة وسِيري. ويتفق مع بقايا قصر هَزار سيتون (Ksari Hazar si-tun) (قصر الألف سارية) الذي كانت تتم فيه – على ما يبدو – الاستقبالات الملكية، وهو المذكور من قبل ابن بطوطة. أقول : مثل هذه الحقائق وهذه التفصيلات هي التي لم يهْضمْها بعض الناس فراحوا "يتناجون" بكذب ابن بطوطة على ما عرفنا من ابن خلدون في المقدمة، وما قرأناه عند الزَّياني في (الترجمانة الكبرى)...

(4) القصد إلى شخصيةٍ تتصدّر النقباء لكل طبقات الأشراف...

(5) هذه تقاليد مقتبسة من الهندوس، على نحو ما نراه اليوم هناك عند أبواب الفنادق والمؤسسات الكبرى من الهند وما جاور...

(6) القصد إلى أعضاء الأسرة المالكة علاوةً على الشخص المعيَّن للقيام بذلك.



مشور ألف سارية

220/3 ومن عوائدهم أيضا أنه من غاب ║ عن دار السلطان (7) ثلاثة أيام فصاعداً لعذر أو لغير عذر فلا يدخل هذا الباب بعدها إلا بإذن من السلطان، فإن كان له عذر من مرض أو غيره قدّم بين يديه هدية مما يناسبه إهداؤها إلى السلطان، وكذلك أيضا القادمون من الأسفار، فالفقيه يهدي المصحف والكتاب وشبهه. والفقير يهدى المُصلَّى والسبحة والمسواك ونحوها، والأمراء ومن أشبههم يهدون الخيل والجمال والسلاح، وهذا الباب الثالث يفضي إلى المشور الهايل الفسيح الساحة المسمى هَزَار أُسْطون بفتح الهاء والزاي وألف وراء، ومعنى ذلك ألف سارية، وهي سواري من خشب مدهونة عليها سقف خشب منقوشة أبدع نقش

221/3 يجلس الناس تحتها، وبهذا المشور بجلس السلطان الجلوس العام ║ .

ذكر ترتيب جلوسه للناس :

وأكثر جلوسه بعد العصر وربما جلس أول النهار، وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض، فوقها مرتبة، ويجعل خلف ظهره مخدة كبيرة، وعن يمينه مُتكأً وعن يساره مثل ذلك، وقعوده كجلوس الإنسان للتشهد في الصلاة، وهو جلوس أهل الهند كلهم، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكتاب خلف الوزير وخلفهم الحجاب، وكبير الحجاب هو فيروز ملك ابن عم السلطان ونائبُه (8)، وهو أدنى الحجاب من السلطان، ثم يتلوه خاص حاجب، ثم يتلوه نائب خاص حاجب، ووكيل الدار ونايبه، وشرف الحجاب، وسيد الحجاب، وجماعة

222/3 ║ تحت أيديهم، ثم يتلو الحجاب النقباء وهم نحو مائة.

وعند جلوس السلطان ينادي الحجاب والنقباء بأعلى أصواتهم : بسم الله، ثم يقف على رأس السلطان الملك الكبير قَبُوله (9) وبيده المذبّة يشرد بها الذباب، ويقف مائة من السّلحدارية (10) عن يمين السلطان، ومثلهم عن يساره بأيديهم الدرق والسيوف والقسّي، ويقف في الميمنة والميسرة بطول المشور قاضي القضاة، ويليه خطيب الخطباء، ثم سائر القضاة، ثم كبار الفقهاء، ثم كبار الشرفاء، ثم المشائخ (11)، ثم إخوة السلطان وأصهاره، ثم الأمراء الكبار، ثم كبار الأعزة، وهم الغرباء ثم القواد.

ثم يوتى بستين فرساً مسرجة ملجمة بجهازات سلطانية، فمنها ما هو بشعار

223/3 ║ الخلافة، وهي التي لجمها ودوايرها من الحرير الأسود المذهب، ومنها ما يكون ذلك من

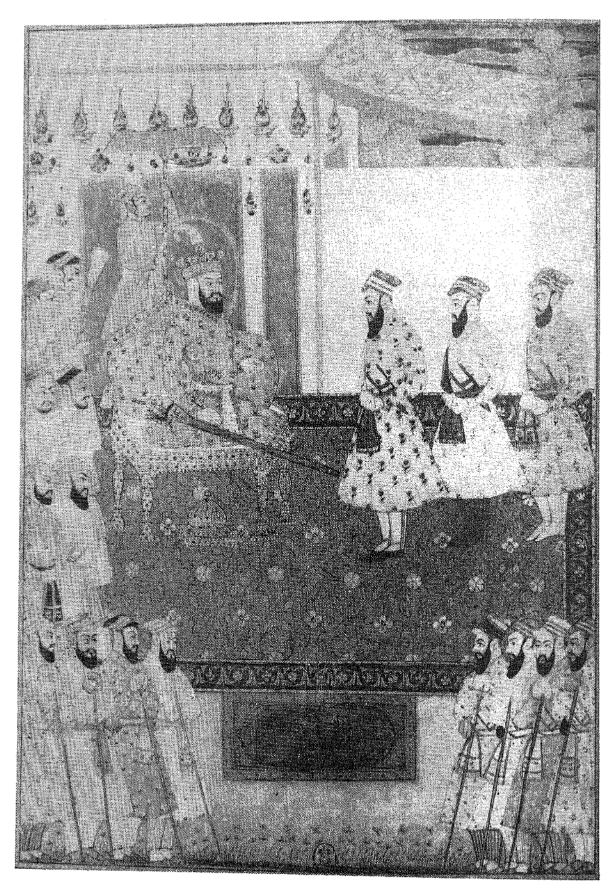
(7) يعني من كبار رجالات الدولة الذين يقوم عليهم سير القصر...

(8) هو ابن رجب القائد العام لقوات السلطان تغلق.

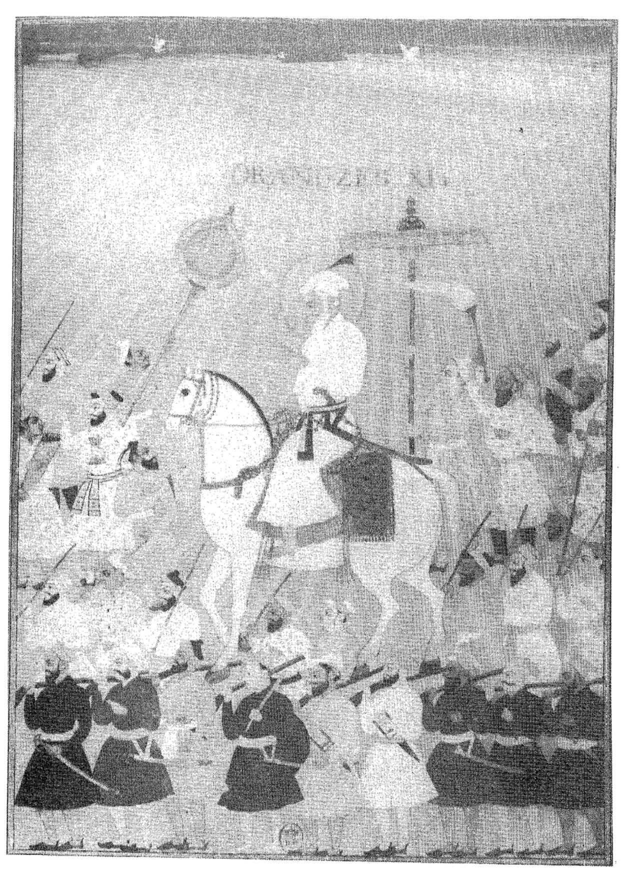
(9) تقدم الحديث عن (قبولة) في I ,365 وسياتي كذلك II ,230.

(10) سِلَحْدار : كلمة من الاستعمال الفارسي، تعني هيأة حراسة وتتمتع بنفوذ كبير...

(11) القصد على ما يبدو إلى رجال الدين الذين كانوا ينعمون بمرتبة محترمة في العاصمة.



جلوس السلطان للناس – عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39304



من خيول السلطان - المكتبة الوطنية بباريز

الحرير الأبيض المذهب، ولا يركب بذلك غير السلطان، فيوقف النصف من هذه الخيل عن اليمين والنصف عن الشمال، بحيث يراها السلطان ثم يوتى بخمسين فيلا مزينة بثياب الحرير والذهب مكسوة *أنيابها بالحديد إعداداً لقتل أهل الجرايم*، وعلى عنق كل فيل فيَّالُه وبيده شبه الطبرزين من الحديد، يؤدبه به ويقوِّمه لما يراد منه (12).

على ظهر كل فيل شبه الصندوق العظيم يسع عشرين من المقاتلة وأكثر من ذلك ودونه، على حسب ضخامة الفيل وعظم جرمه، ويكون في أركان ذلك الصندوق أربعة أعلام مركوزة، وتلك الفيلة معلّمة أن تخدم السلطان وتحط رؤسها ‖ فإذا خدمت، قال الحجاب : بسم الله، بأصوات عالية، ويوقف أيضا نصفها عن اليمين ونصفها عن الشمال خلف الرجال الواقفين وكلُّ من يأتي الناس المعيَّنين للوقوف في الميمنة والميسرة يخدم عند موقف الحجّاب، ويقول الحجاب، بسم الله، ويكون ارتفاع أصواتهم بقدر ارتفاع صيت الذي يخدم فإذا خدم انصرف إلى موقفه من الميمنة أو الميسرة لا يتعداه أبدًا. ومن كان من كفار الهنود يخدم، ويقول له الحجاب والنقباء : هداك الله، ويقف عبيد السلطان من وراء الناس كلهم بأيديهم الترسة والسيوف فلا يمكن أحدًا الدخول بينهم إلا بين يدي الحجاب القائمين بين يدي السلطان ‖ .

224/3

225/3

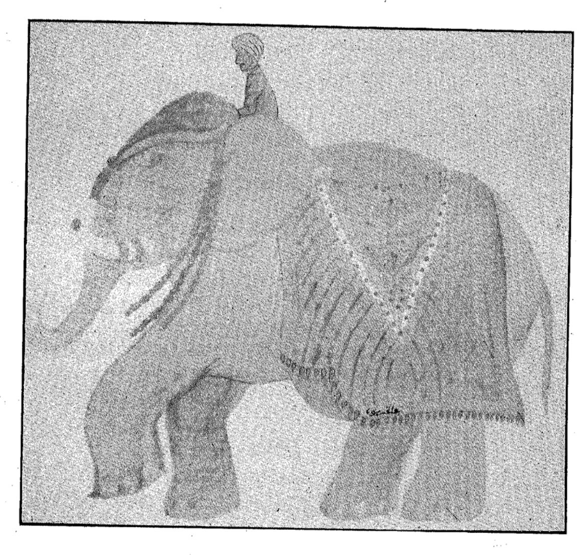
ذكر دخول الغرباء وأصحاب الهدايا إليه :

وإن كان بالباب أحد ممن قدم على السلطان بهدية دخل الحجاب إلى السلطان على ترتيبهم يقدمهم أمير حاجب ونائبه خلْفه، ثم خاص حاجب ونائبه خلْفه، ثم وكيل الدار ونائبه خلْفه، ثم سيد الحجاب وشرف الحجاب، ويخدمون في ثلاثة مواضع، ويعلمون السلطان بمن في الباب، فإذا أمرهم أن ياتوا به جعلوا الهدية التي ساقها بأيدي الرجال يقومون بها أمام الناس بحيث يراها السلطان ويستدعي صاحبها فيخدم قبل الوصول إلى السلطان ثلاث مرات، ثم يخدم عند موقف الحجاب، فإن كان رجلاً كبيرًا وقف في صف أمير حاجب، وإلا وقف خلفه، ويخاطبه السلطان ‖ بنفسه ألطف خطاب، ويرحب به، وإن كان ممن يستحق التعظيم فإنه يصافحه أو يعانقه، ويطلب بعض هديته، فتحضر بين يديه فإن كانت من السلاح أو الثياب قلَّبها بيده، وأظهر استحسانها جبرًا لخاطر مهديها وإيناسًا له ورفقا به وخلع عليه وأمر له بمال لغسل رأسه (13) على عادتهم في ذلك بمقدار ما يستحقه المهدي.

226/3

(12) يحظى الفيل في هذه الجهات بمكان كبير، وقد ذكر الشريف الإدريسي أن ملوك الهند ترغب في ارتفاع ظهور الفيلة وتزيد في أثمانها الذهب الكثير، وأرفعه تسعة أذرع الأفيلة الاخوار فإنها عشرة اذرع واحد عشر ذرعا... النزهة I ,95.

(13) سياتي الحديث عن هذا الاستعمال الغريب والطريف في نفس الوقت (شَرْشُتي) I ,381.



الفيل بريشة الرسامة المغربية فاتحة عُمر بوستة

ذكر دخول هدايا عُمَّاله إليه :

وإذا أتى العمال (14) بالهدايا والأموال المجتمعة من مجابي البلاد صنعوا الأواني من الذهب والفضة مثل الطسوت والأباريق وسواها وصنعوا من الذهب والفضة قطعا شبه الآجر يسمونها الخِشْت، بكسر الخاء المعجبة وسكون الشين المعجم وتاء معلوة، ويقف الفراشون وهم عبيد السلطان صفًا والهدية بأيديهم، كل واحد منهم مُمسك قطعة ثم يقدم الفِيَلة إن كان في الهدية شيء منها ثم الخيل المسرجة الملجمة ثم البغال ثم الجمال عليها الأموال. 227/3

ولقد رأيت الوزير خواجة جهان قدم هديته ذات يوم حين قدم السلطان من دولة آباد ولقيه بها في ظاهر مدينة بيّانة (15)، فأدخلت الهدية إليه على هذه الترتيب، ورأيت في جملتها صينيةً مملوة بأحجار الياقوت وصينية مملوة بأحجار الزمرد وصينية مملوة باللؤلؤ الفاخر، وكان حاجي كاون (16) ابن عم السلطان أبي سعيد ملك العراق حاضرًا عنده حين ذلك فأعطاه حظًا منها، وسيذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى . 228/3

ذكر خروجه للعيدين وما يتصل بذلك :

وإذا كانت ليلة العيد بعث السلطان إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة والأعزّة والكتاب والحجّاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الأخبار الخِلَع التي تعمهم جميعًا . فإذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر، ويكون منها ستة عشر فيلا لا يركبها أحدٌ إنما هي مختصّة بركوب السلطان ويرفع عليها ستة عشر شطرًا من الحرير مرصعة بالجوهر، قائمة كل شطر منها ذهب خالص، وعلى كلّ فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر، ويركب السلطان فيلاً منها، وترفع أمامه الغاشية، وهي سِتارة سَرجِه (17)، وتكون مرصعة بأنفس الجواهر ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب، وبعضهم يرصعها بالجوهر ويمشي بين يديه 229/3

(14) يُطلق لقب العامل في الغالب على الضباط الاداريين للأقاليم – الفراش : تعبير يستعمل إلى الآن في المشرق للتعبير عن المكلفين بالصيانة – الخِشْت : كلمة فارسية.

(15) بيانه (Bayana) تقع في إقليم بْهَراتْبور (Bharatpur) على بعد 120 ميل جنوب دهلي وسيزورها ابن بطوطة (5, IV) ونعرف عن مدينة بالأندلس تحمل تقريباً نفس الإسم (BAENA).

(16) سيأتي الحديث عنه ص 237-38.

(17) رفع الغاشية أمام الموكب تقاليدُ عُرفت هنا أيام السلاجقة ثم في آسيا ومصر ولم تكن مستعملة آنذاك في بلاد المغرب على ما يظهر من ابن بطوطة...

أيضا النقباء، وهم نحو ثلاثمائة، وعلى رأس كل واحد منهم أَقْروف(18) ذهب، وعلى وسطه منطقة ذهب، وفي يده مقرعة نصابها ذهب.

ويركب قاضي القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوي، وقاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزمي (19)، وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة (20)، كل واحد منهم على فيل، وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين، ويركب المؤذنون أيضا على الفيلة وهم يكبرون، ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب، والعساكر تنتظره، كل أمير بفوجه على حدة، معه طبوله وأعلامه فيقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة، وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى، وخلف السلطان مراتبه (21)، وهي الأعلام والطبول والأبواق والأنفار والصرّنايات، وخلفهم جميع أهل دخلته، ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان (22) بمراتبه وعساكره، ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان (23) بمراتبه وعساكره، ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره، ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره، ثم يليه الملك مجير بن ذي الرجا (24) بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره.

230/3

وهذا الملك كبير القدر عنده، عظيم الجاه، كثير المال، أخبرني صاحب ديوانه، ثقة الملك علاء الدين علي المصري المعروف بابن الشَّرابشي أن نفقته ونفقة عبيده ومرتباتهم ستة وثلاثون لكا في السنة (25).

231/3

(18) عبارة أقروف (Aqruf) المستعملة هنا تعني قلنسوة عالية على شكل مخروط وتجمع على أقاريف واللفظ = يستعمل في المغرب، ويقابله بالفارسية كُلاه، انظر II ,388 – دوزي.

(19) هذان القاضيان : والأول منهما هو المخبر التاريخي لابن بطوطة، ذُكرا كما نعلم أكثر من مرة بيد أننا لم نتمكن من الوقوف على ترجمتهما ...

(20) يلاحظ الوجود المغربي في بلاط دهلي في ذلك التاريخ ... وهو وجود لا نستغربه مع ما اشتهر به أهل المغرب من الضرب في أراضي الله الشاسعة – تراجع المقدمة : مكان الرحلة من سائر الرحلات...

(21) القصد إلى الشعارات التي تعبر عن السيادة.

(22) سياتي ذكر هذاالأخير ص 274 ثم 287 لكنا لم نعرف عنه شيئاً !

(23) يعرف بهرام هذا بأنه مُتبنَّى لغياث الدين تغلق وأنه سمى حاكما في شرق البنغال بعد حركة عام 724 = 1324، وقد أدركه أجله في هذه الوظيفة عام 738 = 1338 - 1330 – تراجع ص 281-317 من III.

(24) مجير الدين ابن أبي الرجاء، هو الذي عهد إليه بقمع الثورة التي شبت في كوشطاشب (Gushtasp) عام 726 = 1326 – مهدي حسين : محمد بن تغلق، مصدر سابق.

(25) يعني 3.600.000 دينار ويفترض أن تكون دنانير فضية من وزن 175 حبة. گيب...

ثم يليه الملك نُكْبِيَه (26) بمراتبه وعساكره، ثم يليه الملك بُغرة بمراتبه وعساكره ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره (27)، ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره، وهؤلاء هم الأمراء الكبار الذين لا يفارقون السلطان وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب، ويركب غيرهم من الأمراء دون مراتب.

وجميع من يركب في ذلك اليوم يكون مُدَرَّعا هو وفرسه، وأكثرهم مماليك السلطان فإذا وصل السلطان إلى باب المصلى وقف على بابه وأمر بدخول القضاة وكبار الأمراء وكبار الأعزة، ثم نزل السلطان، ويصلي الإمام ويخطب فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنَحَرَه برُمح يسمونه النِّيزة، بكسر النون وفتح الزاي، بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم ثم يركب الفيل يعود إلى قصره. 232/3

ذكر جلوسه يوم العيد وذكر المبخرة العظمى والسرير الأعظم

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب الباركة (28) على المشور كله، وهي خيمة عظيمة تقوم على أعمدة ضخام كثيرة وتحفها القباب من كل ناحية، ويصنع شبه أشجار من حرير ملون فيها شبه الأزهار، ويجعل منها ثلاثة صفوف بالمشور، ويجعل بين كل شجرتين كرسي ذهب عليه مرتبة مغطاة وينصب السرير الأعظم في صدر المشور، وهو من الذهب الخالص كله، مرصع القوائم بالجواهر، وطوله ثلاثة وعشرون شبرًا وعرضه نحو النصف من ذلك، وهو منفصل وتجمع قِطَعُه فتتصل، وكل قطعة منه يحملها جملة رجال لثقل الذهب وتجعل فوقه المرتبة ويرفع الشطر المرصع بالجواهر على رأس السلطان. 233/3

وعند ما يصعد على السرير ينادي الحجاب والنقباء بأصوات عالية : بسم الله، ثم يتقدم الناس للسلام، فأولهم القضاة والخطباء والعلماء والمشائخ وإخوة السلطان وأقاربه وأصهاره، ثم الأعزة، ثم الوزير ثم أمراء العساكر، ثم شيوخ المماليك، ثم كبار الأجناد، يسلم واحد إثر واحد من غير تزاحم ولا تدافع. 234/3

ومن عوائدهم في يوم العيد أن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوبًا عليها اسمه فيلقيها في طست ذهب هنالك، فيجتمع منها مال عظيم يعطيه السلطان لمن شاء ! فإذا فرغ الناس من السلام وضع لهم الطعام على حسب مراتبهم.

---

(26) القصد إلى الملك نيكباي (Nikpay) رئيس الكتابة، والذي سيكلف بالحركة في قراجيل (Himalaya) – انظر 325, III.

(27) قُطب الدّين هو حاكم مُلْتان، راجع 118, II.

(28) النِّيزة : من أصلٍ فارسي NEZE – الباركة كذلك 406, II BARGAH.

وينصب في ذلك اليوم المبخرة العظمى وهي شبه برج من خالص الذهب منفصلة، فإذا أرادوا اتصالها وصلوها، وتحمل القطعةً الواحدة منها جملةٌ من الرجال، وفي داخلها ثلاثة بيوت يدخل فيها المبخرون يوقدون العود القماري، (29) والقاقُلي (30) ، والعنبر الأشهب والجاوي (31) ، حتى يعم دخانها المشور كله!!

235/3 ويكون ▒ بأيدي الفتيان براميل الذهب والفضة مملوة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس صبا، وهذا السرير وهذه المبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة، ويجلس السلطان في بقية أيام العيد على سرير ذهب دون ذلك وتنصب باركة بعيدة (32)، لها ثلاثة أبواب يجلس السلطان في داخلها ويقف على الباب الأول منها عماد الملك سرتيز(33) ، وعلى الباب الثاني الملك نُكْبِية وعلى الباب الثالث يوسف بُغرة ويقف عن اليمين أمراء المماليك السِّلحدارية، وعن اليسار كذلك، ويقف الناس على مراتبهم وشحنة الباركة مَلِك طَغِي بيده عصا ذهب وبيد نائبه عصا فضة يرتبان الناس ويسويان الصفوف، ويقف الوزير والكتاب خلفه ويقف الحجاب والنقباء، ثم يأتي أهل الطرب فأولهم بنات ملوك الكفار ▒ من الهنود 236/3 المسْبيات في تلك السنة فيغنين ويرقصن ويهبهن السلطان للأمراء والأعزة ! ثم يأتي بعدهن سائر بنات الكفار فيغنين و161159 161 ويهبهن لإخوانه وأقاربه وأصهاره وأبناء الملوك !

ويكون جلوس السلطان لذلك بعد العَصر، ثم يجلس في اليوم الذي بعده بعد العصر أيضا على ذلك الترتيب، ويوتي بالمغنيات فيغنين ويرقصن ويهبهن الأمراء المماليك ! وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه وينعم عليهم، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد، وفي اليوم الخامس يعتق الجواري وفي اليوم السادس يزوج العبيد بالجواري، وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها.

---

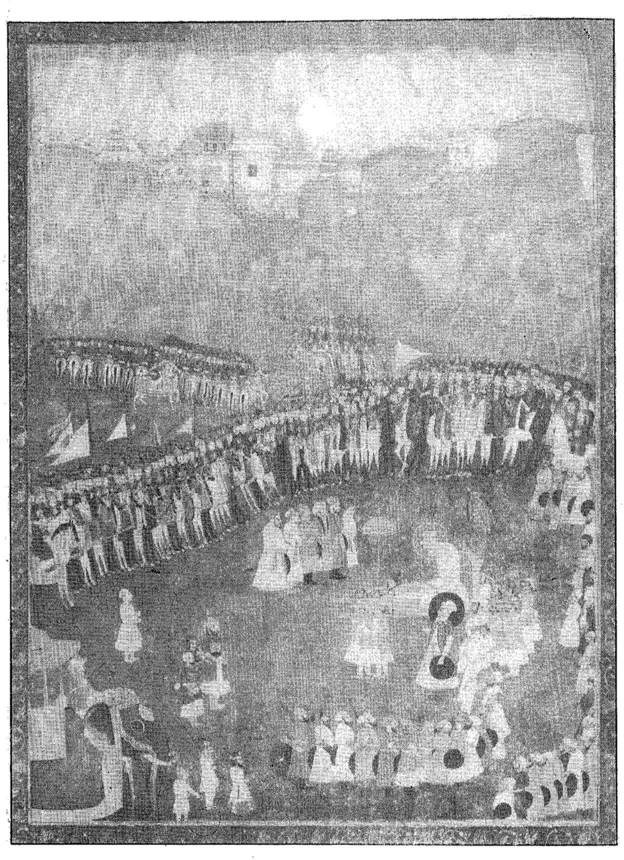
(29) القماري نسبة إلى قَمار يعني خمير : Khmer (كامبوديا).

(30) القاقُلي نسبة إلى قاقُلة في ماليزيا، والمدينتان سيتحدث عنهما (IV 240-242) ومن المهم أن نذكر أن المغاربة يتناولون من البهارات ما يسمونه (قاعْ قُلّه) محرّفا عن قاقُلة : ما يسمى في المشرق : حَبّ الهيل الذي يجعلونه في القهوة او بعض الطعام Gibb : Selections p. 276

(31) نسبةً إلى جاوة أو سمطره، حول اللّبان انظر ج II، ص 214 – ج IV , 228, 240.

(32) يترجم گيب كلمة (بعيدة) بما يؤدي معنى عالية يعني ليتمكن المدعوون من رؤيته ... IV ,367.

(33) اسم ذكر سالفا III ,94 – كحاكم للسّند ثم كان بعد ذلك حاكما في إليشبّور– شِحْنة الباركة يعني قائد الخيمة ومتعهدها ويسمى ملك طَغِي، وينعته مهدى حَسَن بالدُّربار Durbar...



رسوم تقرّب صورة السرير الأعظم – المكتبة الوطنية بباريز رقم M 39286

ذكر ترتيبه إذا قدم من سفره

237/3 وإذا قدم السلطان من أسفاره زينت الفيلة ورفعت على ستة عشر فيلا منها ستة عشر شطرا، منها مزركش، ومنها مرصع، وحملت أمامه الغاشية وهي الستارة المرصعة بالجوهر النفيس، وتصنع قباب من الخشب مقسومة على طبقات، وتكسى بثياب الحرير، ويكون في كل طبقة الجواري المغنيات عليهن أجمل لباس وأحسن حلية، ومنهن رواقص ويجعل في وسط كل قبة حوض كبير مصنوع من الجلود مملو بماء الجلاّب محلولا بالماء يشرب منه جميع الناس من وارد وصادر وبلدي أو غريب، وكل من يشرب منه يُعطي التنبول والفوفل.

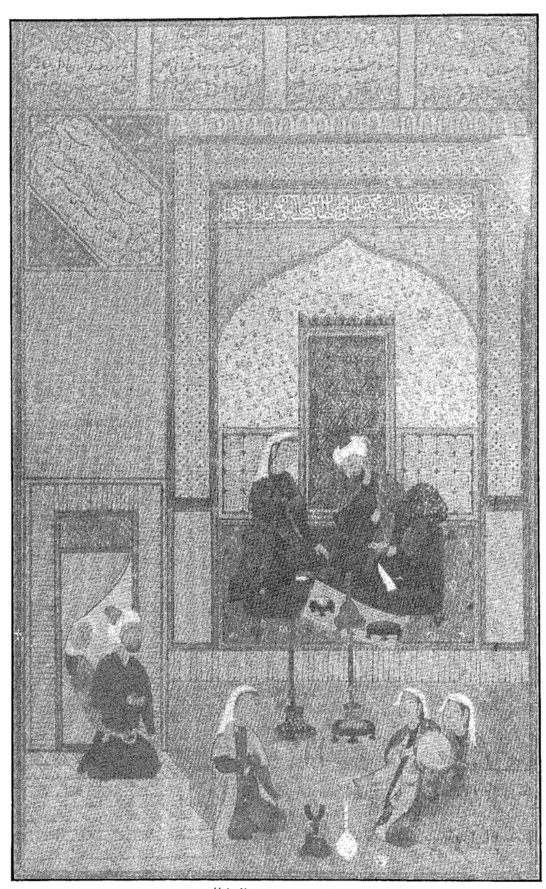
ويكون ما بين القباب مفروشا بثياب الحرير يطأ عليها مركب السلطان وتزين حيطان الشارع الذي يمر به من باب المدينة إلى باب القصر بثياب الحرير، ويمشي أمامه المشاة من عبيده وهم آلاف، وتكون الأفواج والعساكر خلْفه. 238/3

ورأيت في بعض قدماته على الحضرة وقد نصبت ثلاث أو أربع من الرعادات الصغار على الفيلة ترمي بالدنانير والدراهم على الناس فيلتقطونها من حين دخوله إلى المدينة حتى وصل إلى قصره (34).

ذكر ترتيب الطعام الخاص

والطعام بدار السلطان على صنفين : طعام الخاص وطعام العام، فأما الخاص فهو طعام السلطان الذي يأكل منه، وعادته أن يأكل في مجلسه مع الحاضرين، ويحضر لذلك الأمراء الخواص وأمير حاجب ابن عم السلطان، وعماد الملك سرتيز وأمير مجلس، ومن شآء السلطان تشريفه أو تكريمه من الأعزة أو كبار الأمراء دعاه، فأكل معهم، وربما أراد أيضا تشريف أحد من الحاضرين فأخذ إحدى الصحاف بيده وجعل عليها خبزة ويعطيه إياها، فيأخذها المعطى ويجعلها على كفه اليسرى، ويخدم بيده اليمنى إلى الأرض، وربما بعث من ذلك الطعام إلى من هو غائب عن المجلس فيخدم كما يصنع الحاضر ويأكله مع من حضره. وقد حضرت مرات لهذا الطعام الخاص فرأيت جملة الذين يحضرون له نحو عشرين رجلا. 239/3

(34) يُذكر أن مثل هذا المقطع الذي يحكى عن العادة الهندية عند مقدم العاهل من سفره ونثر الدنانير والدراهم على جمهور المستقبلين له هي التي أثارت الشكوك حول مروياته من لدن الذين تناجوا بالإثم والعدوان مما ردده ابن خلدون في مقدمته على ما ذكرناه في المقدمة ... فقد هال بعض الناس أن تكون هذه عادة للناس في مكان مّا من أرض الله ! وعوض أن يتثبتوا في الأمر التجأوا إلى التشكيك، ولولا حكمة الوزير ابن وُدرار لذهبت الرحلة إدراج الرياح – تقدم ذكر الرعادات III, 148.



الطرب في حضرة السلطان

• ذكر ترتيب الطعام العام

وأما الطعام العام فيوتى به من المطبخ وأمامه النقباء يصيحون : بسم الله، ونقيب النقباء أمامهم بيده عمود ذهب، ونائبه معه بيده عمود فضة، فإذا دخلوا من الباب الرابع وسمع من بالمشور أصواتهم قاموا قيامًا أجمعين ولا يبقى أحد قاعدًا إلا السلطان وحده، فإذا وضع الطعام بالأرض اصطف النقباء صفًا ووقف أميرهم أمامهم وتكلم بكلام يمدح فيه السلطان ويثني عليه، ثم يخدم النقباءُ لخدمته، ويخدم جميع من بالمشور من كبير وصغير. 240/3

وعادتهم أنه من سمع كلام نقيب النقباء حين ذلك وقف إن كان ماشيًا ولزم موقفه إن كان واقفا ولا يتحرك أحد ولا يتزحزح عن مقامه حتى يفرغ ذلك الكلام، ثم يتكلم أيضا نائبه كلامًا نحو ذلك ويخدم ويخدم النقباء وجميع الناس مرة ثانية، وحينئذ يجلسون ويكتب كُتّاب الباب معرِّفين بحضور الطعام، وإن كان السلطان قد علم بحضوره ويُعطَى المكتوب لصبي من أبناء الملوك موكل بذلك، فيأتي به إلى السلطان، فإذا قرأه عين من شاء من كبار الأمراء لترتيب الناس وإطعامهم. 241/3

وطعامهم الرقاق والشواء والأقراص ذات الجوانب المملوّة بالحلواء، والأرز، والدجاج والسَمُّوسَك (35).

وقد ذكرنا ذلك وفسرنا ترتيبه. وعادتهم أن يكون في صدر سماط الطعام القضاة والخطباء والفقهاء والشرفاء والمشائخ، ثم أقارب السلطان ثم الأمراء الكبار ثم سائر الناس، ولا يقعد أحدٌ إلا في موضع معين له فلا يكون بينهم تزاحم ألبتة. فإذا جلسوا أتى الشُّرْبدارِيَّة، وهم السقاة بأيديهم أواني الذهب والفضة والنحاس والزجاج مملوة بالنبات المحلول بالماء فيشربون ذلك قبل الطعام، فإذا شربوا، قال الحجاب : بسم الله، ثم يشرعون في الأكل ويُجعل أمام كل إنسان من جميع ما يحتوي عليه السماط يأكل منه وحده، ولا يأكل أحد مع أحد في صحفة واحدة، فإذا فرغوا من الأكل أتوا بالفقاع (36) في أكواز القصدير فإذا أخذوه قال الحجاب : بسم الله، ثم يوتى بأطباق التنبول والفوفل فيُعطي كل إنسان غرفة من الفوفل المهشوم وخمس عشرة ورقة من التنبول مجموعةً مربوطةً بخيط حرير أحمر، فإذا أخذ الناس التنبول قال الحجاب : بسم الله، فيقومون جميعا ويخدم الأمير المعين للإطعام، 242/3

(35) السَّمُّوسَك لعل القصد إلى السنبوسة وهي – على ما عرفت في العراق، حلوى مثلثة الشكل تحشى باللوز.. وتسمى عندنا في المغرب بالبريوات تصغير براءة وقد تقدم هذا اللفظ 123, III.

(36) الفُقّاع في الدارجة المغربية يعني الفطر ويبدو أنه مشروب يتخذ من هذا النبات وليس القصد إلى (البيرّة) أو ماء الشعير كما عند بعض التراجمة ...



صورة مأدبة عن مقامة الحريري الثلاثين/ المعهد الشرقي لينينغراد

ويخدمون لخدمته، ثم ينصرفون، وطعامهم مرتان في اليوم إحداهما قبل الظهر والأخرى بعد العصر ║. 243/3

ذكر بعض أخباره في الجود والكرم

وإنما أذكر منها ما حضرتُه وشاهدته وعاينته، ويعلم الله تعالى صدق ما أقول، وكفى به شهيدا مع أن الذي أحكيه مستفيض متواتر، والبلاد التي تقرب من أرض الهند كاليمن وخراسان وفارس مملوة بأخباره يعلمونها حقيقةً ولاسيما جوده على الغرباء فإنه يفضلهم على أهل الهند، ويؤثرهم ويجزل لهم الإحسان ويسبغ عليهم الإنعام ويوليهم الخطط الرفيعة ويوليهم المواهب العظيمة، ومن إحسانه إليهم أنْ سماهم الأعزة ومنع من أن يُدعَون الغرباء وقال : إن الإنسان إذا دعى غريبًا انكسر خاطره وتغير حاله║وسأذكر بعضًا مما يحصى (37) من عطاياه الجزيلة ومواهبه إن شاء الله تعالى. 244/3

ذكر عطائه لشهاب الدين الكازروني التاجر وحكايته

كان شهاب الدين هذا صديقاً لملك التجار الكازروني الملقب ببروين، وكان السلطان قد اقطع ملك التجار مدينة كنباية، ووعده أن يوليه الوزارة فبعث إلى صديقه شهاب الدين ليقدم عليه، فأتاه، وأعدَّ هدية للسلطان وهي سراجة من المِلَفّ المقطوع المزين بورقة الذهب، وصيوانٍ مما يناسبها، وخباء وتَابع، وخبا (38) راحة، كل ذلك من الملف المزين وبغال كثيرة، فلما قدم شهاب الدين بهذه الهدية على صاحبه ملك التجار وجده ║ آخذًا في القدوم على الحضرة بما اجتمع عنده من مجابي بلاده وبهدية للسلطان. 245/3

وعلم الوزير خواجة جهان بما وعده به السلطان من ولاية الوزارة فغار من ذلك، وقلق بسببه، وكانت بلاد كنباية والجُزَرَات قبل تلك المدة في ولاية الوزير، ولأهلها تعلق بجانبه وانقطاع إليه، وتخدُّم له، وأكثرهم كفار وبعضهم عصاة يمتنعون بالجبال، فدس الوزير إليهم أن يضربوا على ملك التجار إذا خرج إلى الحضرة، فلما خرج بالخزائن والأموال ومعه شهاب الدين بهديته نزلوا يومًا عند الضحى على عادتهم، وتفرقت العساكر، ونام أكثرهم فضرب عليهم الكفار في جمع عظيم، فقلتوا ملك التجار وسلبوا الأموال والخزائن وهدية

---

(37) (أن يدعون) هكذا في سائر النُّسخ ولا بد من التنبيه على أن كلمة (يحصى) صوابها يخصّني وهو ما في الكتاني ودوزي.

(38) معنى (تابع) : مكمّلات الخيمة وتوابعها – راحة يعني يُستراح فيها (مرحاض) – حول كازرون ودلالتها في التّجارة البحرية الصّينية والهندية انظر II ,90-91.

246/3 ▒ شهاب الدين ونجا هو بنفسه، وكتب المخبرون إلى السلطان بذلك فأمر أن يعطي شهاب الدين من مجبي بلاد نَهروالة (39) ثلاثين ألف دينار ويعود إلى بلاده، فعرض عليه ذلك، فأبى من قبوله، وقال : ما قصدي إلا رؤية السلطان وتقبيل الأرض بين يديه، فكتبوا إلى السلطان بذلك، فأعجبه قوله وأمر بوصوله إلى الحضرة مكرمًا.

وصادف يوم دخوله على السلطان يوم دخولنا نحن عليه، فخلع علينا جميعا وأمر بإنزالنا وأعطى شهاب الدين عطاءً جزيلا، فلما كان بعد ذلك أمر بستة آلاف تنكه كما سنذكره، وسأل في ذلك اليوم عن شهاب الدين : أين هو ؟ فقال له بهاء الدين بن الفلكي : 247/3 ياخُوند عالم نميدانَم ▒ معناه، ما ندري، ثم قال له : شُنِيدَم، زحْمت داره معناه سمعت أن به مرضًا، فقال له السلطان بِرْوِهَمِين زَمان، دَرْخْزَانة يِكْ لكِ تنكَهِ، زَرْبِكْرِي وبيش أُوبِبِري تَادِلِ أو خُش شِوَدَ، معناه : إمش الساعة إلى الخزانة وخذْ منها مائة ألف تنكه من الذهب واحملها إليه حتى يبقى خاطره طيبًا، ففعل ذلك، فأعطاه إياها، وأمر السلطان أن يشترى بها ما أحب من السلع الهندية ولا يشتري أحد من الناس شيئاً حتى يتجهز هو، وأمر له بثلاثة مراكب مجهزة من آلاتها، ومن مُرتِّبِ البحرية وزادِهم ليسافر فيها، فسافر ونزل بجزيرة هُرمز وبَنَى بها دارًا عظيمة، رايتُها بعد ذلك.

ورأيت أيضا شهاب الدين وقد فنى جميعُ ما كان عنده وهو بشيراز يستجدي سلطانها 248/3 أبا اسحق ▒ وهكذا مال هذه البلاد الهندية ! قلما يخرج أحد به منها إلا النادر، وإذا خرج به ووصل إلى غيرها من البلاد بعث الله عليه آفة تفني ما بيده كمثل ما اتفق لشهاب الدين هذا فإنه أخذ له في الفتنة التي كانت بين ملك هرمز وابنَيْ أخيه جميع ما عنده وخرج سليبا من ماله !!

(39) نهروالة (Anhilwara) العاصمة القديمة لِكجْرات Gujarat فتحت من قبل علاء الدين خلجي عام 696 = 1297. وهي حاليا باطَّان (Patan) بولاية (بَرُودَا) (57 °23 شمالاً وخط 10 °72 شرقا) وإلى نهرواله يَنتسب قطب الدين صاحب كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني الذي يعجبني من شعره :

لاتعتَبِ الدَّهْرَ في أمرٍ رماك به
إن استردَّ فقِدْماً طالَمَا وهبا !
حاسِبْ زَمَانك في حالَيْ تصرُّفِهِ
تجِدْهُ أعطاكَ أضعافَ الذي سَلَبا !
ورأسُ مالِك هُو الرُّوحُ قد سلِمتْ
لا تأسَفنَّ لشيئٍ بعدها ذَهبا !!

وحول شهاب الدين وفتنة هرمز انظر 236, II.

ذكر عطائه لشيخ الشيوخ ركن الدين

وكان السلطان قد بعث هديةً إلى الخليفة بديار مصر أبي العباس، وطلب له أن يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند اعتقادًا منه في الخلافة (40) فبعث إليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين، فلما قدم عليه بالغ إكرامه وأعطاه عطاءً جزلا، وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه، ثم صرفه وأعطاه أموالا طائلة.

249/3

وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرُها، كل ذلك من الذهب الخالص، وقال له : إذا نزلت من البحر فأنْعِلْ أفراسك بها، فتوجه إلى كنباية ليركب البحر منها إلى بلاد اليمن فوقعت قضية خروج القاضي جلال الدين وأخذه مال ابن الكَوْلمي فأُخِذ أيضا ما كان لشيخ الشيوخ، وفر بنفسه مع ابن الكولمّي إلى السلطان، فلما رءاه السلطان قال له مما زحا : آمَدي كَزَرْ بَري بَادِكِري صَنَمْ خَري زَرْنَبْري وَسَرْنِهي : معناه جئتَ لتحمل الذهب تأكله مع الصُوَر الحسان، فلا تحمل ذهبًا، ورأسك تخليه هاهنا، قال له ذلك على معنى الانبساط، ثم قال له : اجمع خاطرك فيها أنا سائر إلى المخالفين، وأعطيك أضعاف ما أخذوه لك.

250/3

وبلغني بعد انفصالي عن بلاد الهند أنه وفّى له بما وعده وأخلف له جميع ما ضاع منه وأنه وصل بذلك إلى ديار مصر.

ذكر عطائه للواعظ الترمذي ناصر الدين

وكان هذا الفقيه الواعظ قدم على السلطان وأقام تحت إحسانه مدة عام ثم أحب الرجوع إلى وطنه فأذن له في ذلك، ولم يكن سمع كلامَه ووعظَه، فلما خرج السلطان يقصد بلاد المعْبَر (41) أحب سماعه قبل انصرافه فأمر أن يُهَيَّأ له منبر من الصندل الأبيض

(40) لما شعُر محمد بن تغلق بارتجاج الأرض من حواليه بسبب الثورات المتوالية لعماله على الأقاليم، وكذلك بسبب الموقف العدائي الذي اتخذه العلماء إزاءه أخذ يبحث عن طريقةٍ لتقوية سلطانه، وهكذا اتجه نحو مصر ليطلب تنصيبَه من قبل الخليفة العباسي الذي أمسى مقيمًا في مصر عند دولة المماليك.

يلاحظ أن ابن بطوطة كان كسائر الكُتاب المغاربة الآخرين من أمثال ابن خلدون يؤمن بأن الخلافة في مصر لا تقوم على أساس ! لذلك كان تعبيره هكذا : اعتقادًا منه !! هذا ويرسم البروفيسور كيب الكلمات الفارسية الواردة في المتن هكذا -Amadi Kazar Bari ba digiri Sanam KHARI Zar na bari Wasar nihi

حول الشيخ السفير، ركن الدّين انظر 369, I – حول قضية تمرّد جلال الدّين، انظر 362-363, IV.

(41) كانت الحركة ضد مادورا (madura) عام 735 = 1335 على ما سيأتي 328, III.

251/3 المُقاصريّ (42) وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب وأُلصق ‖ بأعلاه حجر ياقوت عظيم، وخلع على ناصر الدين خلعةً عباسية سوداء (43) مذهبة مرصعة بالجوهر وعمامة مثلها ونصب له المنبر بداخل السراجة وهي أفراج، وقعد السلطان على سريره والخواص عن يمينه ويساره وأخذ القضاة والفقهاء والأمراء مجالسهم، فخطب خطبةً بليغةً ووعظ وذكّر، ولم يكن فيما فعله طائل ! لاكن سعادتُه ساعدته! فلما نزل عن المنبر قام السلطان إليه وعانقه وأركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه، وكنت في جملتهم، إلى سراجة ضربت له مقابلة سراجة السلطان، جميعها من الحرير الملون وصيوانها من الحرير، وخباؤها أيضا كذلك فجلس وجلسنا معه (44).

وكان بجانب من السراجة أواني الذهب التي أعطاه السلطان إياها، وذلك تنّور كبير 252/3 ‖ بحيث يسع في جوفه الرجل القاعد، وقِدران اثنان وصحاف لا أذكر عددها، وجملة أكواز وركوة وتِميِيسِندة، ومائدة لها أربعة أرجل، ومحمل للكتب، كل ذلك من ذهب خالص، ورفع عماد الدين السِّمْناني (45) وتِدَيْن من أوتاد السراجة أحدهما نحاس والآخر مُقصْدر يوهم بذلك أنهما من ذهب وفضة، ولم يكونا إلا كما ذكرنا ! وقد كان أعطاه حين قدومه مائة ألف دينار دراهم ومئين من العبيد سرّح بعضهم وحمل بعضهم.

ذكر عطائه لعبد العزيز الأَردَويلّي.

وكان عبد العزيز هذا فقيها محدّثا قرأ بدمشق على تقي الدين بن تيمية وبرهان الدين بن البَرْكح وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي (46) ‖ وغيرهم، ثم قدم على 253/3 السلطان فأحسن إليه وأكرمه.

واتفق يوما أنه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه رضى الله عنهما، وشيئًا من مآثر الخلفاء أولادهما، فأعجب ذلك السلطان لحبه في بني العباس وقبل قدمي الفقيه

(42) المقاصريّ نسبة إلى ما كاصّار (Macassar) في جزيرة (Celebres) Gibb P. 675 N° 80

(43) السواد هو اللون الذي اتخذته الدولة العباسية شعارًا لها كما نعرف.

(44) لمعرفة أكثر حول الموضوع تقدّم – III ص 414-415.

(45) سنرى III, 276 نعت السِّمناني هذا بملك الملوك...

(46) تقدم لابن بطوطة الحديث عن قصة الأردَويلي ببعض اختلاف III, 75-76 – حول الدراسة في دمشق انظر I, 215-216 وما يليهما – شمس الدّين الذهبي، من عيون المؤرخين... توفي 3 ذي القعدة 748=1348 – الدرر الكامنة 3, 426-427.

وأمر أن يوتي بصينية ذهب فيها ألفا تنكه فصبها عليه بيده، وقال : هي لك مع الصينية، وقد ذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم.

ذكر عطائه لشمس الدين الأندُكانيّ

وكان الفقيه شمس الدين الأندُكانّي حكيمًا شاعرًا مطبوعًا فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي وكان عدد أبياتها سبعة وعشرين بيتا فأعطاه لكل بيت منها ألف دينار دراهم وهذا أعظم مما يحكى ‖ عن المتقدمين الذين كانوا يعطون على بيت شعر ألف درهم وهو عشر عطاء السلطان ! 254/3

ذكر عطائه لعضد الدين الشوْنْكَاري

وكان عضد الدين فقيهًا إمامًا فاضلا كبير القدر عظيم الصيت شهير الذكر ببلاده، فبلغت السلطان أخباره وسمع بمآثره فبعث إليه إلى بلده شَوَنْكارة (47) عشرة آلاف دينار دراهم، ولم يره قط ولا وفد عليه.

ذكر عطائه للقاضي مجد الدين

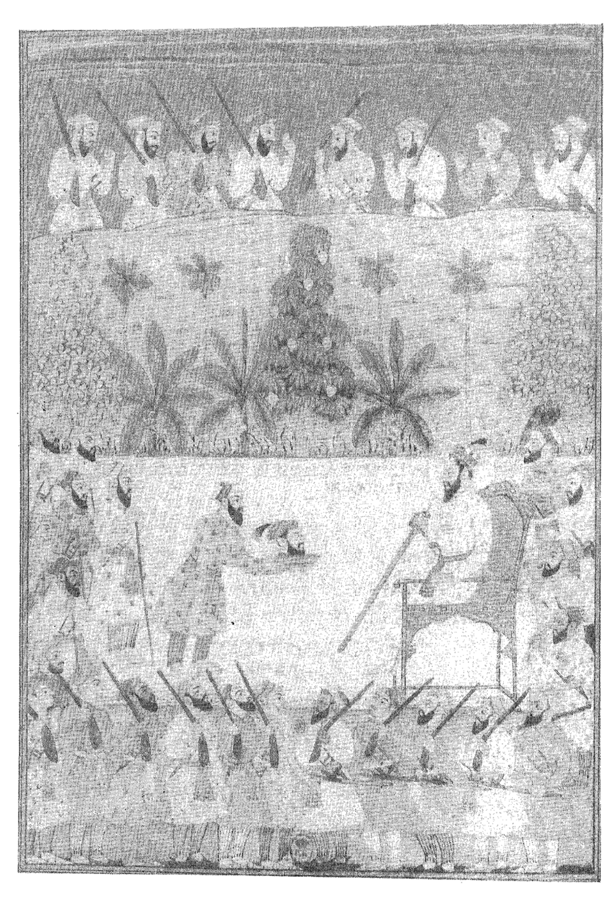
ولما بلغه أيضا خبر القاضي العالم الصالح ذي الكرامة الشهيرة مجد الدين قاضي شيراز الذي سطرنا أخباره في السفر الأول (48)، وسيمر بعض خبره ‖ بعد هذا أيضا بعث إليه إلى مدينة شيراز صحبة الشيخ زاده الدمشقي عشرة آلاف دينار دراهم. 255/3

ذكر عطائه لبرهان الدين الصاغرجي

وكان برهان الدين أحد الوُعاظ الأئمة، كثير الإيثار باذلاً لما يملكه حتى إنه كثيرًا ما ياخذ الديون ويؤثر على الناس، فبلغ خبره إلى السلطان فبعث إليه أربعين ألف دينار، وطلب منه أن يصل إلى حضرته فقبل الدنانير وقضى دينه، وتوجه إلى بلاد الخَطا وأبى أن يصل

(47) شَوَنْكارة (Shabankara) منطقة صغيرة جنوب شرق إقليم فَارس Fàrs سمي هكذا اعتبارا لقبيلة كردية تحمل هذا الإسم أقامت فيه في القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي.

(48) حول مجد الدّين اسماعيل بن خُذَادَاد هذا يراجع II ,54 – صَاغرج تقع على بعد 15 ميلاً شمال غرب سمرقند – حول الخَطَا – انظر III ,23.



وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان، عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M 39324

256/3 إليه وقال : لا أمضي إلى سلطان يقف العلماء بين يديه (49) ‖

ذكر عطائه لحاجي كاوُن وحكايته

وكان حاجي كاوُن ابنَ عم السلطان أبي سعيد ملك العراق وكان أخوه موسى ملكاً ببعض بلاد العراق (50)، فوفد حاجي كاوُن على السلطان فأكرم مثواه وأعطاه العطاء الجزل، ورأيته يومًا وقد أتى الوزير خْواجه جَهان بهديته وكان منها ثلاث صينيات إحداها مملوة يواقيت، والأخرى مملوة زمردًا والأخرى مملوة جوهرًا، وكان حاجي كاوُن حاضرًا فأعطاه من ذلك حظاً جزيلاً ثم إنه أعطاه أيضا مالا عريضا، ومضى يريد العراق فوجد أخاه قد توفي. وولي مكانه سليمان (51) خان، فطلب إرث أخيه وادّعى الملك وبايعته العساكر وقصد 257/3 بلاد فارس ونزل بمدينة شَوَنْكارة التي بها الإمام عضد ‖ الدين الذي تقدم ذكره آنفًا، فلما نزل بخارجها تأخر شيوخها عن الخروج إليه ساعة ثم خرجوا، فقال لهم : ما منعكم عن تعجيل الخروج إلى مبايعتنا، فاعتذروا له، فلم يقبل منهم، وقال لأهل سلاحه : قِلِج تِخَار معناه جردوا السيوف، فجردوها وضربوا أعناقهم، وكانوا جماعة كبيرة، فسمع من يجاور هذه المدينة من الأمراء بما فعله، فغضبوا لذلك وكتبوا إلى شمس الدين السِّمناني (52)، وهو من الأمراء الفقهاء الكبار فأعلموه بما جرى على أهل شَوَنكارة، وطلبوا منه الإعانة على قتاله فتجرد في عساكره واجتمع أهل البلاد طالبين بثأر من قتله حاجي كاوُن من المشائخ، 258/3 وضربوا على عسكره ليلا فهزموه وكان هو بقصر ‖ المدينة (53)، فأحاطوا به فاختفى في بيت الطهارة فعثروا عليه وقطعوا رأسه وبعثوا به إلى سليمان خان وفرقوا أعضاءه على البلاد تشفيًا منه !

---

(49) يذكّر هذا في هذين البيتين :

قُلْ للأمير نصيحةً   لاتركَنَنَّ إلى فقيه !

إنَّ الفقية إذا أتَى   أبْوَابَكم لاخير فيه !!

(50) موسى خان بن علي اعتُرف به لمدة قصيرة كخلف للسلطان أبي سعيد، من لدن بعض الرؤساء بشمال العراق بيد أنه لم يلبث أن قتل من لدن الشيخ حسن في ذي الحجة 737= يوليه 1337 لقب (كاون) لقب تشريفيّ يعادل لقب (خان) بالتركية – يراجع 123, III.

(51) سليمان خان بن يوسف شاه أحد المنحدرين من أبقا. تزوج بالأميرة ساطي بك واستطاع أن يقاوم ضد الشيخ حَسَن في أذربيجان من عام 739 = 1339 إلى عام 744 = 1344 – 119, II.

(52) احتل شمس الدين مكانة هامة عند بعض المصادر التاريخية في الأحداث التي جرت بفارس Fàrs بيد أنها لم تردد صدى لمحاولة انقلاب حاجي كاون 88, II.

(53) من المحتمل أن يكون القصد إلى مدينة (IG) التي كانت عاصمة الناحية..

ذكر قدوم ابن الخليفة عليه وأخباره

وكان الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز بن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي (54) قد وفد على السلطان علاء الدين طرْمَشيرين ملك ما وراء النهر فأكرمه، وأعطاه الزاوية التي على قبر قُثَم بن العباس رضي الله عنهما (55) واستوطن بها أعواما، ثم لما سمع بمحبة السلطان في بني العباس وقيامه بدعوتهم أحب القدوم عليه، وبعث له برسولين، أحدهما 259/3 صاحبه القديم محمد بن أبي الشَّرَفي الحرباوي، والثاني محمد الهمَداني الصوفي فقدما على السلطان، وكان ناصر الدين الترمذي، الذي تقدم ذكره، قد لقي غياث الدين ببغداد وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه، فشهد هو عند السلطان بذلك فلما وصل رسولاه إلى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار وبعث معهما ثلاثين ألف دينار إلى غياث الدين ليتزورد بها إليه وكتب له كتابا بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه.

فلما وصله الكتاب رحل إليه، فلما وصل إلى بلاد السند، وكتب المخبرون بقدومه بعث السلطان مَن يستقبله على العادة، ثم وصل إلى سَرْسَتي بعث أيضا لاستقباله صدر 260/3 الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ثم بعث الأمراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله فلما التقيا ترجَّل غياث الدين فترجل له السلطان وخدم، فخدم له السلطان، وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب، فأخذ السلطان أحد الأثواب وجعله على كتفه، وخدم كما يفعل الناس معه. ثم قدمت الخيل، فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له، وحلف أن يركب وامسك بركابه حتى ركب ثم ركب السلطان وسايره والشطر يظلهما معا. وأخذ التنبول بيده وأعطاه إياه، وهذا أعظم ما أكرمه به، فإنه لا يفعله مع واحد، وقال له : لولا أني 261/3 بايعت الخليفة أبا العباس(55) لبايعتك!

فقال له غياث الدين وأنا أيضا على تلك البيعة، وقال له غياث الدين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما : من أحيي أرضا مواتا فهي له، وأنت احييتنا، فجاوبه السلطان بألطف جواب وأبره.

---

(54) كان وصول هذا الأمير إلى الهند – على ما يحتمل – عام 740 = 1340 - 1341 وربما كان ذلك يتزامن مع مصلحة لمحمد بن تغلق كانت تقتضي هذه الزيارة ... بالرغم مما نعلمه سلفًا عن مدى قوة هذه «الخلافة» التي استقرت بمصر (تعليق 40) ... K.A. NIZAMI : SAFIR -ENCY.ISLAM. N.E

(55) حول قبر قُثَم بن العباس خارج سمر قند – انظر 52, III – حول الحديث عن مدينة مسعود أباد – انظر 143, III – حول تاريخ هذا الحدث الذي يتَّصل بالتاريخ الدَّولي للأمة الاسلامية فإنه يصعب تحديده لأن السلطان محمد ضَرَب عملةً باسم الخليفة في مصر المستكفي بالله في عام 741 إلى 743 بالرغم من أن هذا كان توفي عام 741 ! ولا يوجد ما يثبت صلة السلطان بالخليفة الحاكم الثاني أبى العباس إلى أن وصل التقليد : الخلعة والمرسوم (364-363, I) عندما كان السلطان غياث يقيم فعلا في دهلي. – انظر عن المستكفي بالله وخلفه «المستعطي بالله» بدائع الزهور لابن إياس ص 474

ولما وصلا إلى السراجة المعدة لنزول السلطان أنزله فيها، وضُرب للسلطان غيرها، وباتا تلك الليلة بخارج الحضرة، فلما كان بالغد دخلا إلى دار الملك وأنزله بالمدينة المعروفة بسِيري، وبدار الخلافة أيضا في القصر الذي بناه علاء الدين الخَلْجي وابنه قطب الدين، وأمر السلطان جميع الأمراء أن يمضوا معه إليه وأعد له فيه جميع ما يحتاج إليه من أواني الذهب والفضة حتى كان من جملتها مُغتسَل يُغْتسل فيه من ذهب، وبعث له أربعمائة ألف دينار غسل الرأس على العادة، وبعث له جملةً من الفتيان والخدم والجواري، وعين له عن نفقته في كل يوم ثلاثمائة دينار، وبعث له زيادة إليها عددًا من الموائد بالطعام الخاص، وأعطاه جميع مدينة سيري إقطاعا وجميع ما احتوت عليه من الدور وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه وأعطاه مائة قرية وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلى وأعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ويكون علفها من المخزن، وأمره أن لا ينزل عن دابته إذا أتى دار السلطان إلا في موضع خاص لا يدخله أحد راكبًا سوى السلطان وأمر الناس جميعًا من كبير وصغير أن يخدموا له كما يخدمون للسلطان!

262/3

وإذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره، وإن كان على الكرسي قام قائمًا وخدم كل واحد منهما لصاحبه، ويجلس مع السلطان على بساط واحد، وإذا قام قام السلطان لقيامه وخدم كل واحد منهما، وإذا انصرف إلى خارج المجلس جُعل له بساط يقعد عليه ما شاء، ثم ينصرف، يفعل هذا مرتين في اليوم.

263/3

حكاية من تعظيمه إياه

وفي أثناء مقامه بدهلى قَدم الوزير من بلاد بنجالة فأمر السلطان كبار الأمراء أن يخرجوا إلى استقباله ثم خرج بنفسه إلى استقباله وعظمه تعظيمًا كثيرًا وصنعت القباب بالمدينة كما تصنع للسلطان إذا قدم وخرج ابن الخليفة للقائه أيضا والفقهاء والقضاة والأعيان، فلما عاد السلطان لقصره قال للوزير : إمض إلى دار المخدوم زاده، وبذلك يدعوه، ومعنى ذلك ابن المخدوم، فسار الوزير إليه، وأهدى له ألفَيْ تنكة من الذهب وأثوابا كثيرة وحضر الأمير قَبولة وغيره من كبار الأمراء وحضرتُ أنا لذلك.

264/3

حكاية نحوها [عن لطف السلطان وكرمه]

وفد على السلطان ملك غزنة المسمَّى ببهرام (56) وكان بينه وبين ابن الخليفة عداوة

(56) حول سيرى كدار خلافة انظر III ,146 – وحول عادة "غسل الرأس" يُراجع III ص 226-261-381. لم يعرف شيء عن بَهرام هنا، نظراً لكون غزنة كانت تابعة لهرات فإن "ملكها" على ما يبدو كان والياً من قبل معز الدّين حسين.

قديمة فأمر السلطان بإنزاله ببعض دور مدينة سيري التي لابن الخليفة، وأمر أن تُبنى له بها دار، فبلغ ذلك ابن الخليفة فغضب منه ومضى إلى دار السلطان فجلس على البساط الذي عادته الجلوس عليه، وبعث عن الوزير فقال له : سلم على خوند عالم، وقل له إن جميع ما أعطانيه هو بمنزلي لم أتصرف في شيء منه بل زاد عندي ونما وأنا أقيم معكم، وقام وانصرف!

265/3

فسأل الوزير بعض أصحابه عن سبب هذا، فاعلمه أن سببه أمر السلطان ببناء الدار لملك غزنة في مدينة سيري، فدخل الوزير على السلطان فأعلمه بذلك فركب من حينه في عشرة من ناسه وأتى منزل ابن الخليفة فاستأذن عليه ونزل عن فرسه خارج القصر حيث ينزل الناس فتلقاه واعتذر له، فقبل عذره. وقال له السلطان : والله ما أعلم أنك راض عني حتى تضع قدمك على عنقي! فقال له : هذا مالا أفعله ولو قتلت، فقال له السلطان وحق رأسي لابد لك من ذلك ! ثم وضع رأسه في الأرض وأخذ الملك الكبير قبولة رجْل ابن الخليفة بيده فوضعها على عنق السلطان ثم قام وقال : الآن علمت أنك راض عني وطاب قلبي!

266/3

وهذه حكاية غريبة لم يُسمع بمثلها عن ملك، ولقد حضرته يوم عيد وقد جاءه الملك الكبير بثلاث خلع من عند السلطان مفرَّجة، قد جُعِل مكان عُقَد الحرير التي تغلق بها حبات جوهر في قدر البندق الكبير، وأقام الملك الكبير ببابه حتى نزل من قصره، فكساه إياها والذي أعطاه هو مالا يحصره العد ولا يحيط به الحد، وابن الخليفة مع ذلك كلّه أبخل خلق الله تعالى ! وله في البخل أخبار عجيبة يعجب منها سامعها وكأنه كان من البخل بمنزلة السلطان من الكرم ولنذكر بعض أخباره في ذلك .

267/3

حكايات من بخل ابن الخليفة

وكانت بيني وبينه مودة، وكنت كثير التردد إلى منزله، وعنده تركت ولدًا لي سميته أحمد لما سافرت، ولا أدري مافعل الله به (57)، فقلت له يومًا : لم تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام ؟ فقال لي : لا أستطيع أن أنظر إليهم على كثرتهم وهم ياكلون طعامي ! فكان يأكل وحده ويعطي صاحبه محمد بن أبي الشرفي من الطعام لمن أحب ويتصرف في باقيه !!

(57) حسب النّسخ التي اعتمدناها يوجد (به) ويعتمد الناشران الفرنسيان على النسخة رقم 2291 وفيها (بهما)... وعلى كلّ فإن هذا الكلام يدل على أن ابن بطوطة ترك ولداً يحمل اسم احمد عند هذا الأمير العباسي ... فماذا عن مصير أحمد وعقبه في تلك الجهات؟!

وكنت أتردد إليه فأرى دهليز قصره الذي يسكن به مظلمًا لا سراج به. ورأيته مرارًا يجمع الاعواد الصغار من الحطب بداخل بستانه، وقد ملأ منها مخازن، فكلمته في ذلك، فقال لي : يُحتاج إليها.

268/3 وكان يُخدِم أصحابه ومماليكه وفتيانه في ‖ خدمة البستان وبنائه ويقول : لا أرضى أن ياكلوا طعامي وهم لا يخدمون. وكان عليَّ مرة دين، فطُلِبت به فقال لي في بعض الأيام : والله قد هممت أن أؤدى عنك دينك فلم تسمح نفسي بذلك ولا ساعدتني عليه !!

حكاية [عن شحه]

حدّثني مرة قال : خرجت من بغداد وأنا رابع أربعة : أحدهم محمد بن أبي الشرفي صاحبه، ونحن على أقدامنا ولا زاد عندنا، فنزلنا على عين ماء ببعض القرى فوجد أحدنا في العين درهما، فقلنا : وما نصنع بدرهم ؟ فاتفقنا على أن نشتري به خبزًا فبعثنا أحدَنا لشرائه، فأبى الخباز بتلك القرية أن يبيع الخبز ‖ وحده وإنما يبيع خبزًا بقيراط وتِبْنا بقيراط، 269/3 فاشترى منه الخبز والتبن فطرحنا التّبن إذ لا دابة لنا تأكله، وقسمنا الخبز لقمة لقمةً! وقد انتهى حالي اليوم إلى ما تراه، فقلت له : ينبغي أن تحمد الله على ما أولاك وتؤثر على الفقراء والمساكين وتتصدق، فقال : لا أستطيع ذلك! ولم أره قط يجود بشيء ولا يفعل معروفًا، ونعوذ بالله من الشح!

حكاية

كنت يوما ببغداد بعد عودتي من بلاد الهند وأنا قاعد على باب المدرسة المستنصرية التي بناها جده أمير المؤمنين المستنصر(58)، رضي الله عنه، فرأيت شابًا. ضعيف الحال يشتد خلف رجل خارج عن المدرسة، فقال لي بعض الطلبة : هذا ‖ الشاب الذي تراه هو ابن 270/3 الأمير محمد حفيد الخليفة المستنصر الذي ببلاد الهند، فدعوتُه، فقلت له، إني قدمت من بلاد الهند وأني أعرفك بخبر أبيك !!

فقال : قد جاءني خبره في هذه الأيام، ومضى يشتد خلف الرجل، فسألت عن الرجل فقيل لي : هو الناظر في الحبس، وهذا الشاب هو إمام ببعض المساجد، وله على ذلك أجرة درهم واحد في اليوم، وهو يطلب أجرته من الرجل، فطال عجبي منه، والله لو بعث إليه جوهرة من الجواهر التي في الخلع الواصلة إليه من السلطان لأغناه بها، ونعوذ بالله من مثل هذه الحال ‖. 271/3

(58) انظر II, 108-109.

ذكر ما أعطاه السلطان للأمير سيف الدين غَدَا بن هبة الله بن مهنّى أمير عرب الشام.

ولما قدم هذا الأمير (59) على السلطان أكرم مثواه وأنزله بقصر السلطان جلال الدين داخل مدينة دهلى، ويعرف بكُشك لَعْل، ومعناه القصر الأحمر، وهو قصر عظيم فيه مشور كبير جدًا ودهليز هائل، على بابه قبة (60) تشرف على هذا المشور، وعلى المشور الثاني الذي يدخل منه إلى القصر، وكان السلطان جلال الدين يقعد بها وتُلعب الكرة بين يديه في هذا المشور، وقد دخلت هذا القصر عند نزوله به فرأيته مملوًا أثاثا وفرشًا وبسطًا وغيرها، وذلك كله متمزق، لا منتفع فيه، فإن عادتهم بالهند أن يتركوا قصر السلطان إذا مات بجميع ما فيه لا يعرضون له ويبنى المتولي بعده قصرًا لنفسه، ولما دخلته طفت به وصعدت إلى أعلاه، فكانت لي فيه عِبرة نشأت عنها عَبْرة وكان معي الفقيه الطيب الأديب جمال الدين المغربي الغرناطي الأصل البجائي المولد، مستوطن بلاد الهند قدمها مع أبيه، وله بها أولاد، فانشدني عند ماعايناه،

272/3

سلاطينُهم سَلِ الطّينَ عنْهم * فالرؤوسُ العِظامُ صارت عظاما! (61)

وبهذا القصر كانت وليمة عرسه كما نذكره، وكان السلطان شديد المحبة في العرب مؤثرًا لهم معترفا بفضائلهم فلما وصله الأمير أجزل له العطاء وأحسن إليه إحسانًا عظيمًا، وأعطاه مرة، وقد قدمتْ عليه، هدية أعظم ملك البايزيدي (62) من بلاد مانِكْبور أحد عشر فرسا من عتاق الخيل وأعطاه مرة أخرى عشرة من الخيل مسرجة بالسروج المذهبة عليها اللجم المذهَّبة ثم زوجه بعد ذلك بأختهِ فيروز خوندة.

273/3

ذكر تزوج الأمير سيف الدين بأُخت السلطان

ولما أمر السلطان بتزويج أخته للأمير غَدَا عيّن للقيام بشأن الوليمة ونفقاتها الملك فتح

---

(59) ورد اسم غدا (I ,361-362) – التعليق 197 كما ورد 155,III وكما قلنا لم نجد أثراً لذكر هذا الأمير العربي في غير رحلة ابن بطوطة ولعلّ اللّفظ غُدًا اختصار لعُوذة التي لها في المشرق دلالتها... د. مصطفى الحياري : الإمارة الطائية في بلاد الشام، عَمان وزارة الشباب 1977 ص 71. – أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام – معرض الكتاب بالقاهرة 1995 .

(60) يراجع الجزء 180, II.

(61) ينبغي أن نقف قليلا مع هذا البيت بما يحتويه من تلاعب جميل بالكلمات مرتَيْن حيث جمع بين (سلاطين) وهم الملوك وبين (سَل الطّين) يعني إسأله أي الصلصال، والطّفل والوَحل، ثم جمع بين (العظام) جمع عظيم وبين (العظامّ) جمع عظم !!

(62) سيذكر البايزيدي (III ,366-367) منعوتاً بمصاهرته للسلطان – مانِكْبور تقدمت 181, III.

الله المعروف بشَوْنَويس، بشين معجم مفتوح ووأوين أولهما مسكن والآخر مسكور بينهما نون وآخره سين مهمل، وعيّنني لملازمة الأمير غَدًا والكون معه في تلك الأيام، فأتى الملك فتح الله بالصّيوانات فظلل بها المشوريْن بالقصر الأحمر المذكور، وضرب في كل واحد منهما قبة ضخمةً جدا ‖ وفرش ذلك بالفرش الحسان، وأتى شمس الدين التبريزي أمير المطربين ومعه الرجال المغنون والنساء المغنيات والرواقص وكلهن مماليك السلطان، وأحضر الطباخين والخبازين والشوائين والحلْوانّيين والشُّرْبدارية والتنبول داران، وذبحت الأنعام والطيور، وأقاموا يطعمون الناس خمسة عشر يومًا ويحضر الأمراء الكبار والأعزة ليلاً ونهارًا. 274/3

فلما كان قبل ليلة الزفاف بليلتين جاء الخواتين من دار السلطان ليلاً إلى هذا القصر فزينه وفرّشْنه بأحسن الفرش واستحضرن الأمير سيف الدين وكان عربيًا غريبًا لا قرابة له فحففن به، وأجلسنه على مرتبة معينة له، وكان السلطان قد أمر أن تكون ربيبته أم أخيه مبارك خان مقام أم الأمير غدا، وأن تكون امرأة أخرى من الخواتين ‖ مقام أخته وأخرى مقام عمته وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين أهله (63) !! 275/3

ولما أجلسنه على المرتبة جعلن له الحناء في يديه ورجليه (64)، وقام باقيهن على رأسه يغنّين ويرقصن، وانصرفن إلى قصر الزفاف وأقام هو مع خواص أصحابه ، وعين السلطان جماعة من الأمراء يكونون من جهته وجماعة يكونون من جهة الزوجة، وعادتهم أن تقف الجماعة التي من جهة الزوجة على باب الموضع الذي تكون به جَلْوتُها على زوجها، ويأتي الزوج بجماعته فلا يدخلون إلا إن غلبوا أصحاب الزوجة أو يعطونهم الآلاف من الدنانير إن لم يقدروا عليهم !!

ولما كان بعد المغرب أُتِي إليه بخلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة قد غلبت الجواهر عليها فلا يظهر لونها مما عليها من الجوهر، وبشاشية مثل ذلك، ولم أر قط مثل ذلك، ولم ‖ 276/3

(63) شَوْنَويس : (Shaw - Nawvis) بالفارسية تعني كاتب عقد الزواج، العدْل أو المأذون، هذا ونرى أنَّ من أطرف التقاليد التي عرفتها المنطقة على ذلك العهد فيما يتصل بمجاملة (الغريب)، ما نراه هنا نموذجًا لتطبيق الفكرة حيث «يُخلق» للأعزة أهلٌ له حتى لا يشعر بالغربة. وقد عشت أثناء ممارستي للعمل الدبلوماسي مع حالات ذكرتني بهذه العادات عندما يطرأ سفير غريب على البلاد المعتمد فيها فنجد نوعًا من هذا "التئاخي" للأقارب والأحباب.

(64) ممارسة الحناء معروفة على العموم للنساء أكثر مما هي معروفة عند الرجال ومن المهم أن نلاحظ انتشار هذه العادة في العالم الإسلامي كله حتّى لاعتُبرت الحنا، الركيزة الأساس في تقاليد الأعراس، وللمغاربة تاريخ طويل مع هذا النّبَات، فهم يغرسونه في الأقاليم الجنوبية، ولهم في كل مدينة سوق خاص بها... وهناك مهنة "الحنّايات" اللاتي ينقشن الحناء على أطراف المحتفى بها... د. التّازي : أعراس فاس، مطبعة فضالة 1961 ص 7-13 – جريدة الشرق الأوسط عدد 8-9 – 11 شتنبر 1994.

أرَ قط خلعةً أجمل من هذه الخلعة، وقد رأيت ما خلعه السلطان على سائر أصهاره مثل ابن ملك الملوك عماد الدين السِّمناني، وابن ملك العلماء وابن شيخ الإسلام وابن صدر جَهان البخاري، فلم يكن فيها مثل هذه.

ثم ركب الأمير سيف الدين في أصحابه وعبيده، وفي يد كلٍّ واحد منهم عَصَى قد أعدها، وصنعوا شبه إكليل من الياسمين والنّسرين وريبول (65)، وله رفْرف (66) يغطي وجه المتكلل به وصدره، وأتوا به الأمير ليجعله على رأسه، فأبى من ذلك، وكان من عرب البادية، لا عهد له بأمور الملك والحضر! فحاولتُه وحلفت عليه ‖ حتى جعله على رأسه وأتى باب الصَّرْف ويسمونه باب الحَرَم (67)، وعليه جماعة الزوجة فحمل عليهم بأصحابه حملةً عربيةً وصرعوا كل من عارضهم فغلبوا عليهم، ولم يكن لجماعة الزوجة من ثبات! وبلغ ذلك السلطان فأعجبه فعله، ودخل إلى المشور وقد جعلت العروس فوق منبر عال مزين بالديباج مرصع بالجوهر والمشور ملآن بالنساء والمطربات قد أحضرن أنواع الآلات المطربة وكلهنّ وقوفٌ على قدم إجلالاً له وتعظيمًا، فدخل بفرسه حتى قرب من المنبر فنزل وخدم عند أول درجة منه، وقامت العروس قائمة حتى صعد فأعطته التنبول بيدها فأخذه وجلس تحت الدرجة التي وقفت بها، ونُثرت ‖ دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه، ولقطتها النساء والمغنيات يغنين حينئذ، والأطبال والأبواق والأنفار تضرب خارج الباب.

277/3

278/3

ثم قام الأمير وأخذ بيد زوجته ونزل وهي تتبعه، فركب فرسَه يطأ به الفرش والبسط، ونثرت (68) الدنانير عليه وعلى أصحابه، وجُعلت العروس في محفة وحملها العبيد على أعناقهم إلى قصره، والخواتين بين يديها راكبات وغيرهن من النساء ماشيات، وإذا مرّوا بدار أمير أو كبير خرج إليهم ونثر عليهم الدنانير والدراهم على قدر همته حتى أوصلوها إلى قصرها.

(65) عن السّمناني يراجع III ,252 وعن البخاري III ,54 وعن الريبول اعتقد أنها الفُلّ – انظر III ,150.

(66) تلاحظ قوة ذاكرة الرحالة الذي لم ينس مثل هذه الدقائق التي ينساها المرء عادة ... وينبغي الوقوف مع المفرد الحضاري الذي ذكره فعلاوةً على الإكليل من الزهور المتنوعة هناك (الرفرف) أي الحجاب الشفاف الذي يغطي به وجه العروس أو العريس إمعانا في لفت الأنظار إليها أو إليه! وتلك كلها كما قرأنا عادات كانت سائدة في الهند.

(67) باب الحرم يُؤدي إلى منطقة معزولة عن باقي الناس خاصة بالحريم...

(68) نثار أو نثر الدراهم على العريس عادةٌ معروفة، وتسمى في المغرب (الغرامة)! يقال مثلا: أصدقاء العريس يغرمون عليه: ينثرونه بالدنانير والأوراق النقدية، ويستغرب المرء لهذه العادات التي تتشابه مع عادات بعض الجهات الإسلامية، عادات تقصد إلى مساعدة العريسين في بداية حياتهما الزوجية...

ولما كان بالغد بعثت العروس إلى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم، وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرساً مُسرجاً ملجماً وبَدْرة دراهم من ألف دينار إلى مائتي دينار، وأعطى الملكُ فتح الله للخواتين ثياب الحرير المنوعة والبدر، وكذلك لأهل الطرب، وعادتهم ببلاد الهند أن لا يعطي أحد شيئا لأهل الطرب، إنما يعطيهم صاحب العرس، وأُطعم الناس جميعا ذلك اليوم، وانقضى العرس، وأمر السلطان أن يعطي الأمير غَدَا بلاد المالْوة والجُزَرَات وكَنْباية ونَهْروالة (69)، وجعل فتح الله المذكور نائباً عنه عليها، وعظّمه تعظيماً شديدًا، وكان عربيا جافيا، فلم يقدّر ذلك وغلب عليه جفاء البادية فأداه ذلك إلى النكبة بعد عشرين ليلة من زفافه !! 279/3

ذكر سجن الأمير غَدا

280/3 ولما كان بعد عشرين يوما من زفافه اتفق أنه وصل إلى دار السلطان فأراد الدخول فمنعه أمير البرد داريّه (70)، وهم الخواص من البوابين، فلم يسمع منه وأراد التقحُّم فامسك البواب بدَبُّوقته، وهي الضَّفيرة، ورده، فضربه الأمير بعصى كانت هنالك حتى أدماه!

وكان هذا المضروب من كبار الأمراء يُعرف أبوه بقاضي غزنة، وهو من ذرية السلطان محمود بن سَبُكْتِكِين، والسلطان يخاطبه بالأب ويخاطب ابنه هذا بالأخ، فدخل على السلطان والدم على ثيابه، فأخبره بما صنع الأمير غَدَا ففكر السلطان هنيهة، ثم قال له : القاضي يفصل بينكما، وتلك جريمة لا يغفرها السلطان لأحد من ناسه، ولابد من الموت عليها، وإنما احتملته لغُربته!!

281/3 وكان القاضي كمال الدين بالمشور، فأمر السلطان الملك تَتَرأَنْ (71) يقف معهما عند القاضي، وكان تَتَر حاجّا مجاورًا يحسن العربية، فحضر معهما، وقال للأمير : أنت ضربتَه أو قُل لا ! قصد أن يعلّمه الحجّة، وكان سيف الدين جاهلاً مغترًا، فقال : نعم أنا ضربته، وأتى والد المضروب فرام الإصلاح بينهما، فلم يقبل سيف الدين، فأمر القاضي

(69) حول مالْوة انظر III 245، – حول كنباية I 364-367، II 177-III 244 – نهرُوالة III 246، ...

(70) يبدو أن العبارة فارسية الأصل باردا دار Parda - dar وتعني حارس الأبواب الداخلية، بيد أن هذا التفسير لا يتناسب مع الحال هنا، فإن عبارة (خواص) تعني – كما نعرف – صنفا خاصًا من الموظفين الكبار. ويمكن أن يكون هناك خلط وقع في رسم الكلمة أو التباس في التعبير مع لفظ آخر مقارب وهو بارْداد (Bardad) بالدال عوض الراء يعني الضابط المسموح له وحده بأن يكون صلة الوصل لدى السلطان.

(71) الملك تَتَرخان هو إسم آخر لبهرام خان الذي سمّي خطأ ابراهيم يراجع III ص 230 ثم 317.

بسجنه تلك الليلة، فوالله ما بعثتْ له زوجته فراشًا ينام عليه، ولا سألت عنه خوفاً من السلطان، وخاف أصحابه فودعوا أموالهم!

وأردتُ زيارته بالسجن، فلقيني بعض الأمراء وفهم عني أني أريد زيارته، فقال لي: أونسيت؟ وذكرني بقضية ‖ اتفقت لي في زيارة الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام، وكيف أراد السلطان قتلي على ذلك حسبما يقع ذكره (72) فرجعت ولم أزوره! وتخلص الأمير غَدَا عند الظهر من سجنه، فأظهر السلطان إهماله، وأضرب عما كان أمر له بولايته وأراد نفيه! 282/3

وكان للسلطان صهر يسمى بمُغيث ابن ملك الملوك (72)، وكانت أخت السلطان تشكوه لأخيها إلى أن ماتت، فذكر جواريها أنها ماتت بسبب قهره لها، وكان في نسبه مَغْمَز، فكتب السلطان بخطه: يُجلَى اللقيط، يعنيه، ثم كتب: ويُجلى مُوش خوار، معناه: آكل الفئران! يعني بذلك الأمير غَدَا، لأن عرب البادية يأكلون اليربوع وهو شبه الفأر(73)! وأمر بإخراجهما، فجاءه النقباء ليُخرجوه، فأراد دخول ‖ داره ووداعَ أهلِه، فترادف النقباء في طلبه، فخرج باكيا! 283/3

وتوجهت حين ذلك إلى دار السلطان فبتُّ بها فسألني عن مبيتي بعض الأمراء، فقلت له جئت لأتكلم في الأمير سيف الدين حتى يرد ولا ينفي، فقال: لا يكون ذلك، فقلت له: والله لأبيتنَّ بدار السلطان ولو بلغ مبيتي مائة ليلة حتى يُردَّ، فبلغ ذلك السلطان فأمر برده وأمره أن يكون في خدمة الأمير ملك قبولة اللاّهورّي، فأقام أربعة أعوام في خدمته يركب لركوبه ويسافر لسفره حتى تأدَّب وتهذب! ثم أعاده السلطان إلى ما كان عليه أولاً وأقطعه البلاد وقدمه على العساكر ورفع قدره ‖. 284/3

ذكر تزويج السلطان بنتي وزيره لابنيْ خُذَاوند زاده، قوام الدين الذي قدِم معنا عليه.

ولما قدم خذاوند زاده أعطاه السلطان عطاءًا جزلاً وأحسن إليه إحسانا عظيما وبالغ في إكرامه (74) ثم زوج ولديه من بنتي الوزير خواجة جهان، وكان الوزيراذ ذاك غائبا فأتى

(72) سنعرف عن المأساة الفظيعة التي عاشها شهاب الدّين III, 293-394.

(73) مثل هذا النوع من الشتيمة، يوجد في الأصول الفارسية: «بلغ الأمر بالعربي من شرب لبن الإبل وأكل الضّباب إلى الطموح إلى تاجنا ...» الشاهنامة، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي وترجمها الفتح البنداري، وراجعها د. عبد الوهاب عزام، أعيد طبعها بالأوفست في طهران 1970، ص 89.

(74) حول خذا وند زاده يراجع III, 48 – ويظهر من خلال الرحلة أن العادة كانت عندهم جارية على أن يقرأ نص عقد الزواج أمام الحاضرين على نحو ما جرى به العرف عند بعض الأسر في المغرب حيث يذكر نسب الزوج والزوجة وتذكر بعض التفاصيل عن المهر الذي يعرض أمام الحاضرين.

السلطان إلى داره ليلا وحضر عقد النكاح كأنه نائب عن الوزير، ووقف حتى قرأ قاضي القضاة الصداق، والقضاة والأمراء والمشائخ قعود، وأخذ السلطان بيده الأثواب والبِدَر فجعلها بين يدي القاضي وولدي خذاوند زاده، وقام الأمراء وأبوه أنْ يجعل السلطان ذلك بين أيديهم بنفسه فأمرهم بالجلوس وأمر بعض كبار الأمراء أن يقوم مقامه وانصرف ▌ 285/3

حكاية في تواضع السلطان وإنصافه

ادعى عليه رجل من كبار الهنود أنه قتل أخاه من غير موجب ودعاه إلى القاضي فسلَّم وخدم، وكان قد أمر القاضي قبل ذلك أنه إذا جاءه إلى مجلسه فلا يقوم ولا يتحرك، فصعد إلى المجلس ووقف بين يدي القاضي فحكم عليه أن يُرضى خصمه عن دم أخيه فأرضاه.

حكاية مثلها

وادعى على السلطان مرة رجلٌ من المسلمين أنَّ له قِبَلَه حقاً ماليًا فتخاصما في ذلك عند القاضي، فتوجه الحكم على السلطان بإعطاء المال فأعطاه ▌. 286/3

حكاية مثلها

وادعى عليه صبي من أبناء الملوك أنه قد ضربه من غير موجب ورفعه إلى القاضي فتوجه الحكم عليه بأن يرضيه بالمال إن قبل ذلك وإلا أمكنه من القصاص، فشاهدتُه يومئذ وقد عاد لمجلسه واستحضر الصبي وأعطاه عصًا، وقال له، وحقِّ رأسي لتضربنني كما ضربتك ! فأخذ الصبي العصا وضربه بها إحدى وعشرين ضربة حتى رأيت الكُلا قد طارت عن رأسه !!

ذكر اشتداده في إقامة الصلاة

وكان السلطان شديدًا في إقامة الصلوات آمرًا بملازمتها في الجماعات يعاقب على تركها أشد العقاب، ولقد قتل في يوم واحد تسعة نفر على تركها ▌ كان أحدهم مُغَنيًا . وكان يبعث الرجال الموكلين بذلك إلى الأسواق فمن وُجد بها عند إقامة الصلاة عوقب، حتى انتهى إلى عقاب الستائريين (75) الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور، إذا ضيعوا 287/3

(75) ربما كانت كلمة الستائريين آتية من (سِتارة)، ما يجعل تحت السرّج أو فوقه دوزي.

الصلاة، وأمر أن يُطلب الناس بعلم فرائض الوضوء والصلاة وشروط الإسلام، فكانوا يُسألون عن ذلك، فمن لم يحسنه عُوقب، وصار الناس يتدارسون ذلك بالمشور والأسواق ويكتبونه !

ذكر اشتداده في إقامة أحكام الشرع

وكان شديدًا في إقامة الشرع، ومما فعل في ذلك أن أمر أخاه مبارك خان (76) أن يكون قعوده بالمشور مع قاضي القضاة كمال الدين في قبة مرتفعة ‖ هنالك مفروشة بالبسط وللقاضي بهامرتبة تحف بها المخاد كمرتبة السلطان ويقعد أخو السلطان عن يمينه فمن كان عليه حق من كبار الأمراء وامتنع من أدائه لصاحبه يُحضره رجال أخي السلطان عند القاضي لُينصف منه. 288/3

ذكر رفعه للمغارم والمظالم وقعوده لإنصاف المظلومين

ولما كان في سنة إحدى وأربعين (77) أمر السلطان برفع المكوس عن بلاده وأن لا يؤخذ من الناس إلا الزكاة والعشر خاصة وصار يجلس بنفسه للنظر في المظالم في كل يوم اثنين وخميس برحبة أمام المشور (78). ولا يقف بين يديه في ذلك اليوم إلا أمير حاجب (79) ‖ وخاص حاجب (80) وسيد الحجاب وشرف الحجاب (81) لا غير، ولا يُمنع أحد ممن أراد الشكوى من الوقوف بين يديه. 289/3

وعين أربعةً من كبار الأمراء يجلسون في الأبواب الأربعة من المشور لأخذ القِصَص من المشتكين، والرابع منهم هو ابن عمه ملك فيروز، فإن أخذ صاحبُ الباب الأول الرفع من

---

(76) أنظر III, 230.

(77) سنة 741 توافق 27 يونيه 1340 إلى 16 يونيه 1341. يظهر أن هذا الإصلاح الجبائي يرجع لنفس التاريخ الذي طلب فيه السلطان تنصيبه من لدن «الخليفة العباسي» ... وهو الإصلاح الذي كان يهدف لإرضاء طبقات الشعب المتضررة من توالي الجَفاف والتي ظلت تثور طوال سبع سنوات – المكس (ج. مكوس) : يعرف على أنه ضريبة لا تستند على أساس شرعي – تراجع مادة مكس في دائرة المعارف الإسلامية.

(78) يتعلق الأمر بمحكمة خاصة مكلفة بتصحيح الأخطاء التي تُرتكب من قبل الموظفين المدنيين والعسكريين عند تطبيقهم للقرارات الملكية التي قد لا ترجع للأحكام الإسلامية أو اختصاصات القاضي – انظر III, 117.

(79) رئيس الحجاب كان أنئذ هو فيروز تغلق ...

(80) القصد إلى حاجب الدار الملكية.

(81) يراجع III, 221.

الشاكي فحسن، وإلا أخذه الثاني أو الثالث أو الرابع، وإن لم يأخذوه منه مضى به إلى صدر الجَهَان قاضي المماليك (82)، فإن أخذه منه وإلا شكا إلى السلطان، فإن صح عنده أنه مضى به إلى أحدٍ منهم فلم يأخذه منه أدبه، وكلما يجتمع من القِصَص في سائر الأيام

290/3 يطالع به السلطان بعد العشاء الآخرة ▒ .

ذكر إطعامه في الغلاء

ولما استولى القحط على بلاد الهند والسِّند (83) واشتد الغلاء حتى بلغ من القمح إلى ستة دنانير (84)، أمر السلطان أن يعطي لجميع أهل دهلى نفقة ستة أشهر من المخزن بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب (85) لكل إنسان في اليوم صغيرًا أو كبيرًا حرًا أو عبدًا وخرج الفقهاء والقضاء يكتبون الأَزِمَّة بأهل الحارات، ويُحضرون الناس ويُعطى لكل واحد عَوْلَة ستة أشهر يقتات بها.

ذكر فتكات هذا السلطان وما نقم من أفعاله

وكان علَى ما قدمنا من تواضعه وإنصافه ورفقه بالمساكين وكرمه الخارق للعادة كثير

291/3 التجاسر على إراقة الدماء لا يخلو بابه عن مقتول ▒ إلا في النادر، وكنت كثيرًا ما أرى الناس يُقتلون على بابه ويطرحون هنالك، ولقد جئت يومًا فنفر بي الفرس، ونظرت إلى قطعة بيضاء في الأرض فقلت ما هذه ؟ فقال بعض أصحابي : هي صدر رجل قطع ثلاث قطع !

وكان يعاقب على الصغيرة والكبيرة ولا يحترم أحدًا من أهل العلم والصلاح والشرف، وفي كل يوم يرد على المشور من المُسَلسلين والمغلولين والمقيدين مئون، فمن كان للقتل أو للعذاب عذب أو للضرب ضرب، وعادته أن يؤتى كلّ يوم بجميع من في سجنه من الناس إلى المشور ماعدا يوم الجمعة فإنهم لا يخرجون فيه وهو يوم راحتهم يتنظفون فيه ويستريحون

292/3 أعاذنا الله من البلاء ▒ .

---

(82) لا يظهر أن القصد إلى الشخصية التي كان ابن بطوطة يعتمد عليها في معلوماته III ،143 .

(83) استمرت المجاعة طوال سبع سنوات ابتداء من عام 736 = 1336 ، وكانت تصادف إذن مقام الرحالة المغربي في الهند، وإن هذه المجاعة لم تكن ناتجة فقط عن أسباب طبيعية، ولكن كذلك عن الأسباب السياسية والحالة المأساوية التي كان يعيش فيها محمد تُغلق...

(84) المنّ يزن تقريبا 15.25 كرام ...

(85) الرطل في دهلي يوازي نصف المنّ – الرطل المغربي يساوي تقريبا الباوند الانجليزي، وفي فقرة لاحقة IV ،210 – قارَن ابن بطوطة رطل دهلي بعشرين رطلا مغربيا– الحارة : الحومة من الحومات التي تتألّف منها المدينة – العوْلة استعمال مغربي يعني المؤنة الغذائية...

ذكر قتله لأخيه

وكان له إخ إسمه مسعود خان وأمه بنت السلطان علاء الدين، وكان من أجمل صورة رأيتها في الدنيا، فاتّهمه بالقيام عليه (86)، وسأله عن ذلك فأقر خوفاً من العذاب فإنه من أنكر ما يدعيه عليه السلطان من مثل ذلك يعذب ! فيرى الناس أن القتل أهون عليهم من العذاب فأمر به فضربت عنقه، في وسط السوق وبقي مطروحاً هنالك ثلاثة أيام على عادتهم، وكانت أم هذا المقتول قد رجمت في ذلك الموضع قبل ذلك بسنتين لاعترافها بالزّنا فرجمها القاضي كمال الدين . 293/3

ذكر قتله لثلاثماية وخمسين رجلاً في ساعة واحدة !

وكان مرةً عيَّن حِصّةً من العسكر تتوجه مع الملك يوسف بُغْرة (87) إلى قتال الكفار ببعض الجبال المتصلة بحوز دهلى فخرج يوسف وخرج معه معظم العسكر وتخلف قومٌ منهم، فكتب يوسف إلى السلطان يعلمه بذلك، فأمر أن يطاف بالمدينة ويقبض على من وجد من أولائك المتخلفين ففعل ذلك وقبض على ثلاثماية وخمسين منهم فأمر بقتلهم أجمعين فقتلوا !

ذكر تعذيبه للشيخ شهاب الدين وقتله

وكان الشيخ شهاب الدين ابن شيخ الجام الخراساني الذي تنسب مدينة الجام بخراسان إلى جده حسبما قصصنا ذلك، من كبار المشائخ الصلحاء الفضلاء (88)، وكان يواصل أربعةً عشر يوماً، وكان السلطانان قطب الدين وتُغلق يعظمانه ويزورانه ويتبركان به، فلما ولي السلطان محمد أراد أن يُخدِمَ الشيخ في بعض خدمته، فإن عادته أن يُخدِم الفقهاء والصلحاء محتجاً أن الصدر الأول، رضي الله عنهم، لم يكونوا يستعملون إلا أهل العلم والصلاح، فامتنع الشيخ شهاب الدين من الخدمة، وشافهه السلطان بذلك في مجلسه العامّ 294/3

(86) يُذكرني مثل هذه القضايا فيما نقله ابن الخطيب في (أعمال الإعلام) عن الأمير عبد الله حفيد ابن معاوية الذي – خوفاً على الحكم أن يضيع منه – احتال على أخيه فسمّه، والتفت إلى ولديه فقتلهما... واجهز على أخيه القاسم... لقد اشفق ابن الخطيب على القارئ وهو يسمع بهذه المذابح فختم بهذا التعبير الذي ينم عن الراحة التي يشعر بها وقد ترك السياسة ! قال : وسوق الملك لا ينكر فيها أمثال هذه البضائع ومن عُوفى فليحمد الله..." تحقيق بروفنصال بيروت 1956 ص 26– د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج I ص 241 – حادثة الأمير مسعود استأثر بذكرها ابن بطوطة...

(87) تقدم ذكره III .235.

(88) ينحدر الشيخ شهاب الدين من الشيخ الجامي سالف الذكر. وكان كما عرفنا ممن يتمتعون بالاحترام الكبير من لدن سلطان الهند لكن الأمور لم تلبث أن تغيرت إلى المأساة التي نقرأ عنها...

فأظهر الإباية والامتناع ! (89) فغضب السلطان من ذلك، وأمر الشيخ الفقيه المعظم ضياء الدين السمناني أن ينتف لحيته! فأبى ضياء الدين من ذلك، وقال : لا أفعل هذا، فأمر السلطان بنتف لحية كل واحد منهما! فنتفت ! ونُفِي ضياء الدين إلى بلاد التِّلِنك، ثم ولاه بعد مدة قضاء ‖ وَرَنْكل (90) فمات بها. 295/3

ونفى شهاب الدين إلى دولة آباد، فأقام بها سبعة أعوام ثم بعث عنه فأكرمه وعظَّمه وجعله على ديوان المستخرج (91)، وهو ديوان بقايا العُمَّال يستخرجها منهم بالضرب والتنكيل، ثم زاد في تعظيمه وأمر الأمراء أن يأتوا للسلام عليه ويمتثلوا أقواله، ولم يكن أحد في دار السلطان فوقه، ولما انتقل السلطان إلى السكنى على نهر الكَنْك، وبنى هنالك القصر المعروف بسَرْك دُوار، معناه شبيه الجنة (92)، وأمر الناس بالبناء هنالك، طلب منه الشيخ شهاب الدين أن يأذن له في الإقامة بالحضرة، فأذن له إلى أرض موات مسافة ستة أميال من دهلى فحفر بها كهفاً كبيراً صنع في جوفه البيوت والمخازن والفرن والحمّام ‖ وجلب الماء من نهرجون، وعمر تلك الأرض وجمع مالاً كثيراً من مستغلها لأنها كانت السنون قاحطة، وأقام هنالك عامين ونصف عام مدة مغيب السلطان. 296/3

وكان عبيده يخدمون تلك الأرض نهاراً ويدخلون الغار ليلاً ويسدّونه على أنفسهم وأنعامهم خوف سُرّاق الكفار لأنهم في جبل منيع هنالك، ولما عاد السلطان إلى حضرته استقبله الشيخ ولقيه على سبعة أميال منها فعظَّمه السلطان وعانقه عند لقائه، وعاد إلى غاره، ثم بعث عنه بعد أيام فامتنع من إتيانه، فبعث إليه مُخْلص الملك النَّذَرْبَاري (93)، وكان من كبراء الملوك فتلطف له في القول وحذره بطش السلطان ‖ فقال له : لا أخدم ظالماً أبدا ! فعاد مخلص الملك إلى السلطان فأخبره بذلك فأمر أن ياتي به، فأتى به فقال له : أنت القائل: إني ظالم ؟ فقال : نعم أنت ظالم، ومن ظُلمك كذا وكذا، وعدّد أمورًا، منها تخريبه لمدينة 297/3

(89) نلاحظ تدهور علاقات السلطان محمد بن تغلق مع العلماء الذين كان لهم نفوذ كبير في الهند وكانوا لا يرضون أن يقوموا بخدمةٍ لا تُرضي ضمائرهم أو تمسّ بكرامتهم أو تنال من سمعتهم...

(90) ورنكل (Ouarangal) عاصمة بلاد التِّلنك 208, III.

(91) القصد إلى الأموال المتحصلة من الابتزاز والنهب.

(92) يذكر أنه أثناء الجفاف القاسي الذي أشرنا إليه فيما سبق قام السلطان بنقل مقر حكمه عام 738 = 1338 إلى مقربة من كانوج (Kanauj) على بعد 200 ميل جنوب شرق دهلي، على نهر (الكنك)، كان قصره يدعى (سَرْكدوَاري) SARGADWARI وهو يعني باب الفردوس.

(93) النذرباري، نسبة على ما يبدو إلى مدينة نَذَرْبار الآتية الذكر (51, IV) وسيقول عنها إنها مدينة صغيرة يسكنها المرهته وهم أهل الاتقان في الصنائع والأطباء والمنجمون... ذكرها ابن بطوطة كمحطة من المحطات التي مرت بها السّفارة الهنديّة في طريقها إلى الصّين – عن تخريب دهلي انظر III 314-315 – عن الدويدارية – انظر 85, I – عن نَكْبية انظر III 231-235, وما ياتي ص 325-327.

دهلى وإخراجه أهلها، فأخذ السلطان سيفه ودفعه لصَدْر الجِهان، وقال : يُثْبت هذا أني ظالم واقطع عنقي بهذا السيف ! فقال له شهاب الدين : ومن يريد أن يشهد بذلك فيُقتل، ولكن أنت تعرف ظلم نفسك ! وأمر بتسليمه للملك نُكْبِيَة راس الدوَيْدَارِيّة، فقيّده بأربعة قيود وغلّ يديه وأقام كذلك أربعة عشر يوماً مواصلاً لا ياكل ولا يشرب ! وفي كل يوم منها يؤتى به إلى المشور ويجمع الفقهاء والمشائخ، ويقولون له ‖ إرجع عن قولك، فيقول : لا أرجع عنه وأريد أن أكون في زمرة الشهداء ! فلما كان اليوم الرابع عشر بعث إليه السلطان بطعام مع مخلص الملك، فأبى أن يأكل، وقال : قد رُفع رزقي من الأرض ! اِرجع بطعامك إليه ! فلما أخبر بذلك السلطان أمر عند ذلك أن يطعم الشيخ خمسة إستار (94) من العذرة ! وهي رطلان ونصف من إرطال المغرب، فأخذ ذلك الموكلون بمثل هذه الأمور، وهم طائفة من كفار الهنود، فمدّوه على ظهره وفتحوا فمه بالكلبتين وحلّوا العذرة بالماء، وسقوه ذلك، وفي اليوم بعده أتي به إلى دار القاضي صدر الجهان وجمع الفقهاء والمشائخ ووجوه الأعزة فوعظوه وطلبوا منه أن يرجع عن قوله فأبى ذلك فضربت عنقه، رحمه الله تعالى ‖

298/3

299/3

ذكر قتله للفقيه المدرس عفيف الدين الكاساني (95) وفقيهين معه

وكان السُّلطان في سنين القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك، وأن يُزرع هنالك (96) زرع وأعطى الناس البذر وما يلزم على الزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن، فبلغ ذلك الفقيه عفيف الدين، فقال : هذا الزرع لا يحصل المراد منه! فوشى به إلى السلطان فسجنه وقال : له لأي شيء تُدخل نفسكِ في أمور الملك ؟ ثم إنه سرّحه بعد مدة فذهب إلى داره.

ولقيه في طريقه إليها صاحبان له من الفقهاء، فقالا له : الحمد لله على خلاصك، فقال الفقيه : الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين (97)، وتفرقوا فلم يصلوا إلى دورهم حتى بلغ ذلك السلطانَ، فأمر بهم ‖ فأحضر ثلاثتهم بين يديه، فقال : اذهبوا بهذا، يعني عفيف

300/3

(94) إستار : الكلمة الهندية سِر (Sir)، وتعادل تقريباً أربعمائة كرام، هذا وإن مشاعر المرء لتصاب بالذهول وهو يسمع عن مثل هذه الحماقات التي تعتبر من البضاعات الرائجة في سوق السياسة !! على حد تعبير ابن الخطيب في الإعمال يراجع التعليق 86

(95) ينتسب إلى كاسان مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون، معجم البلدان.

(96) بلغ الناس من الضعف حالةً لم يتمكنوا معها من القدرة على حفر الآبار، وبلغوا من الجوع كذلك حالة لم يتمكنوا معها من القدرة على الاحتفاظ بالحبوب فأكلوها، وهو الأمر الذي أدّى إلى موجة جديدة من القمع – كلمة المخزن هنا تعنى مدلولها في المغرب : الدّولة والحكومة.

(97) القرآن الكريم، السورة 23، الآية 28.

الدين، فاضربوا عنقه حَمَائِل، وهو أن يُقطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر، واضربوا أعناق الآخرين، فقالا له : أما هو فيستحق العقاب بقوله، وأما نحن فبأي جريمة تقتلنا ؟ فقال لهما : إنكما سمعتما كلامه فلم تنكراه فكأنكما وافقتما عليه ! فقتلوا جميعا رحمهم الله تعالى!.

ذكر قتله أيضا للفقيهين من أهل السند كانا في خدمته

وأمر السلطان هذين الفقيهين السنديّين أن يمضيا مع أمير عيّنه إلى بعض البلاد وقال لهما انّما سلّمت احوال البلاد والرعيّة لكما ويكون هذا الأمير معكما يتصرّف بما تأمرانه به فقالا له : إنّما نكون كالشاهدين عليه ونبين له وجه الحقّ ليتبعه، فقال لهما : إنّما قصدكما أن تاكلا أموالي وتضيّعاها وتنسبا ذلك إلى هذا التركيّ الذي لا معرفة له، فقالا له، حاشا للّه ياخوند عالم ! ما قصدنا هذا، فقال لهما : لم تقصدا غير هذا! اذهبوا بهما إلى الشيخ زاده النُّهاونديّ، وهو الموكّل بالعذاب، فذُهب بهما إليه فقال لهما : السلطان يريد قتلكما، فأقرّا بما قوّلكما ايّاه ولا تعذّبا انفسكما ! فقالا : واللّه ما قصدنا الاّ ما ذكرنا، فقال لزبانيّته : ذوّقوهُمَا بعض شيء، يعني من العذاب، فبُطحا على أقفائهما وجُعل على صدر كلّ واحد منهما صفيحة حديد محماةٌ، ثمّ قلعت بعد هنيهة، فذهبت بلحم صدورهما، ثمّ أُخِذ البول والرماد فجعل على تلك الجراحات، فأقرّا على أنفسهما انّهما لم يقصدا الاّ ما قاله السلطان وانّهما مجرمان مستحقّان للقتل ! فلا حقّ لهما ولا دعوى في دمائهما دُنيا ولا أخرى، وكتبا خطّهما بذلك واعترفا به عند القاضي ! فسجّل عَلى العقد وكُتب فيه أن اعترافهما كان عن غير اكراهٍ ولا إجبارٍ، ولو قالا : أكرِهنا لعُذّبا أشدّ العذاب ! ورأيا أن تعجيل ضرب العنق خيرٌ لهما من الموت بالعذاب الأليم فقتلا رحمهما اللّه تعالى!

ذكر قتله للشيخ هود

وكان الشيخ زاده المسمى بهُود حفيد الشيخ الصالح الولّي ركن الدين بن بهاء الدين بن أبي زكرياء المُلتاني للبنت (98)، وجدُّه الشيخ ركن الدين معظمٌ عند السلطان، وكذلك أخوه عماد الدين الذي كان شبيهًا بالسلطان، وقتل يوم وقيعة كَشْلُوخان وسنذكره (99)، ولما قتل عماد الدين أعطى السلطان لأخيه ركن الدين مائة قرية ليأكلَ منها ويطعم الصادر

(98) ليس أبا زكرياء ولكن فقط زكريا الملتاني، (102، III) – كلمة (للبنت) محذوفة في بعض النسخ.

(99) 322، III – كلمة الدولة الآتية في صفحة 304 تعني المحفة 73، IV حول السماط 242، III – الإجلاس على السجادة في الصفحة 305 يشير للخلافة.

والوارد بزاويته، فتوفي الشيخ ركن الدين وأوصى بمكانه من الزاوية لحفيده الشيخ هود، ونازعه في ذلك ابن أخي الشيخ ركن الدين، وقال : أنا أحق بميراث عمي، فقدما على السلطان وهو بدولة آباد، وبينها وبين مُلتان ثمانون يوماً فأعطى السلطان المشيخة لهود حسبما أوصى له الشيخ، وكان كهلاً وكان ابن أخي الشيخ فتى، وأكرمه السلطان وأمر بتضييفه في كل منزل يحله 304/3 وأن يخرج إلى لقائه أهل كل بلد يمر به إلى مُلتان وتصنع له فيه دعوة.

فلما وصل الأمر للحضرة خرج الفقهاء والقضاة والمشائخ والأعيان للقائه، وكنت فيمن خرج إليه، فلقيناه وهو راكب في دولة يحملها الرجال وخيله مجنوبة، فسلمنا عليه وأنكرت أنا ما كان من فعله في ركوبه الدولة، وقلت : إنما كان ينبغي له أن يركب الفرس ويساير من خرج للقائه من القضاة والمشائخ، فبلغه كلامي، فركب الفرس واعتذر بأن فعله أولاً كان بسبب ألم منعه عن ركوب الفرس، ودخل الحضرة وصنعت له بها دعوة أنفق فيها من مال السلطان عدد كثير وحضر القضاة والمشائخ والفقهاء والأعزة ومُدّ السماط وأتوا بالطعام على العادة. ثم أعطيت الدراهم لكل من حضر على قدر استحقاقه فأعطى قاضي القضاة خمسمائة دينار، وأعطيت أنا مايتين وخمسين ديناراً، وهذه عادة لهم في الدعوة 305/3 السلطانية ثم انصرف الشيخ هود إلى بلده ومعه الشيخ نور الدين الشيرازي بعثه السلطان ليُجلسه على سجادة جده بزاويته، ويصنع له الدعوة من مال السلطان هنالك، واستقر بزاويته وأقام بها أعواما ثم إن عماد الملك أمير بلاد السند كتب إلى السلطان يذكر أن الشيخ وقرابته **يشتغلون** بجمع الأموال وإنفاقها في الشهوات ولا يُطعمون أحداً **بالزاوية، فنفذ الأمرُ بمطالبتهم** بالأموال، فطلبهم عماد الملك بها، وسجن بعضهم وضرب بعضاً 306/3 وصار يأخذ منهم **كل يوم** عشرين ألف دينار مدة أيام حتى استخلص ما كان عندهم ووُجد لهم كثير من الأموال والذخائر من جملتها نعلان مرصعان بالجوهر والياقوت بيعا بسبعة آلاف دينار قيل : إنهما كانا لبنت الشيخ هود، وقيل لسرّيّةٍ له، فلما اشتدت الحال على الشيخ هرب يريد بلاد الأتراك، فقبض عليه، وكتب عماد الملك بذلك إلى السلطان فأمره أن يبعثه ويبعث الذي قبض عليه كلاهما في حكم الثقاف، فلما وصلا إليه سرح الذي قبض عليه، وقال الشيخ هود : أين أردت أن تفر ؟ فاعتذر بعُذر، فقال له السلطان إنما أردت أن تذهب إلى الأتراك فتقول : أنا ابن الشيخ بهاء الدين زكرياء. وقد فعل السلطان معي 307/3 كذا وتأتي لقتالنا، اضربوا عنقه، فضربت عنقه رحمه الله تعالى!



وهو راكب في دولة يحملها الرجال – عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M39382

• ذكر سجنه لابن تاج العارفين وقتله لأولاده

وكان الشيخ الصالح شمس الدين ابن تاج العارفين ساكنًا بمدينة كُول (100) منقطعًا للعبادة، كبير القدر، ودخل السلطان إلى مدينة كُول، فبعث عنه فلم يأته، فذهب السلطان إليه، ثم لما قارب منزله انصرف، ولم يره.

واتفق بعد ذلك أن أميرًا من الأمراء خالف على السلطان ببعض الجهات وبايعه الناس فنُقل للسلطان أنه وقع ذكر هذا الأمير بمجلس الشيخ شمس الدين فأثنى عليه وقال : إنه يصلح للملك، فبعث السلطان بعض الأمراء إلي الشيخ فقيَّده وقيد أولاده وقيد قاضي كول ومُحْتسِبها (101) لأنه ذكرانَّهما كانا حاضرين للمجلس الذي وقع فيه ثناء الشيخ على الأمير المخالف، وأمر بهم فسجنوا جميعًا بعد أن سمل عيني القاضي وعيني المحتسب! ومات الشيخ بالسجن !

308/3

وكان القاضي والمحتسب يخرجان مع بعض السجانين، فيسألان الناس، ثم يُردان إلى السجن، وكان قد بلغ السلطان أن أولاد الشيخ كانوا يخالطون كفار الهنود وعصاتهم ويصحبونهم، فلما مات أبوهم أخرجهم من السجن، وقال لهم : لا تعودوا إلى ما كنتم تفعلون ! فقالوا له : ومافعلنا ؟ فاغتاظ من ذلك، وأمر بقتلهم جميعاً! فقُتلوا ثم استحضر القاضي المذكور، فقال : أخبرني بمَن كان يرى رأى هؤلاء الذين قتلوا ويفعل مثل أفعالهم ! فأملى أسماء رجال كثيرين من كبار البلد، فلما عرض ما أملاه على السلطان، قال : هذا يجب أن يخرّب البلد! اضربوا عنقه ! فضربت عنقه، رحمه الله تعالى (102).

309/3

ذكر قتله للشيخ الحيدري

وكان الشيخ علي الحيدري ساكنا بمدينة كنباية من ساحل الهند، وهو عظيم القدر شهير الذكر، بعيد الصيت، ينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة، وإذا قدموا بدءوا بالسلام عليه، وكان يكاشف بأحوالهم، وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه، فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر له وأمر بالوفاء به، واتفق له ذلك مرات واشتهر به.

310/3

---

(100) كُول coûl, coel, couil هي المدينة الحالية (Aligarh)، على بعد 75 ميلا جنوب شرق دهلي ... وقد زرت جامعتها وحضرت مجلس الأساتذة بها في أبريل 1975.

(101) حول المحتسب – يراجع III 184, .

(102) يراجع التعليق 86 .

فلما خالف القاضي جلال الأفغاني وقبيلته بتلك الجهات (103) بلغ السلطانَ أن الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال وأعطاه شاشيته من رأسه (104) وذُكر أيضا أنه بايعه، فلما خرج السلطان إليهم بنفسه وانهزم القاضي جلال خلّف السلطان شرَف الملك أمير بَخت أحد الوافدين معنا عليه، بكَنباية، وأمره بالبحث عن أهل الخلاف، وجعل معه فقهاء يحكم بقولهم، فأحضر الشيخ علي الحيدري بين يديه وثبت أنه أعطى للقائم شاشيته، ودعا له فحكموا بقتله، فلما ضربه السياف لم يفعل شيئا ‖ وعجب الناس لذلك، وظنوا أنه يعفى عنه بسبب ذلك فأمر سيافا آخر بضرب عنقه فضربها، رحمه الله تعالى! 311/3

ذكر قتله لطوغان وأخيه

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغانة (105) فوفدا على السلطان فأحسن إليهما وأعطاهما عطاءاً جزيلاً، وأقاما عنده مدة، فلما طال مقامهما أراد الرجوع إلى بلادهما وحاولا الفرار، فوشى بهما أحد أصحابهما إلى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسِّطا! وأعطى للذي وشى بهما جميع مالهما، وكذلك عادتهم بتلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقُتل أعطى مالَه ‖ 312/3

ذكر قتله لابن ملك التجار

وكان ابن التجار شاباً صغيرًا لانبات بعارضيه، فلما وقع خلاف عين المُلك وقيامه وقتاله للسلطان، كما سنذكره (106)، غلب على ابن ملك التجار هذا، فكان في جملته مقهورا فلما هزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فأمر بهما فعلّقا من أيديهما في خشب، وأمر أبناء الملوك فرموهما بالنُّشاب حتى ماتا! ولما ماتا قال الحاجب خواجة أمير علي التَّبريزّي لقاضي القضاة كمال الدين : ذلك الشابُّ لم يجب عليه القتل، فبلغ ذلك السلطان، فقال : هلا قلت هذا قبل موته ؟ وأمر به فضرب مائتي مقرعة أو نحوها! وسجن وأعطى جميع ماله ‖ لأمير السيافين، فرأيته في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننتُ أنه هو! 313/3

وأقام بالسجن شهورًا ثم سرحه ورده إلى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانيةً ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة، وكتب إليه يستعطفه فوقّع له على ظهر كتابه : أكَرْبازْ امَدي بازْ (آى) : معناه إن كنت تُبت فارجعْ، فرجع إليه.

(103) تقدّم إلى III, 362-363.

(104) يراجع II, 48.

(105) كلمة (فرغانة) التي تردد ذكرها في كتب الفقه والأدب : (من غانة (بأفريقيا) إلى فرغانة (بآسيا) هذا الموقع الجغرافي يعني مدينة واسعة فيما وراء النَّهر(LA TRANSOXIANE) متاخمةً لبلاد تركستان...

(106) تقدم إلى III, 340-353.

ذكر ضربه لخطيب الخطباء حتى مات

وكان قد وَلّي خطيب الخطباء بدهلى النظر في خزانة الجواهر في السفر فاتفق أن جاء سراق الكفار ليلاً فضربوا على تلك الخزانة 314/3 وذهبوا بشيءٍ منها فأمر بضرب الخطيب حتى مات رحمه الله تعالى !.

ذكر تخريبه لدهلى ونفي أهلها وقتل الأعمى والمقعد

ومن أعظم ما كان يُنقم على السلطان إجلاؤه لأهل دهلى (107) عنها، وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبّه ويختمون عليها ويكتبون عليه : وحق رأس خوند عالَم ما يقرأها غيره ! ويرمونها بالمشور ليلاً فإذا فضها وجد فيها شتمه وسبه، فعزم على تخريب دهلى، واشترى من أهلها جميعًا دورهم ومنازلهم ودفع لهم ثمنها، وأمرهم بالانتقال عنها إلى دَولة آباد، فأبوا ذلك 315/3 فنادى مناديه أن لا يبقى بها أحد بعد ثلاث، فانتقل معظمهم واختفى بعضهم في الدور، فأمر بالبحث عمن بقي بها فوجد عبيدُه بأزقتها رجلين أحدهما مقعد والآخر أعمى، فأتى بهما، فأمر بالمقعد فرمى به في المنجنيق، وأمر أن يجر الأعمى من دهلي إلى دولة آباد مسيرة أربعين يومًا، فتمزق في الطريق ووصل منه رجله!

ولما فعل ذلك خرج أهلها جميعا وتركوا أثقالهم وأمتعتهم وبقيت المدينة خاوية على عروشها (108)، فحدثني من أثق به، قال : صعد السلطان ليلة إلى سطح قصره فنظر إلى دهلي، وليس بها نار ولا دخان ولا سراج، فقال : الآن طاب قلبي، وتهدّن 316/3 خاطري! ثم كتب إلى أهل البلاد أن ينتقلوا إلى دهلي لِيُعمروها فخربت بلادُهم ولم تُعمر دهلي لاتساعها وضخامتها، وهي من أعظم مدن الدنيا وكذلك وجدناها لما دخلنا إليها خاليةً ليس بها إلاَّ قليل عمارة.

وقد دكرنا كثيرا من مآثر هذا السلطان، ومما نُقم عليه أيضا فلنذكر جملا من الوقائع والحوادث الكائنة في أيامه.

(107) محاولة نقل العاصمة من دهلي إلى دولة أباد (Dawlatabad) تكررت مرتين، أول مرة عام 727 = 1327 بعد ثورة كُوشْتَشب (Cushtashb) عندما فضَّل محمد بن تغلق الإقامة في عاصمة تتمتع بموقع أكثر تمركزا، أعطى أمره لرجال القصر ولعِلْية الموظفين وكبار الولاة الإقليميين لكي ينتقلوا إليها أو يُسكنوا أهاليَهم بها، أما المرة الثانية فقد كانت عام 730 = 1329 عندما أعطى الحاكم – وقد أقلقته شكاوي الناس في دهلي – أمْرَه بالهجرة الجماعية حيث بنى مدينة جديدة : جَهان بَّاناه (147, III).

(108) ورد وصف هذه الظروف ومضاعفاتها من لدن مهدي حسين في كتابه عن محمد بن تغلق : The Rise and Fall of Muhammad bin Tughluq - London 1918 p. 108-23.

الفصل الثالث عشر

تاريخ مملكة محمد ابن تغلق

تاريخ مملكة محمد ابن تغلق

- استضافة السلطان محمد شاه ووالدتِه لابن بطوطة
- وفاة بنت ابن بطوطة
- احسان السلطان في غيابه لابن بطوطة
- عطاءات السلطان لابن بطوطة
- خروج السلطان إلى الصيد وهدايا ابن بطوطة له
- خروج السلطان وأمره لابن بطوطة بالبقاء في دهلي
- خروج ابن بطوطة إلى هزار وأمروها
- رجوع السلطان وإرسال ابن بطوطة للصين.

ذكر ما افتتح به أمره أوّلَ ولايته من منِّه على بَهَادُور بُورَه

ولمّا وَلِيَ السّلطان الملك بعد أبيه وبايعه الناس أحضر السلطان غياث الدين بهادور بُورَه (1) الذي كان أسره السلطان تُغلق، فمنّ عليه وفكّ قيوده وأجزل له العطاء من الأموال والخيل والفيلة ‖ وصرفه إلى مملكته (2)، وبعث معه ابنَ أخيه بهرام (3) خان، وعاهده على أن تكون تلك المملكة مشاطرةً بينهما، وتكتب أسماؤهما معاً في السكّة، ويخطب لهما، وعلى أن يصرف غياث الدّين ابنه محمّداً المعروف ببَرْباط يكون رهينة عند السلطان (4) فانصرف غياث الدين إلى مملكته والتزم ما شرط عليه الاّ أنّه لم يبعث ابنه وادّعى انّه امتنع وأساء الأدب في كلامه فبعث السلطان العساكر إلى ابن أخيه ابراهيم خان، وأميرهم دُلْجِي التتريّ (5)، فقاتلوا غياث الدين فقتلوه وسلخوا جلده وحشى بالتبن وطيف به على البلاد ‖ .

317/3

318/3

ذكر ثورة ابن عمّته وما اتّصل بذلك

وكان للسلطان تُغلق ابن اخت يسمّى بهاء الدين كُشْت اسْب، بضمّ الكاف وسكون الشين المعجم وتاء معلوّة واسب بالسين المهمل والباء الموحدة مسكّنين، فجعله أميراً ببعض النواحي (6)، فلمّا مات خاله امتنع من بيعة ابنه وكان شجاعاً بطلاً فبعث السلطان إليه العساكر فيهم الأمراء الكبار مثل الملك مجير والوزير خواجة جهان (7) أمير على الجميع، فالتقى الفُرسان واشتدّ القتال، وصبر كِلاَ العسكرين، ثمّ كانت الكرّة لعسكر السلطان، ففرّ

---

(1) للتّذكير في غياث الدين بها دور، والحملة العسكرية لعام 724=1324 يراجع ج III 179-210.

(2) سمي غياث الدين بها دور ملكاً على البنغال الشرقية، وعاصمتها صونارگاون (Sonargaon) – أخو غياث الدين ناصر الدين ابراهيم احتفظ بالبنغال الغربية وعاصمتها لاخْنَوتي (Lakhnawti) إلى عام 726=1326، أما البنغال الجنوبية فقد كانت مُدارةً بصفة مباشرة من ساطْگاون (Satgaon) من لدن بعض الحكام منذ بداية سلطنة محمد ابن تغلق...

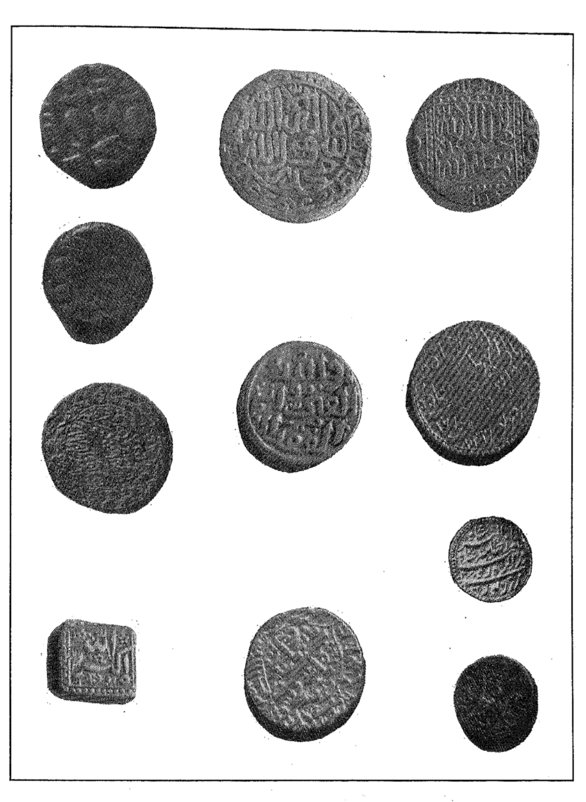
(3) في مطبوع الناشرَيْن الفرنسيين يوجد ابراهيم اعتماداً على مخطوطة خاطئة، وقد اقتفى اثرهما سائر الناشرين اللاحقين ! ومن المعلوم أن المخطوطات الأخرى بما فيها المغربية رقم 2399 يوجد فيها بهرام وهو الصحيح – انظر III ,230.

(4) هذا الاسم محمد بربّاط مما استأثر بذكره ابن بطوطة.

(5) يذكر مهدي حسين أن محمد ابن تغلق يدعوه دِلْجَلِي تتاري، معروف بها أكثر من (تترخان) ويؤرخ هذه الارسالية العسكرية سنة 730=1330-31.

(6) بهاء الدين كُشتشب كان حاكماً لساكار (Sagar) في إقليم گولْبا ركا (Gulbarga) شمال المنطقة الحالية كارنَاطاكا (Karnataka).

(7) من أجل الملك مجير بن ذي الرجاء انظر III 230-IV ,5-6-188 ولأجل خُوَاجَه جهان انظر احمد بن اياس I، III-426 45-58-144-212-214-227-245-284.



نقود إسلامية أخرى من بلاد السند والهند

بهاء الدين إلى ملكٍ من ملوك الكفار يعرف بالرآي (8) كَنبيلة، والرآي عندهم كمثل ما هو بلسان الروم : عبارة عن السلطان، وكنبيلة اسم الاقليم الذي هو به، بفتح الكاف وسكون النون وكسر الباء الموحدة ‖ وياء ولام مفتوح (9). 319/3

وهذا الرآي له بلادٌ في جبال منيعة، وهو من أكابر سلاطين الكفار، فلمّا هرب إليه بهاء الدين اتّبعه عساكر السلطان وحصروا تلك البلاد، واشتدّ الأمر على الكافر، ونفد ما عنده من الزرع، وخاف أن يوخذ باليد، فقال لبهاء الدين : إن الحال قد بلغت لما تراه وأنا عازم على هلاك نفسي وعيالي ومن تبعني، فاذْهبْ أنت إلى السلطان فلان، لسلطان من الكفار سمّاه له، فأَقمْ عنده فإنّه سيمنعك وبعث معه من أوصله إليه.

وأمر رآي كنبيلة بنارٍ عظيمة فأججت (10) وأحرق فيها أمتعته وقال لنسائه وبناته : إنّي أريد قتل نفسي، فمن أرادت موافقتي فلتفعل، فكانت المرأة منهنّ تغتسل وتدّهن بالصندل المُقاصريّ (11) ‖ وتقبّل الأرض بين يديه وترمي بنفسها في النار حتّى هلكن جميعاً، وفعل مثل ذلك نساء امرائه ووزرائه وأرباب دولته، ومن أراد من سائر النساء، ثمّ اغتسل الرآى وادّهن بالصندل ولبس السلاح ماعدا الدرع، وفعل كفعله من أراد الموت معه من ناسه، وخرجوا إلى عسكر السلطان فقاتلوا حتّى قُتلوا جميعا، ودُخِلت المدينة فأسر أهلها وأسر من أولاد رآى كنبيلة أحد عشر ولداً، فأُتي بهم السلطان فاسلموا جميعاً وجعلهم السلطان أمراء وعظّمهم لأصالتهم ولفعل أبيهم، فرأيت عنده منهم نصراً وبخْتيار والمُهُرْدار (12)، وهو صاحب الخاتم الذي يختم به على الماء الذي يشرب السلطان منه، وكنيته أبو مسلم، وكانت بيني ‖ وبينه صحبة ومودّة. 320/3 321/3

ولّما قُتل رآى كنبيلة توجّهت عساكر السلطان إلى بلد الكافر الذي لجأ اليه بهاء الدين وأحاطوا به (13)، فقال ذلك السلطان : أنا لا أقدر على أن أفعل ما فعله رآى كنبيلة فقبض

---

(8) يلاحَظ استعمال كلمة (رآى) (Rey) في أقصى الشرق لهذا رأينا ابن بطوطة يذكر أن أصل الكلمة من بلاد الروم يعني إسبانيا ويلاحظ مع هذا استعمال القِرّة... بمعنى الحرب ج IV، ص 351.

(9) كَنْبِيلة : (Campil) مملكة هندية صغيرة تابعة في السابق ليادافاس ديوجير (Yadavas de Déogir) وتقع حول الاقليم الحالي رايشور (Raichur) في منطقة كارناطاكا (Karnataka) مباشرةً جنوب ساكار (Sagar). السلطان يسمى كامْبيليدوڤا (Kampilideva) في مصادر التاريخ الاسلامي.

(10) يتعلق الأمر بانتحارٍ طقسيٍّ يسمى جُوهَار (Jauhar) على نحو ماسَمعه الناس اليوم في آسيا وأروبا !

(11) يراجع III ,250.

(12) المُهر دار : حارس الاختَام – أخوان من هؤلاء النبلاء الهنود معتقلان في كامبيلي (Kampili)، وهَاريهَارا (Harihara) وبُوكّا (Bukka) سيرجعان نحو الجنوب لأجل أن يؤسسا إبتداء من عام 746 = 1346 الامبراطورية الهندية العظمى لفِيجَايَانَاكَارا (Vijayanagara) – وانظر III ,96.

(13) يتعلق الأمر بدون شك بسلطنة حوصله (Hoysala)، آخر السلطنات الهندية الكبرى في الجنوب التي احتفظت بنوع نسبي من الاستقلال، عاصمتها دُڤرَاسامُودرا (Dvarasamudra) توجد في الاقليم الحالي حسان (Hassan) جنوب منطقة كارْناطاكا (Karnataka). والملك المشار اليه هنا هو (ڤيرا بلاّله) (Vira Ballala) الثالث 691-741 = 1292-1342.

على بهاء الدّين وأسلمه إلى عسكر السلطان، فقيّدوه وغلّوه وأتوا به اليه، فلمّا أتي به إليه أمر بادخاله إلى قرابته من النساء فشتمْنه وبصقن في وجهه، وأمر بسلخه وهو بقيد الحياة، فسلخ وطبخ لحمه مع الأرز، وبعث لأولاده وأهله وجعل باقيه في صحفة وطرح للفيلة لتأكله، فأبت أكله ! وأمر بجلده فُحشي بالتبن وقُرن بجلد بَهَادُور بوره (14) وطيف بهما على البلاد.

322/3 فلمّا وصلا إلى بلاد السّند وأمير أمرائها يومئذ كَشْلُو ‖ خان (15) صاحب السلطان تُغلق ومُعينه على أخذ الملك، وكان السلطان يعظّمه ويخاطبه بالعمّ ويخرج لاستقباله إذا وفد من بلاده أمر كَشْلوخان بدفن الجلدين، فبلغ ذلك السلطان فشقّ عليه فعله واراد الفتك به.

• ذكر ثورة كَشْلوخان وقتله

ولمّا اتّصل بالسلطان ما كان من فعله في دفن الجلدين بعث عنه وعلم كَشلوخان أنّه يريد عقابه فامتنع وخالف وأعطى الأموال وجمع العساكر وبعث إلى الترك والأفغان وأهل خراسان، فأتاه منهم العدد الجمّ حتّى كافأ عسكرُه عسكرَ السلطان أو أربى عليه كثرة وخرج السلطان بنفسه لقتاله، فكان اللقاء على مسيرة يومين من ملتان بصحراء ‖ أبو هر (16)، 323/3 وأخذ السلطان بالحزم عند لقائه فجعل تحت الشطر عوضاً منه الشيخ عماد الدين شقيق الشيخ ركن الدين المُلتانيّ (17)، وهو حدّثني هذا وكان شبيها به، فلمّا حمى القتال انفرد السلطان في أربعة آلاف من عسكره، وقصد عسكرُ كَشْلُوخان قصدَ الشطر معتقدين أن السلطان تحته فقتلوا عماد الدين، وشاع في العسكر أنّ السلطان قتل فاشتغلت عساكر كَشلُوخان بالنهب وتفرّقوا عنه ولم يبق معه إلاّ القليل، فقصده السلطان بمَن معه فقتله وجزّ راسه، وعلم بذلك جيشه ففرّوا، ودخل السلطان مدينة مُلْتان وقبض على قاضيها كريم الدين وأمر بسلخه فسلخ، وأمر برأس كشلوخان فعُلّق ‖ على بابه، وقد رأيته معلّقا لمّا وصلت إلى 324/3 مُلتان، وأعطى السلطان للشيخ ركن الدين أخي عماد الدين ولابنه صدر الدين مائه قرية إنعاماً عليهم ليأكلوا منها ويُطعموا بزاويتهم المنسوبة لجدّهم بهاء الدين زكرياء (18) وأمر

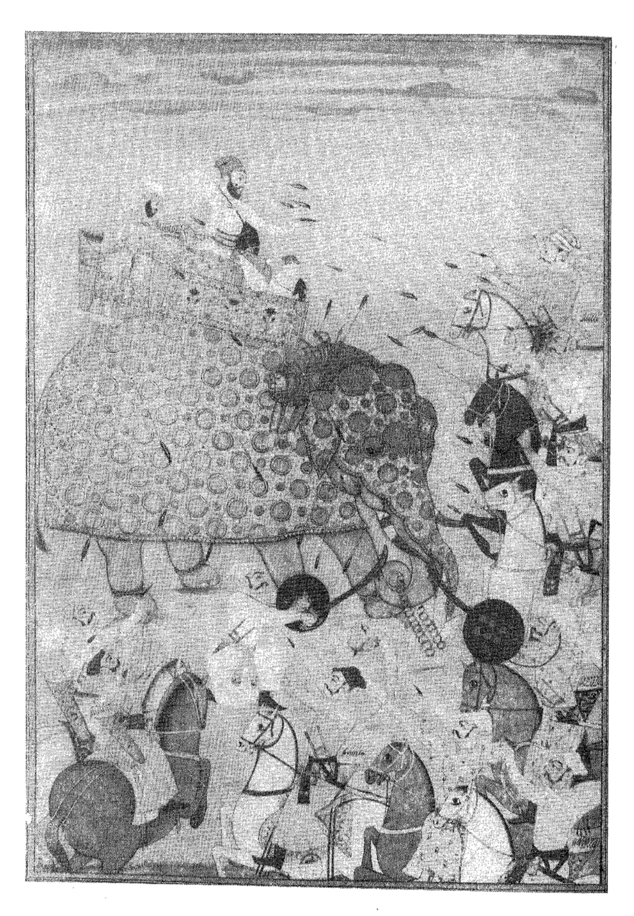
(14) يتعلق الأمر هنا بمصادفة تاريخية : غياث الدين بها دور لقى نفس المصير ثلاث سنوات فيما بعد.

(15) حول هذا السلطان – انظر I ,435-424 III 203-115، هذه الثورة التي تؤرخ بعام 728=1328، هي أيضا تنسب إلى الادارة السيئة التي أبداها كشلوخان لارسال عائلته إلى ديوجير Déogir (دولة أباد) العاصمة الجديدة.

(16) حول مدينة أبو هر انظر III 125-133-134.

(17) حول الشيخ ركن الدين انظر I ,38 III 102-120-201-213-302-303-306.

(18) السفر الأول II ,23.



إحدى المعارك - عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M 39688

السلطان وزيره خواجة جهان أن يذهب إلى مدينة كمال بور (19) وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر، وكان أهلها قد خالفوا فأخبرني بعض الفقهاء انّه حضر دخول الوزير إيّاها قال : وأحضر بين يديه القاضي بها والخطيب فأمر بسلخ جلودهما، فقالا له : أُقتُلْنا بغير ذلك، فقال لهما : بما استوجبتما القتل ؟ فقالا : بمخالفتنا أمر السلطان، فقال لهما : فكيف أخالف أنا أمره وقد أمرني أن اقتلكما بهذه القتلة، وقال || للمتولّين لسلخهما : احفروا لهما حفراً تحت وجوههما يتنفّسان فيها فانّهم اذا سلخوا، والعياذ بالله، يطرحون على وجوههم، ولّما فعل ذلك تمهّدت بلاد السند وعاد السلطان إلى حضرته. 325/3

ذكر الوقيعة بجبل قراجيل (20) على جيش السلطان

وأولُ اسمه قاف وجيم معقودة، وجبل قراجيل هذا جبل كبير يتّصل مسيرة ثلاثة أشهر، وبينه وبين دهلي مسيرة عشر، وسلطانه من أكبر سلاطين الكفار، وكان السلطان بعث ملك نُكبِية (21) رأس الدويداريّة إلى حرب هذا الجبل، ومعه مائة الف فارس، ورجّاله سواهم كثيرا فملك مدينة جِدْية (22)، وضبطها بكسر الجيم وسكون الدال المهمل وفتح الياء آخر الحروف، وهي أسفل الجبل، وملك ما || يليها وسبى وخرّب وأحرق وفرّ الكفار إلى أعلى الجبل وتركوا بلادهم واموالهم وخزائن ملكهم. 326/3

وللجبل طريق واحد، وعن أسفل منه وادٍ وفوقه الجبل فلا يجوز فيه الاّ فارس منفرد خلْفه آخر، فصعدت عساكر المسلمين على ذلك الطريق وتملّكوا مدينة وَرَنْكل (23) التي بأعلى الجبل، وضبطها بفتح الواو والراء وسكون النون وفتح الكاف، واحتووا على ما فيها وكتبوا إلى السلطان بالفتح فبعث اليهم قاضياً وخطيباً، وأمرهم بالإقامة.

فلمّا كان وقت نزول المطر غلب المرض على العسكر وضعفوا وماتت الخيل وانحلّت القِسيّ، فكتب الأمراء إلى السلطان واستأذنوه في الخروج عن الجبل والنزول إلى أسفله بخلال ما ينصرم فصل نزول || المطر فيعودون فأذن لهم في ذلك، فأخذ الأمير نُكبية الأموال 327/3

(19) كمال بّور، هناك مدينة بهذا الاسم توجد على مقربة كراتشي الحالية بيد أن التّعريف بها يظل مجهولاً عند المؤلفين من غير ابن بطوطة.

(20 هذه الكلمة : (قراجيل) تغطى مجموع الهيمَالايا Himalaya لكن الأمر يتعلق هنا على ما يبدو جدّا بالسهل الذي يقع شمال دهلي في المنطقة الحالية : هيَماشَال بْرَاديش (PRADESH) هذا وان تاريخ الحركة لم يعرف و ينبغي أن يكون فيما بين 730-733=1330-1333.

(21) (Malik Nikpay) ذكرت في بداية السفر الثاني في الفصل المعنون بالجميل والقبيح في محمد ابن تغلق...

(22) جِدْية علم جغرافي لم نقف على تحديده.

(23) ورَنْكل : مدينة أعطيت اسم رئيسها في تِلِينكانا Telingana.

التي استولى عليها من الخزائن والمعادن وفرّقها على الناس ليرفعوها ويوصلّوها إلى أسفل الجبل، فعندما علم الكفار بخروجهم قعدوا لهم بتلك المهاوي وأخذوا عليهم المضيق وصاروا يقطعون الأشجار العاديّة قطعا ويطرحونها من أعلى الجبل فلا تمرّ بأحدٍ الاّ اهلكتْه فهلك الكثير من الناس وأُسر الباقون منهم وأخذ الكفار الأموال والأمتعة والخيل والسلاح، ولم يفلت من العسكر الاّ ثلاثة من الأمراء : كبيرهم نُكبية، وبدر الدين الملك دولة شاه، وثالث لهما لا اذكره، وهذه الوقيعة أثّرت في جيش الهند أثراً كبيراً وأضعفته ضعفًا بيّناً، وصالح السلطان بعدها ‖ أهل الجبل على مال يؤدونه إليه لأن لهم البلاد أسفل الجبل ولا قدرة لهم على عمارتها إلاّ باذنه. 328/3

ذكر ثورة الشريف جلال الدين ببلاد المعبر وما اتّصل بذلك من قتل ابن اخت الوزير

وكان السلطان قد امّر على بلاد المعبر، وبينها وبين دهلي مسيرةُ ستّة آشهر، الشريف جلال الدين أحسن شاه (24)، فخالف وادّعى الملك لنفسه، وقتل نوّاب السلطان وعمّاله وضرب الدنانير والدراهم باسمه، وكان يكتب في إحدى صفحتي الدينار : (سلالة طهَ ويَس أبو الفقراء والمساكين، جلال الدنيا والدين) وفي الصفحة الأخرى الواثق ‖ (بتأييد الرحمان أحسن شاه السلطان). 329/3

وخرج السلطان لمّا سمع بثورته يريد قتاله، فنزل بموضعٍ يقال له كُشك زَر (25)، معناه قصر الذهب، وأقام به ثمانية أيّام لقضاء حوائج الناس، وفي تلك الأيّام أُتي بابن اخت الوزير خواجة جهان وأربعة من الأمراء أو ثلاثة وهم مقيّدون مغلولون وكان السلطان قد بعث وزيره المذكور في مقدّمته فوصل إلى مدينة ظِهَار (26)، وهي على مسيرة أربع وعشرين

(24) جلال الدين أحْسن الذي ثار عام 734=1334، نجح في تأسيس أول دولة إسلامية مستقلة عن دهلي، في مَادُورَا (Madura) في أقصى الجنوب الشرقي للهند. أنظر الخريطة، بيد أن هذه الدولة كانت قصيرة العمر فسقطت تحت ضربات المملكة الهندية الموجودة في ڤيجَايَاناكَارا (Vijayanagara) عام 779=1378. هذا والي بلاد المعبر ينتسب عدَد في العلماء نذكر منهم الشيخ آحمد زين الدّين المعبري المليباري المتوفى بعد سنة 991 هـ صاحب كتاب تحفة المجاهدين في احوال البرتغاليين ...

(25) كشك زر (Kushk i Zar) بمعنى قصر الذهب، المكان المعروف باسم كوشك زرد Kushik i Zard بمعنى القصر الأصفر فيقع على الخريطة الإيرانية لكنه صنّف هكذا Kiski é-Zar في كازيط ايران المنشور من لدن وزارة الدفاع، مصلحة الخرائط، واشنطون 1984. ترقب ماياتى عند عودة ابن بطوطة ووصوله إلى بلاد فارس.

(26) القصد إلى مدينة (DHAR) وتقع في إقليم يحمل نفس الاسم جنوب غربي المنطقة الحالية ماديابْراديش (Madhya Pradesh)، تاريخ ابن أخي الوزير لا يعرف فهو من المعلومات التي استأثر بها ابن بطوطة بيد أن نزول محمد ابن تغلق نحو الجنوب أعطى الإشارة لعددٍ من الثورات، كان من بينها ثورة لاهور...

من دهلي، وأقام بها أيّاما، وكان ابن اخته شجاعاً بطلاً فاتّفق مع الأمراء الذين أتي بهم على قتل خاله والهروب بما عنده من الخزائن والأموال إلى الشريف القائم ببلاد المَعْبر، وعزموا على الفتك بالوزير عند خروجه إلى صلاة الجمعة فوشى ‖ بهم أحد من ادخلوه في أمرهم إلى الوزير، وكان يسمّى الملك نُصرْة الحاجِب وأخبر الوزير أن آية ما يرومونه لُبسهم الدروع تحت ثيابهم، فبعث الوزير عنهم فوجدهم كذلك فبعث بهم إلى السلطان.

330/3

وكنت بين يدي السلطان حين وصولهم (27) فرأيت أحدهم وكان طُوَالاً أَلْحَى، وهو يُرعد ويتلو سورة يس (28)، فأمر بهم فطُرحوا للفيلة المعلّمة لقتل الناس، وأمر بابن اخت الوزير فردّ إلى خاله ليقتله، وسنذكر ذلك.

وتلك الفيلة التي تقتل الناس تُكسى أنيابُها حدائد مسنونة شبْه سكك الحرث، لها أطراف كالسّكاكين، ويركب الفيّال على الفيل، فإذا رمى بالرجل بين يديه لفّ عليه خرطومه ورمى به إلى الهواء، ثمّ يتلقّفه بنابيه ‖ ويطرحه بعد ذلك بين يديه، ويجعل يده على صدره ويفعل به ما يأمره الفيّال على حسب ما أمره السلطان، فإن أمره بتقطيعه قطّعه الفيل قِطعاً بتلك الحدائد وان امره بتركه تركه مطروحًا فسلخ، وكذلك فعل بهؤلاء !

331/3

وخرجت من دار السلطان بعد المغرب فرأيت الكلاب تأكل لحومهم وقد ملئت جلودهم بالتبن، والعياذ بالله، ولمّا تجهّز السلطان لهذه الحركة أمرني بالإقامة بالحضرة، كما سنذكره ومضى في سفره إلى أن بلغ دولة آباد فثار الأميرُ هَلاَجون ببلاده(29) ... ذلك وكان الوزير خواجة جهان قد بقي أيضا بالحضرة لحشد الحشود وجمع العساكر ‖ .

332/3

ذكر ثورة هَلاَجون

ولمّا بلغ السلطان إلى دولة آباد وبعد عن بلاده ثار الأمير هَلاَجون بمدينة لاّهور وادّعى الملك وساعده الأمير قُلْجُنْد (30) على ذلك وصيّره وزيراً له، واتّصل ذلك بالوزير خواجة جهان

(27) ابن بطوطة كان قد وصل إلى دهلي قبل مغادرة السلطان في اتجاه الغارة على مَادُورَا . يراجع III ,251.

(28) السورة 34، وتتلى عادة على الأموات نظراً لما ثبت عنها في كتب الحديث فقد روى أبو داود عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اقرؤا يس على موتاكم" وبهذا الاسم عنون البخاري والترمذي السورة في كتابي التفسير– أنظر تفسيرهم لقوله تعالى : في شغل فاكهون...

(29) هلاجون سنرى أن الامر يتعلق بأحد الذين كانوا يحكمون في (لاهور) من لدن السلطان. عند ثورته عام 735=1335 كان معززاً من لدن أحد الذين كانوا يحملون اسم كول تشاند (Gul Tchand) من قبيلة خُوكّارش (Khokars) هنا يلاحظ بياض قبل كلمة (ذلك) ولعله (خرج) أي شاع وتروّج.

(30) قلنجد : Gul chand أمير هندي (يراجع كتاب مهدي حسين حول محمد ابن تعلق) هذا ومن المحتمل أن يكون القصد بأحد الأودية إلى سوتْليتج (Sutledj) الرافد الشرقي لنهر الهندوس.

لقطات من لاهور

وهو بدهلي، فحشد الناس وجمع العساكر وجمع الخراسانيّين وكلُّ مَن كان مقيماً من الخدّام بدهلي أخذ أصحابه وأخذ في الجملة أصحابي لأنّي كنت بها مقيماً، وأعانه السلطان بأميرين كبيرين أحدهما قَيْرَان ملك صَفْدَار، ومعناه مرتّب العساكر، والثاني الملك تَمُور الشُّربدار، وهو الساقي، وخرج هلاجون بعساكر فكان اللقاء على ضفة أحد الأودية الكبار(30)، فانهزم هلاجون، وهرب وغرق كثير من عسكره في النهر، ودخل الوزير المدينة فسلخ بعض أهلها وقتل آخرين بغير ذلك من أنواع القتل، وكان الذي تولّى قتلهم محمّد بن النَّجيب نائب الوزير، وهو المعروف بأجدر ملِك، ويسمّى أيضا صكّ السلطان، والصَك عندهم الكلب وكان ظالماً قاسي القلب ويسمّيه السلطان أسد الأسواق، وكان ربّما عضَّ أرباب الجنايات بأسنانه شرهاً وعدواناً، وبعث الوزير من نساء المخالفين نحو ثلاثماية إلى حصن كالْيور (31) فسجِنَّ به ورأيت بعضهن هنالك، وكان أحد الفقهاء له فيهنّ زوجة فكان يدخل اليها حتّى ولدت منه في السجن !

333/3

ذكر وقوع الوباء في عسكر السلطان

334/3

ولّما وصل السلطان إلى بلاد التِّلنك وهو قاصدٌ إلى قتال الشريف ببلاد المعبر نزل مدينة بَدْرَكُوت، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وسكون الدال وفتح الراء وضمّ الكاف وواو وتاء معلوّة، وهي قاعدة بلاد التِّلِنك، وضبطها بكسر التاء المعلوّة واللام وسكون النون وكاف معقودة، وبينها وبين بلاد المعبر مسيرة ثلاثة أشهر، ووقع الوباء (32) اذ ذاك في عسكره فهلك معظمهم ومات العبيد، والمماليك وكبار الأمراء مثل ملك دولة شاه الذي كان السلطان يخاطبه بالعمّ ومثل أمير عبد الله الهرويّ، وقد تقدّمت حكايته في السفر الأول (33)، وهو الذي أمره السلطان أن يرفع من الخزانة ما استطاع من المال فربط ثلاث عشرة خريطة باعضاده ورفعها، ولّما رأى السلطان ما حلّ بالعسكر عاد إلى دولة آباد وخالفت البلاد وانتقضت الأطراف، وكاد الملك يخرج عن يده لولا ما سبق به القَدر من استحكام سعادته.

335/3

ذكر الإرجاف بموته وفرار الملك هُوشَنْج

ولّما عاد السلطان إلى دولة آباد مرض في طريقه فأرجف الناس بموته وشاع ذلك

(31) حول كاليور (Gwalior) انظر III ,188-194-195 وسياتي IV ,6-32-33.

(32) الوباء ربما كان ظهر في ورانكل (Warangal) التي هي عاصمة تيلينكانا. محمد بن تغلق – وقد قرر أن يعدل عن متابعة حمْلته انسحب إلى بيدار (Bidar) التي من الممكن أن تكون هي (بَدْرَكُوت) التي ذكرها ابن بطوطة هنا. بيدار تقع في إقليم يحمل نفس الاسم، وتوجد في أقصى الشمال من المنطقة الحالية لكارناطاكا KARNATAKA.

(33) أنظر II ,75.

فنشأت عنه فتن عريضة، وكان الملك هُوشنج ابن الملك كمال الدين كرْك (34) بدولة آباد، وكان بينه وبين السلطان عهد أن لا يبايع غيره أبداً لا في حياته ولا بعد موته، فلمّا أُرجف بموت السلطان هرب إلى سلطانٍ كافر يسمّى بُرَبْرة يسكن بجبالٍ مانعة بين دولة آباد وكُوكَن تانَهْ (35)، فعلم السلطان بفراره وخاف وقوع الفتنة فجدّ السير إلى دولة آباد واقتفى أثر هُوشنج وحصره ║ بالخيل، وراسل الكافر أنّ يسلّمه إليه فأبى، وقال : لا أسلّم دخيلى ولو آل بي الأمر 336/3 لما آل برآي كنبيلة (36). وخاف هُوشنج على نفسه فراسل السلطان وعاهده على أن يرحل السلطان إلى دولة آباد، ويبقى هنالك قطلو خان معلّم السلطان ليستوثق منه هو شنج وينزل إليه على الآمان، فرحل السلطان ونزل هوشنج إلى قطلو خان وعاهده أن لا يقتله السلطان ولا يحطّ منزلته، وخرج بماله وعياله وأصحابه وقدم على السلطان فسُرَّ بقدومه وأرضاه وخلع عليه.

وكان قطلوخان صاحبَ عهدٍ يستنيم الناس إليه ويعوّلون في الوفاء عليه، ومنزلته عند السلطان عليّة، وتعظيمه له شديد، ومتى دخل عليه قام له إجلالاً فكان بسبب ذلك لا يدخل ║عليه حتّى يكون هو الذي يدعوه لئلا يتعبه بالقيام له وهو محب في الصّدقات كثير الإيثار 337/3 مولع بالإحسان للفقراء والمساكين.

ذكر ما همّ به الشريف إبراهيم من الثورة ومآل حاله.

وكان الشريف إبراهيم المعروف بالخَريطة دار، هو صاحب الكاغد والأقلام بدار السلطان والياً على بلاد حَانْسِي وسَرْسَتِي لمّا تحرّك السلطان إلى بلاد المعْبر (37)، وأبوه هو القائم ببلاد المعبر الشريف أحسن شاه، فلمّا أرجف بموت السلطان طمع ابراهيم في السلطنة وكان شجاعاً كريماً حسن الصورة، وكنتُ متزوّجاً باخته حُورنَسَب، وكانت صالحة تتهجّد بالليل ولها أوراد من ║ ذكر اللّه عزّ وجلّ، وولدت منّي بنتا، ولا أدري ما فعل الله 338/3 فيهما، وكانت تقرأ لا كنها لا تكتب، فلمّا همّ ابراهيم بالثورة اجتاز به أميرٌ من امراء السند

(34) كمال الدّين كُرك (Kurg) كان جنرالاً لعلاء الدين الخلْجي. ولده هوشانج (Hushang) كان يملك عند وصول ابن بطوطة إقطاعية هانسي (Hansi) في غرب دهلي.

(35) الجبال المتحدث عنها هي جبال الغات (Ghats) الغربية الواقعة بين دولة أباد وثانا. هذه المدينة الأخيرة تقع على مقربةٍ من بومباي– أما عن العاهل الهندي فإنه لم يعرف في مصدرٍ غير مصدر ابن بطوطة.

(36) انظر III ,319.

(37) هذا الشخص سمي حاكماً لمدينة سارْسَتي (Sarsati) ومدينة حانسي (Hansi) – عن هذين المدينتين انظر III ,142-143-259، عند اتجاه محمد بن تغلق نحو مادُورا عوضاً عن هُو شنج الذي اتبع السلطان إلى دولة أباد.

معه الأموال يحملها إلى دهلي، فقال له ابراهيم : إن الطريق مخوف، وفيه القُطع، فأَقم عندي حتّى يصلح الطريق وأوصلك إلى المأمن، وكان قصده أن يتحقّق موت السلطان فيستولي على تلك الأموال، فلمّا تحقّق حياته سرّح ذلك الأمير، وكان يسمّى ضياء الملك بن شمس الملك.

ولّما وصل السلطان إلى الحضرة بعد غيبته سنتين ونصفاً وصل الشريف ابراهيم إليه فوشى به بعض غلمانه وأعلم السلطان بما كان همّ به، فأراد السلطان أن يعجل بقتله، ثمّ تانّى لمحبّته فيه، فاتّفق أن 339/3 أتى يوماً إلى السلطان بغزالٍ مذبوح فنظر إلى ذبحته فقال ليس بجيد الذكاة، أطرحوه فرآه إبراهيم فقال : إن ذكاته جيّدة وأنا أكله، فأخبر السلطان بقوله، فأنكر ذلك وجعله ذريعةً إلى أخذه فأمر به فقيّد وغلّل ثمّ قرّره على ما رُمى به من أنّه أراد أخذ الاموال التي مرّ بها ضياء الملك.

وعلم إبراهيم أنّه إنّما يريد قتله بسبب أبيه، وأنّه لا تنفعه معذرة، وخاف أن يعذّب فرأى الموت خيراً له، فأقرّ بذلك فأمِر به فوسّط، وترك هنالك، وعادتهم أنه متى قتل السلطان أحداً أقام مطروحاً بموضع قتله ثلاثاً فإذا كان بعد الثلاث أخذه طائفة من الكفّار موكّلون 340/3 بذلك فحملوه إلى خندقٍ خارج المدينة يطرحونه به، وهم يسكنون حول الخندق لئلا ياتي أهل المقتول فيرفعونه، وربّما أعطى بعضهم لهؤلاء الكفار مالاً فتجافوا له عن قتيله حتّى يدفنه، وكذلك فعل بالشريف ابراهيم، رحمه اللّه تعالى.

ذكر خلاف نائب السلطان ببلاد التِّلِنك

ولّما عاد السلطان من التّلنگ وشاع خبر موته، وكان تَرك تاج الملك نُصرة خان (38) نائباً عنه ببلاد التّلنك، وهو من قدماء خواصّه بلغه ذلك فعمل عزاء السلطان ودعا لنفسه وبايعه الناس بحضرة بدْرَكُوت، فبلغ خبره إلى السلطان فبعث معلّمه قطلوخان في عساكر 341/3 عظيمة فحصره بعد قتالٍ شديد هلك فيه أمم من الناس واشتدّ الحصار على أهل بَدْرَكوت وهي منيعة، وأخذ قطلوخان في نقبها فخرج إليه نُصْرة خان على الأمان في نفسه فأمّنه وبعث به إلى السلطان وامّن أهل المدينة والعسكر.

(38) عند انسحابه من وارناكال (Warnagal) نحو بيدار Bidar عام 735 = 1335 أكرى السلطان حُكم محافظة هذه المدينة الأخيرة لخديمه شهاب الدين نصرت خان بمبلغ عشرة ملايين تنكه وعندما وجد نصرت نفسه غير قادر حتى على أداء ربع هذا المبلغ ثار على الحكم – بيرايموس

ذكر انتقال السلطان لنهر الكَنْك وقيام عين الملك

ولّما استولى القحط (39) على البلاد انتقل السلطان بعساكره إلى نهر الكَنْك الذي تحجّ اليه الهنود، على مسيرة عشر من دهلي، وأمر الناس بالبناء، وكانوا قبل ذلك صنعوا خياماً من حشيش الارض، فكانت النّار كثيراً ما تقع فيها وتؤذي الناس حتّى كانوا يصنعون كهوفاً تحت الارض فإذا وقعت النار رموا أمتعتهم ‖ بها وسدّوا عليها بالتراب. 342/3

ووصلت أنا في تلك الأيّام لمحلّة السلطان وكانت البلاد التي بغربيّ النهر، حيث السلطان، شديدة القحط والبلاد التي بشرقيّه خصبة، وأميرها عين الملك بن ماهر (40) ومنها مدينة عَوْض (41) ومدينة ظَفَر آباد (42) ومدينة اللّكْنَو (43) وغيرها، وكان الأمير عين الملك يُحضر كلّ يوم خمسين ألف منّ، منها قمحٌ وأرز وحمّص لعلف الدوابّ فأمر السلطان أن تُحمل الفيلة ومعظم الخيل والبغال إلى الجهة الشرقيّة المخصبة لترعى هنالك، وأوصى عين الملك بحفظها.

وكان لعين الملك أربعة إخوة وهم شهر الله ونصْر الله وفضل الله ولا أذكر اسم الآخر، فاتفقوا مع أخيهم عين الملك على أنّ يأخذوا فيلة السلطان ودوابّه ويبايعوا عين الملك، ويقوموا على السلطان ‖ وهَرَب إليهم عين الملك باللّيل وكاد الأمر يتمّ لهم (44). 343/3

ومن عادة ملك الهند انّه يجعل مع كلّ أمير كبير أو صغير مملوكاً له يكون عيناً عليه ويعرّفه بجميع حاله، ويجعل أيضا جواري في الدّوريكنَّ عيوناً على أمرائه، ونسوةً يسميهنَّ الكنّاسات يدخلى الدّور بدون استئذان ويخبرهنَّ الجواري بما عندهنّ فيُخبر الكنّاسات بذلك لملك المُخبرين، فيخبر بذلك السلطانَ! ويذكرون أنّ بعض الامراء كان في فراشه مع زوجته

(39) هذه المجاعة الأكثر أهمية في التواريخ الهندية وقعت أثناء غياب السلطان في الجنوب، ودامت سبع سنوات. ولما علم السلطان محمد ابن تغلق بهذه الكارثة لم يرجع لدهلي، لكنه استقرّ ابتداء من عام 736=1336 على مقربةٍ من كانُوج (Cannaudj) في عاصمة موقتةٍ سارگادْواري (Sargadwari) – الملاصقة لاقليم أوذ (Oudh) الذي لم تمسّه المجاعة. أنظر III-295

(40) ابن ماهر هذا من أبرز الشخصيات المهمة في السلطنة، وهو فاتح إقليم مالْوه (Malwa) تحت حكم علاء الدين الخلْجي عام 705=1305 وهو صديق ورفيق سلاح لغياث الدين تُغلق.

(41) عَوْض هي أجودْيا (Ajodya) الحالية في إقليم فايزَاباد (Faizabad) على نهر غَنْغَرَا (Ghanghara).

(42) ظفر أباد : تقع في جنوب جونبّور (Junpur) على نهر گوماتي (Gomati) : رافدٍ من روافد الكانج.

(43) اللُّكنو (Lucknou) تقع بين الكانج وبين غاغْرا (Chaghra

(44) السلطان – وقد غار من قوة عَيْن المُلك في المنطقة الخصيبة أوذ (Oudh)، قرّر على ما يبدو أن ينقل عين الملك إلى داكان (Deccan) إقليم مشهور بأنه غير محكوم، وذلك ليَتَسبَّب له في الخسارة! وان هذا المخطط هو الذي كان وراء الثورة التي نادى بها عيْن المُلك !! هذه الثورة التي ينبغي أن تؤرخ في النصف الأول من عام 737=1337.

فأراد مماسّتها فحلّفته برأس السلطان أن لا يفعل، فلم يسمع منها فبعث عنه السلطان صباحاً وأخبره بذلك وكان سبب هلاكه.

344/3 وكان ‖ للسلطان مملوك يعرف بابن مَلِك شاه هو عين على عين الملك المذكور فأخبر السلطان بفراره وجوازه النهر فسُقِط في يده وظنّ أنّها القاضية عليه لأن الخيل والفيلة والزرع كلّ ذلك عند عين الملك وعساكر السلطان مفترقة، فأراد أن يقصد حضرته ويجمع العساكر، وحينئذ يأتي لقتاله، وشاور أرباب الدولة في ذلك وكان امراء خراسان والغرباء أشدّ الناس خوفاً من هذا القائم لأنّه هِندي، وأهل الهند مبغضون في الغرباء لاظهار السلطان لهم فكرهوا ما ظهر له، وقالوا : ياخوند عالم ! إن فعلت ذلك بلغه الخبر، فاشتدّ أمره ورتّب 345/3 العساكر، وانثال عليه طلاب ‖ الشرّ ودعاة الفتن والأولى معالجته قبل استحكام قوّته.

وكان أوّل من تكلّم بهذا ناصر الدين مطهّر الأوهريّ ووافقه جميعهم فعمل السلطان بإشارتهم وكتب تلك الليلة إلى من قرب منه من الأمراء والعساكر فأتوا من حينهم وأدار في ذلك حيلة حسنة، فكان إذا قدم على محلّته مثلاً مائة فارس بعث الآلاف من عنده للقائهم ليلاً، ودخلوا معهم إلى المحلّة كأن جميعهم مددٌ له.

وتحرّك السلطان مع ساحل النهر ليجعل مدينة قنّوج (45) وراء ظهره، ويتحصّن بها لمنعتها وحصانتها وبينها وبين الموضع الذي كان به ثلاثة أيّام فرحل أوّل مرحلة وقد عبّأ 346/3 جيشه للحرب وجعلهم صفّاً واحداً عند نزولهم ‖ كلّ واحد منهم بين يديه سلاحُه وفرسه إلى جانبه، ومعه خباء صغير يأكل به ويتوضّأ ويعود إلى مجلسه، والمحلّة الكبرى على بعد منهم ولم يدخل السلطان في تلك الأيّام الثلاثة خباء، ولا استظلّ بظلٍّ.

وكنت في يومٍ منها بخبائي فصاح بي فتى من فتياني اسمه سنبل واستعجلني وكان معي الجواري، فخرجت إليه، فقال : إن السلطان امر الساعة أن يقتل كلّ من معه امرأته أو جاريته، فشفع عنده الامراء، فأمر أن لا تبقى الساعة بالمحلّة امرأة وان يُحملن إلى حصنٍ هنالك على ثلاثة أميال يقال له كَنْبِيل (46)، فلم تبق امرأة بالمحلّة ولا مع السلطان.

347/3 وبتنا تلك الليلة على تعبئةٍ فلمّا كان في اليوم الثاني رتّب السلطان عسكره ‖ أفواجاً وجعل مع كلّ فوج الفيلة المدرّعة، عليها الأبراج فوقها المقاتلة وتدرّع العسكر وتهيّئوا للحرب،

(45) قنُّوج (Kannaudj) تقع في إقليم فاتيهْگار Fatéhgarh على بعد 180 ميلا جنوب الشرقي لدهلي.

(46) كنْبيل (Kanbil) يقع على بعد 28 ميلاً شمال فاتيهْگاره (Fatehgarh) حيث بني غياث الدين حصنا له هناك. وكان محمد ابن تغلق انسحب من الشرق نحو قنُّوج. هذا ويلاحظ أن كنبيل لا يمكن أن تكون على بعد ثلاثة أميال.

وباتوا تلك الليلة على أهبة ولمّا كان اليوم الثالث بلغ الخبر بأن عين الملك الثائر أجاز النهر فخاف السلطان من ذلك وتوقّع انّه لم يفعله الاّ بعد مراسلة الامراء الباقين مع السلطان، فأمر في الحين بقسم الخيل العتاق على خواصّه وبعث لي حظّاً منها، وكان لي صاحب يسمّى أمير أميران الكرمانّي من الشجعان، فأعطيته فرساً منها أشهب اللون فلمّا حرّكه جمح به، فلم يستطع إمساكه ورماه عن ظهره فمات رحمه الله تعالى.

وجدّ السلطان ذلك اليوم في مسيره، فوصل بعد العصر إلى مدينة قَنّوج وكان يخاف أن ‖ يسبقه القائم اليها وبات ليلته تلك يرتّب الناس بنفسه ووقف علينا ونحن في المقدمة مع ابن عمّه ملك فيروز ومعنا الامير غَدا ابن مهنّى (47) والسيّد ناصر الدين مطهّر وامراء خراسان، فأضافنا إلى خواصّه وقال : أنتم أعزّة عليّ ما ينبغي أن تفارقوني، وكان في عاقبة ذلك الخير فإن القائم ضرب في آخر الليل على المقدمة، وفيها الوزير خواجة فقامت ضجّة في الناس كبيرة فحينئذ أمر السلطان أن لا يبرح أحد عن مكانه ولا يقاتل الناس الاّ بالسيوف فاستلّ العسكر سيوفهم ونهضوا إلى اصحابهم وحمى القتال، وأمر السلطان أن يكون شِعارُ جيشه دهلي وغزنة، فإذا لقى أحدهم فارسا قال له : دهلي، فإن أجابه بغزنة علم أنّه من أصحابه والاّ قاتله.

348/3

وكان القائم إنّما قصد أن ‖ يضرب على موضع السلطان فاخطأ به الدليل فقصد موضع الوزير فضرب عنق الدّليل.

349/3

وكان في عسكر الوزير الأعاجم والترك والخراسانيّون، وهم أعداء الهنود فصدقوا القتال وكان جيش القائم نحو الخمسين الفاً فانهزموا عند طلوع الفجر وكان الملك إبراهيم المعروف بالبَنْجِيّ، بفتح الباء الموحدة وسكون النون وجيم، التتريّ قد اقطعه السلطان بلاد سُنديلة وهي قرية من بلاد عيْن الملك فاتّفق معه على الخلاف وجعله نائبه وكان داودُ بن قطب الملك وابن ملك التجار على فيلة السلطان وخيله فوافقاه أيضاً وجعل داود حاجبه.

وكان داود هذا لمّا ضربوا على محلّة الوزير يجهر بسبّ السلطان ويشتمه أقبح ‖ شتم، والسلطان يسمع ذلك ويعرف كلامه، فلمّا وقعت الهزيمة قال عين الملك لنائبه ابراهيم التتريّ : ماذا ترى يا ملك ابراهيم؟ قد فرّ اكثر العسكر وذو النجدة منهم، فهل لك أن ننجو بأنفسنا؟ فقال إبراهيم لأصحابه بلسانهم، إذا أراد عين الملك ان يفرّ فانّي سأقبض على دبّوقته، فإذا فعلت ذلك فاضربوا انتم فرسه ليسقط إلى الأرض فنقبض عليه ونأتي به السلطان ليكون ذلك كفارةً لذنبي في الخلاف معه وسببا لخلاصي، فلمّا أراد عين الملك الفرار قال له ابراهيم : إلى أين يا سلطان علاء الدين؟ وكان يسمّى بذلك، وامسك بدبّوقته وضرب

350/3

(47) حول سيف الدّين غَدَا ابن مُهنّا – انظر I ,361-III 155-181-271-279-283.

اصحابه فرسه فسقط إلى الأرض ورمى إبراهيم بنفسه عليه فقبضه وجاء أصحاب الوزير ليأخذوه ‖ فمنعهم وقال : لا أتركه حتّى أوصله للوزير أو أموت دون ذلك، فتركوه فأوصله إلى الوزير. 351/3

وكنت أنظر عند الصبح إلى الفيلة والأعلام يؤتى بها إلى السلطان ثمّ جاءني بعض العراقيّين فقال : قد قُبض على عين الملك، وأوتي به الوزير، فلم أصدقه فلم يمرّ الاّ يسير وجاءني الملك تَمور الشربدار فأخذ بيدي وقال : أبشر فقد قبض على عين الملك وهو عند الوزير فتحرّك السلطان عند ذلك ونحن معه إلى محلّة عين الملك على نهر الكنك فنهبت العساكر ما فيها، واقتحم كثير من عسكر عين الملك النهر فغرقوا، وأُخذ داود بن قطب الملك وابن ملك التجار وخلق كثير معهم، ونهبت الأموال والخيل والأمتعة.

ونزل السلطان على المجاز وجاء الوزير بعَيْن الملك، وقد أركب على ثور وهو عريان (48) ‖مستور العورة بخرقة مربوطة بحبل وباقيه في عنقه، فوقف على باب السراجة، ودخل الوزير إلى السلطان فأعطاه الشّربة عنايةً به، وجاء ابناء الملوك إلى عين الملك فجعلوا يسبّونه ويبصقون في وجهه ويصفعون أصحابه، وبعث إليه السلطانُ الملكَ الكبيرَ فقال له : ما هذا الذي فعلتَ ؟ فلم يجد جواباً، فأمر به السلطان أن يُكسى ثوباً من ثياب الزّمَّالة ! وقيّد بأربعة كبول، وغلّت يداه إلى عنقه وسلّم للوزير ليحفظه، وجاز إخوته النهر هاربين ووصلوا مدينة عَوض، فأخذوا أهلهم وأولادهم وما قدروا عليه من المال وقالوا لزوجة أخيهم عين الملك : اخلصي بنفسك‖ وبنيك معنا ! فقالت : أفلا أكون كنساءِ الكفّار اللاّئي يحرقن أنفسهنّ مع أزواجهنّ ؟ فأنا أيضا أموت لموت زوجي وأعيش لعيشه! فتركوها. 352/3 353/3

وبلغ ذلك السلطان فكان سبب خيرها وأدركته لها رقّة، وأدرك الفتى سهيلُ نصرَّ الله من أولائك الاخوة فقتله، وأُتي السلطان برأسه وأتي بام عين الملك واخته وامرأته فسُلّمن إلى الوزير وجُعلن في خباء بقرب خباء عين الملك، فكان يدخل إليهنّ ويجلس معهنّ ويعود إلى محبسه!

ولمّا كان بعد العصر من يوم الهزيمة أمر السلطان بسراح لفيف الناس الذين مع عين الملك من الزّمالة والسوقة والعبيد ومن لا يُعبأ به، وأتي بمَلِك ابراهيم البنجيّ الذي ذكرناه فقال مَلِك العسكر‖ الملك نُوَا : ياخوندا عالَم اقتلْ هذا، فانّه من المخالفين، فقال الوزير إنّه قد فدا نفسه بالقائم فعفى عنه السلطان وسرّحه إلى بلاده. 354/3

(48) يذكّرني هذا في قول المتنبي : من قصيدة أجاب بها سيف الدولة في ميافارقين بذي الحجة 353 هـ
ومَن ركبَ الثور بعْد الجوا * دِ أنكر اظلافه والغبَب !!

ولمّا كان بعد المغرب جلس السلطان ببرج الخشب وأتى باثنين وستّين رجلاً من كبار أصحاب القائم وأتى بالفيلة فطرحوا بين آيديها فجعلت تقطعهم بالحدائد الموضوعة على أنيابها وترمى ببعضهم إلى الهواء وتتلقفه، والأبواق والأنفار والطبول تضرب عند ذلك، وعيْن الملك واقف يعاين مقتلهم ويُطرح منهم عليه، ثمّ أعيد إلى محبسه وأقام السلطان على جواز النهر أياماً لكثرة الناس وقلّة القوارب، وأجاز امتعته وخزائنه على الفيلة، وفرّق الفيلة على خواصه ليجيزوا أمتعتهم ‖ وبعث إليّ بفيلٍ منها أجزت عليه رحلي. 355/3

وقصد السلطان ونحن معه، إلى مدينة بَهْرَايج (49)، وضبط اسمها بفتح الباء الموحدة وهاء مسكّن وراء والف وياء آخر الحروف مكسورة وجيم، وهي مدينة حسنة في عدوة نهر السَّرُو، وهو وادٍ كبير شديد الانحدار وأجازه السلطان برسم زيارة قبر الشيخ الصالح البطل سالار عُود (50) الذي فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة وغزوات شهيرة وتكاثر الناس للجواز وتزاحموا حتّى غرق مركب كبير كان فيه نحو ثلاثماية نفْس لم ينج منهم الاّ عربيّ من أصحاب الامير غُذا، وكنّا ركبنا نحن في مركب صغير فسلّمنا لله تعالى.

وكان العربي الذي سلم من الغرق يسمّى بسالم، وذلك اتّفاق عجيبٌ، وكان أراد أن يصعد معنا في مركبنا فوجدنا قد ‖ ركبنا النهر، فركب في المركب الذي غرق فلمّا خرج ظنّ الناس أنّه كان معنا فقامت ضجّة في أصحابنا وفي سائر الناس وتوهّموا أنّا غرقنا، ثمّ لمّا رأونا بعدُ استبشروا بسلامتنا. 356/3

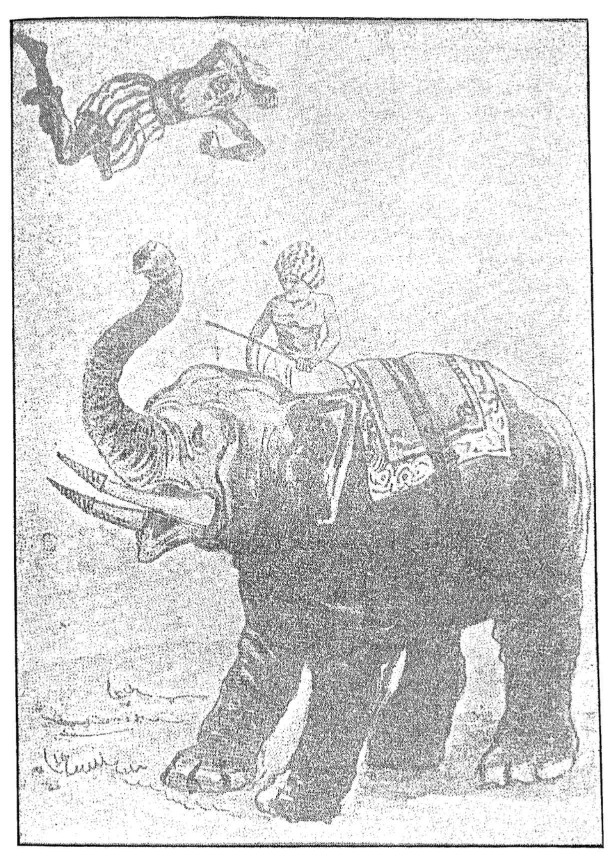
وزرنا قبر الصالح المذكور وهو في قبّةٍ لم نجدْ سبيلاً إلى دخولها لكثرة الزحام وفي تلك الوجهة دخلْنا غيضة قصب فخرج علينا منها الكَرْكَدَّن، فقُتِل، وأتى الناس برأسه، وهو دون الفيل، ورأسه أكبر من رأس الفيل بأضعاف وقد ذكرناه.

ذكر عودة السلطان لحضرته ومخالفة عليّ شاه كُر.

ولما ظفر السلطان بعَين الملك كما ذكرنا عاد إلى حضرته بعد مغيب ‖ عامين 357/3

(49) بهْرايج (Bahraich) : تقع في إقليم يحمل نفس الاسم جنوب الحدود مع النّيبال، في أُطَّار بْرَاديش (Uttar Pradesh). هذا ويلاحظ أن المدينة تقع في الشمال وليس على ساحل نهر غاغْره (Ghaghra) المسمّى هنا – على ما يظهر – السرُّو Saru (بمعنى الأصفر) بيد أن هذا الاسم يبدو أنه يُعيِّن في النّص نهر الكانج أكثر مما يُعيّن روافده الكبيرة.

(50) سالار مسعود ربما كان ابناً لأخي محمد الغزنوي، وقد قُتل في هذا المكان عام 424=1033 وسيصبح قبره مزارة مقصودة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي وسيمسي اسمه ابتداءً من هذا التاريخ معروفا باسم الغازي ميان (Miyan).



استعمال الفيل كوسيلة للفتك بأهل الجرائم... III 354

ونصف (51)، وعفى عن عيْن الملك وعفى أيضاً عن نصرة خان القائم ببلاد التّلنك وجعلهما معاً على عمل واحد، وهو النظر على بساتين السلطان وكساهما وأركبهما، وعيّن لهما نفقة من الدقيق واللحم في كلّ يوم!

وبلغ الخبر بعد ذلك أن أحد أصحاب قطلوخان وهو عليّ شاه كر (52)، ومعنى كر الأطرش خالف على السلطان وكان شجاعاً حسن الصورة والسيرة فغلب على بَدْرَكُوت وجعلها مدينة ملكه وخرجت العساكر إليه وأمر السلطان معلّمه أن يخرج إلى قتاله فخرج في عساكر عظيمة وحصَره ببدركُوت ونُقبت أبراجها واشتدّت به الحال فطلب الأمان فأمّنه قُطلوخان، وبعث به إلى السلطان مقيّداً فعفا عنه ‖ ونفاه إلى مدينة غزنة من طرف خرسان، فأقام بها مدّة ثمّ اشتاق إلى وطنه فأراد العودة اليه لما قضاه اللّه من حَيْنه، فقبض عليه ببلاد السند وأوتي به السلطان، فقال له : إنّما جئت لتثير الفساد ثانيةً وأمر به فضربت عنقه.

358/3

• ذكر فرار أمير بخت وأخذه

وكان السلطان قد وجد على أمير بخت (53) الملقّب بشرف الملك أحد الذين وفدوا معنا على السلطان فحطّ مرتّبه من أربعين ألفاً إلى ألفٍ واحد، وبعثه في خدمة الوزير إلى دهلي، واتّفق أن مات أمير عبد اللّه الهرويّ في الوباء بالتِّلِنك، وكان ماله عند أصحابه بدهلي، فاتّفقوا مع أمير بخت على الهروب فلمّا خرج الوزير من دهلي إلى لقاء السلطان ‖ هربوا مع أمير بخت وأصحابه ووصلوا إلى أرض السّند في سبعة أيّام، وهي مسيرة أربعين يوماً.

359/3

وكانت معهم الخيل مجنوبة وعزموا على أن يقطعوا نهر السند عوماً، ويركب أمير بخت وولده ومن لا يحسن العوم في مَعَدِّية قصب يصنعونها، وكانوا قد اعدّوا حبالاً من الحرير برسم ذلك فلمّا وصلوا إلى النهر خافوا من عبوره بالعوم فبعثوا رجلين منهم إلى جلال الدِّين صاحب مدينة أوجة (54)، فقالا له : إنّ هاهنا تجاراً أرادوا أن يعبروا النهر، وقد

(51) إذن حوالي أواسط سنة 737=1337.

(52) علي كَر (Ali KAR) هذا، كان مبعوثا من قبل قوطلوغ خان (Qutlugh Khan) حاكم دولة أباد، في الجنوب لجمع الضَرائب في كول باركا (Gulbarga). القوة القليلة التي توجد آنئذ في الإقليم حملت كَر (KAR) هذا على إلغاء وظيفة الحاكم الهندي من المكان وتكوين جيش بما توفّر عليه من مداخيل الاقليم واحتلال بيدار (BIDAR) ونسف حاكمه – بقية هذه المعلومات توجد عند ابن بطوطة... وهي المعلومات التي تؤكدها المصادر الموثوقة عن الهند.

(53) هذه الشخصية خليفة لاسرة آل خُذَاوَنْدزَاد (KHUDAWANDZADE) في ترمذ على ما سنرى... III, 367-368.

(54) حول أوجة (OUTCH) انظر I، 422-428 – III، 115-116.

بعثوا اليك بهذا السرج لتبيح لهم الجواز فأنكر الأمير أنْ يُعطى التجار مثل ذلك السرج وأمر بالقبض على الرجلين، ففرّ أحدهما ولحق بشرف الملك واصحابه وهم نيام لِمَا لحقهم من الإعياء ومواصلة السهر، فاخبرهم الخبر فركبوا مذعورين وفرّوا. 360/3

وأمر جلال الدّين بضرب الرجل الذي قبض عليه، فاعترف بقضيّة شرف الملك، فأمر جلال الدين نائبه فركب في العسكر وقصدوا نحْوَهم فوجدوهم قد ركبوا فاقتفوا أثرهم فأدركوهم فرموا العسكر بالنّشاب، ورمى طاهر بن شرف الملك نائبَ الأمير جلال الدين بسهم فأثبته في ذراعه وغُلب عليهم فأتى بهم إلى جلال الدين فقيّدهم وغلّ أيديهم وكتب إلى الوزير في شأنهم فأمره الوزير أن يبعثهم إلى الحضرة فبعثهم إليها، وسجنوا بها فمات طاهر في السجن، وامر السلطان أن يضرب شرف الملك مائة مقرعة في كلّ يوم فبقي على ذلك مدّة، ثمّ عفا عنه وبعثه مع الأمير نظام الدين أمير نَجْلة إلى بلاد جَنْديري (55)، فانتهت حاله إلى أن كان يركب البقر، ولم يكن له فرس يركبه ! 361/3

وأقام على ذلك مدّة، ثمّ وفد ذلك الأمير على السلطان وهو معه فجعله السلطان شاشْنكير وهو الذي يقطّع اللحم بين يدي السلطان ويمشي مع الطعام، ثمّ إنّه بعد ذلك نوّه به ورفع مقداره وانتهت حاله إلى أن مرض فزاره السلطان وأمر بوزنه بالذهب واعطاه ذلك، وقد قدّمنا هذه الحكاية في السفر الأوّل (56)، وبعد ذلك زوّجه بأخته وأعطاه بلاد جنديرى التي كان يركب بها البقر في خدمة الأمير نظام الدّين، فسبحان مقلّب القلوب ومحيّل الأحوال. 362/3

ذكر خلاف شاه أفغان (57) بأرض السند

وكان شاه أفغان خالف على السلطان بأرض مُلتان من بلاد السند وقتل الأمير بها، وكان يسمّى بِهْ زاد، وادّعى السلطنة لنفسه وتجهّز السلطان لقتاله فعلم انّه لا يقاومه فهرب ولحق بقومه الأفغان، وهم ساكنون بجبالٍ منيعة لا يقدر عليها، فاغتاظ السلطان ممّا فعله وكتب إلى عمّاله أن يقبضوا على من وجدوه من الأفغان ببلاده فكان ذلك سبباً لخلاف القاضي جلال.

(55) تقع جنديري في اقليم گونا Guna كما سيأتي IV، 41-42، انظر III، 196.

(56) انظر II، 75.

(57) يتعلّق الأمر بملك شاهو لودي Mamik Shahulodi، وهو رئيس أفغاني حرم من امتيازٍ هامٍّ كان يتمتع به في قبيلتِهِ، وتؤرخ ثورته بعام 741=1340-1341.

ذكر خلاف القاضي جلال

وكان القاضي جلال وجماعةٌ من الأفغانيّين قاطنين بمقربة من مدينة كَنباية ومدينة بُلُوذْرَة (58)، فلمّا كتب السلطان إلى عمّاله بالقبض على الأفغانيّين كتب إلى ‖ ملك مُقبل (59) 363/3 نائب الوزير ببلاد الجُزَرات، ونَهْروالة (60) أن يحتال في القبض على القاضي جلال ومن معه، وكانت بلاد بُلُوذْرة إقطاعاً لملك الحكماء، وكان ملك الحكماء متزوّجاً بربيبة السلطان زوجة أبيه تُغلق، ولها بنت من تُغلق هي التي تزوّجها الأمير غدًا، وملك الحكماء اذْ ذاك في صحبة مُقْبل، لان بلاده تحت نظرة فلمّا وصلوا إلى بلاد الجُزَرات أمر مقبل ملك الحكماء أن ياتي بالقاضي جلال وأصحابه، فلمّا وصل ملك الحكماء إلى بلاده حذّرهم في خفيّة لأنّهم كانوا من أهل بلاده، وقال : إنّ مُقبلا طلبكم ليقبض عليكم، فلا تدخلوا عليه إلاّ بالسلاح فركبوا في نحو ثلاثماية مدرّع وأتوه، وقالوا : لا ندخل الاّ جملة فظهر له انّه لا ‖ يمكن القبض عليهم، 364/3 وهم مجتمعون وخاف منهم فأمرهم بالرجوع وأظهر تأمينهم فخالفوا عليه، ودخلوا مدينة كنباية ونهبوا خزانة السلطان بها وأموال الناس ونهبوا مال ابن الكولمي التاجر وهو الذي عمَّر المدرسة الحسنة باسكندريّة، وسنذكره إثر هذا.

وجاء ملك مُقْبل لقتالهم فهزموه هزيمة شنيعة، وجاء الملك عزيز الخمّار (61) والملك جهان بُنْبُل ؟ لقتالهم في سبعة آلاف من الفرسان فهزموهم أيضا (62) وتسامع بهم أهل

---

(58) بُلُوذرة هي بروشا (Broach) الحالية على مصب وادي نارمادا (Narmada) في خليج كامبي (Cambay) وقد سميت عند الإدريسي بُروش...

(59) ملك مَقبول، هندي من فرقة البراهمة في تيلينْگانا (Tilingana) اعتنق الاسلام، شارك في قمع ثورات الجُزَرَات وأمسى من أهم الشخصيات الرئيسية للسلطنة في نهاية دولة محمد بن تغلق، سمى وزيراً أول ووصياً على السلطنة من لدن الحاكم الذي خلف محمد، تُوفى 774=1372-1373. وقد عوضه ولده في مهامّه.

(60) نهروالة (Anhilwara) العاصمة القديمة للجُزرات فتحت من لدن علاء الدّين خليجي عام 1297 م وهي بّاطِان الحالية، اليها ينتسب قطب الدّين النهروالي 900 = 1582 – III 246-279.
د. التازي : ابن ماجد والبرتغال : مجلة أرابيكا Arabica – مجلد 35-1988 ص 104-105.

(61) الخمّار (المتّجر في الخمر) المعروف أكثر تحت لقب الحِمار بسبب سمعته، كان مشهوراً بابتزازه ونهبه، أرسله السلطان ليُكوّن قواد المائة"، وهو إطار يعني إعداد طائفة من الذين يعملون على جمع الزكوات وتجعل تحت اشراف كل واحدٍ منهم مائة قرية. الأمر الذي سبب الثورة حوالي سنة 714==1344. هذه الحركات كانت بعد انصراف ابن بطوطة من دهلي وقد عرفها وسمعها عندما كان في الجنوب الهندي... ثورة جلال الدين حكيت بتفصيل من قبل المؤرخ عصامي في كتابه "فتوح السلاطين". ثورات الجزرات المرتبطة بثورات (Deccan) شغلت محمد بن تغلق طوال بقية حياته إلى أن أدركه أجله عام 752=1351.

(62) توفي عزيز الخمار في هذه المعركة التي جرت في شعبان 745 = دجنبر 1344.

الفساد والجرائم فانثالوا عليهم، وادّعى القاضي جلال السلطنة، وبايعه اصحابه وبعث السلطان اليه العساكر فهزمها وكان بدولة آباد جماعة من الأفغان فخالفوا ايضا . 365/3

• ذكر خلاف ابن الملك ملّ.

وكان ابن الملك ملّ ساكناً بدولة آباد في جماعة من الأفغان فكتب السلطان إلى نائبه بها وهو نظام الدين (63) أخو معلّمه قطْلوخان أن يقبض عليهم، وبعث اليه باحمالٍ كثيرة من القيود والسلاسل، وبعث بخلع الشتاء.

وعادة ملك الهند أن يبعث لكلّ أمير على مدينة، ولوجوه عسكره خلعتين في السّنة : خلعة الشتاء وخلعة الصيف، وإذا جاءت الخلع يخرج الأمير والعسكر للقائها فإذا وصلوا إلى الآتي بها نزلوا عن دوابّهم وأخذ كلّ واحد خلعته وحملها على كتفه وخَدَم لجهة السلطان، وكتب السلطان لنظام الدين : إذا خرج الأفغان ونزلوا عن دوابهم لأخذ الخلع فاقبض 366/3 عليهم عند ذلك.

وأتى أحد الفرسان الذين اوصلوا الخلع إلى الافغان فأخبرهم بما يراد بهم فكان نظام الدين ممّن احتال فانعكست عليه فركب وركب الأفغان معه حتّى اذا لقوا الخلع، ونزل نظام الدين عن فرسه حملوا عليه وعلى أصحابه فقبضوا عليه وقتلوا كثيراً من أصحابه ودخلوا المدينة فأخذو الخزائن وقدّموا على أنفسهم ناصر الدين (64) بن ملك ملّ وانثال عليهم المفسدون فقويت شوكتهم.

ذكر خروج السلطان بنفسه إلى كنباية

ولمّا بلغ السلطان ما فعله الأفغان بكنباية ودولة آباد خرج بنفسه (65) وعزم على أن يبدأ بكنباية ثمّ يعود إلى دولة آباد، وبعث أعظم ملك البايزيديّ صهره في أربعة آلاف 367/3 مقدّمة فاستقبلته عساكر القاضي جلال فهزموه وحصروه ببُلوذْرة وقاتلوه بها، وكان في

(63) قُطْلوغ خان حاكم دولة أباد عوض في شعبان 745 دجنبر 1344 من قبل أخيه نظام الدين الذي كان غير كفء لادارة منطقةٍ كبيرة بقدر ما هي صعبة المراس كثيرة الهيجان، وقد انضاف هذا إلى رجات عزيز الخمّار. وقد ثارت دِكّان (Deccan) بدورها، وكان أغلب "قواد المائة" أفغاناً، ولأجل هذا تحدث ابن بطوطة عن ثورات الافغان...

(64) اسماعيل مُخ (Mukh) أفغاني نودي به في دولة أباد ملكا لدكان (Deccan) تحت اسم ناصر الدين شاه عام 746=1346 وقد تخلى في السنة الموالية لصالح أحد قواد المائة يحمل اسم حسن الذي سيُتَوَّجُ تحت اسم علاء الدين بَهْمان بتأسيس الدولة البهْمانية في داكان.

(65) غادر السلطان دهلي حوالي آخر رمضان 745- آخر شهر يناير 1345 في اتجاه الجزرات حيث انفجرت الثورة الزولي، وسيموت هناك بعد ستّ سنوات قضاها في الحملة من غير أن يستطيع العودة إلى دهلي.

عسكر القاضي جلال شيخ يسمّى جلُّول (66)، وهو أحد الشجعان فلا يزال يفتك في العساكر ويقتل ويطلب المبارزة فلا يتجاسر أحد على مبارزته، واتّفق يوماً أنّه دفع فرسه فكبا به في حفرة فسقط عنه وقتل ووجدوا عليه درعين فبعثوا برأسه إلى السلطان وصلبوا جسده بسور بُلُوذْرَة وبعثوا يديه ورجليه إلى البلاد.

ثمّ وصل السلطان بعساكره فلم يكن للقاضي جلال من ثباتٍ ففرّ في أصحابه وتركوا أموالهم وأولادهم فنُهب ذلك كلّه، ودُخِلت المدينة (67) واقام بها السلطان أيّاماً ثمّ رحل عنها 368/3 وترك بها صهره شرف الملك امير بخت الذي قدّمنا ذكره وقضيّة فراره، وأخذه بالسند وسجنه وما جرى عليه من الذلّ، ثمّ من العزّ، وأمر بالبحث عمّن كان في طاعة جلال الدين، وترك معه الفقهاء ليحكم باقوالهم فأدّى ذلك إلى قتل الشيخ عليّ الحيدريّ (68) حسبما قدّمناه.

ولمّا هرب القاضي جلال لحق بناصر الدّين بن ملك ملّ بدولة آباد ودخل في جملته (69) فأتى السلطان بنفسه إليهم واجتمعوا في نحو أربعين الفاً من الأفغان والترك والهنود والعبيد وتحالفوا على أن لا يفرّوا وأن يقاتلوا السلطان، وأتى السلطان لقتالهم، ولم يُرفع الشطر الذي هو علامة عليه، فلمّا استحرّ القتال رُفع الشطر فلمّا عاينوه دهشوا وانهزموا 369/3 أقبح هزيمة ولجأ ابن ملك ملّ والقاضي جلال في نحو أربعمائة من خواصهما إلى قلعة الدُّويقير، وسنذكرها (70)، وهي من أمنع قلعة في الدنيا، واستقرّ السلطان بمدينة دولة آباد، والدُّويقير هي قلعتها، وبعث لهم أن ينزلوا على حكمه فأبوا أن ينزلوا إلاّ على الآمان فأبى السلطان أن يؤمنهم وبعث لهم الأطعمة تهاوناً بهم وأقام هنالك، وعلى ذلك آخر عهدي بهم (71).

---

(66) يسمّى جاه أفْغان عند عصامي، ولعلّ من المفيد أن نشير هنا إلى أن اسم (جلُّول) أخذ بعضُ اتباع الطريقة الجيلانية يطلقونه على بعض المنتسبين للشيخ عبد القادر الجيلاني أو الجيلالي وربما انحرف الدجلُون.

(67) قتل جاه اثناء طلعة لفرقة عسكريّة مخلصة لباروش (BARUCH) وقد شتتت جيوشه في جمادى الأولى 746 = شتنبر 1345 قبل وصول محمد ابن تغلق الذي دخل إلى كنباية (Cambay) في نونبر...

(68) الحديث عن تاريخ علي الحيدري تقدم في III، 309-311 وقد جرى هذا اذن عام 746=1345.

(69) من المعلوم بأن قواد المائة المنهزمين من طرف محمد بن تغلق في الجزرات فروا إلى دولة أباد وأسهموا في إعادة الثورة من هذا المكان. محمد بن تغلق غادر باروش (BARUCH) في محرم 747 = مايه 1346 للوصول أمام دولة أباد في أكتوبر.

(70) سيتم وصف مدينة دولة أباد... في IV، 46-51.

(71) كان على محمد بن تغلق أنْ يعود إلى الجزرات حتى يُخمِد ثورة جديدة، أمّا عن قواد المائة التابعين له والذين بقوا في المكان فقد قضى عليهم من قبل حسن الذي أعلن عن نفسه ملكا يوم 24 ربيع الثاني 748 = 3 غشت 1347. (انظر التعليق السابق 64) ذهاب السلطان يؤرخ بشهر مارس 1347 = ذي الحجة 747. هذا ويلاحظ أن اخبار ابن بطوطة الذي سيودّع قاليقوط أخيرا في اتجاه الجزيرة العربية في نهاية نفس الشهر تقف قبْل هذا بقليل...

ذكر قتال مُقبل وابن الكَوْلَمي

وكان ذلك قبل خروج القاضي جلال وخلافه، وكان تاج الدين بن الكولمي (72) من كبار
370/3 التجار فوفد على السلطان من أرض التُّرك بهدايا جليلة منها المماليك والجمال والمتاع
والسلاح والثياب، فأعجب السلطان فعلُه وأعطاه اثنى عشر لكّا، ويذكر أنّه لم تكن قيمة هديّته
الاّ لكّا واحداً، وولاّه مدينة كَنْباية، وكانت لنظر الملك مقبل نائب الوزير، فوصل إليها وبعث
المراكب إلى بلاد المليبار وجزيرة سيلان وغيرها، وجاءته التحف والهدايا في المراكب
وضخمت حاله، ولما عزم على أن يبعث أموال تلك الجهات إلى الحضرة بعث الملك مُقبل إلى
ابن الكولميّ أنْ يبعث ما عنده من الهدايا والأموال مع هدايا تلك الجهات على العادة، فامتنع
ابن الكولمي من ذلك، وقال : أنا أحملها بنفسي أو أبعثها مع خدّامي ولا حكم لنائب الوزير
371/3 عليّ ولا للوزير، واغترّ بما أولاه السلطان من الكرامة والعطيّة فكتب مقبل إلى الوزير بذلك
فوقّع له الوزير على ظهر كتابه : إن كنت عاجزاً عن بلادنا فاتركها وارجع الينا، فلمّا بلغه
الجواب تجهّز في عسكره ومماليكه والتقيا بظاهر كَنباية فانهزم ابن الكولميّ، وقُتل جماعة من
الفريقين واستخفى ابن الكولميّ في دار الناخوذة إلياس أحد كبراء التجار.

ودخل مُقبل المدينة فضرب رقاب أمراء عسكر ابن الكولميّ وبعث له الأمان على أن
ياخذ ماله المختصّ به ويترك مال السلطان وهديّته ومجبي البلد، وبعث مقبل بذلك كلّه مع
خدّامه إلى السلطان وكتب شاكياً من ابن الكولميّ، وكتب ابن الكولميّ شاكياً منه، فبعث
372/3 السلطان ملك الحكماء ليتنصّف بينهما، وبإثر ذلك كان خروج القاضي جلال الدين فنهب
مال ابن الكولميّ، وفرّ ابن الكولميّ في بعض مماليكه ولحق بالسلطان.

ذكر الغلاء الواقع بأرض الهند

وفي مدّة مغيب السلطان عن حضرته إذْ خَرج بقصد بلاد المعبر، وقع الغلاء واشتدّ
الأمر (73) وانتهى المنّ إلى ستّين درهماً، ثمّ زاد على ذلك، وضاقت الأحوال وعظم الخطب
ولقد خرجتُ مرّةً إلى لقاء الوزير فرأيت ثلاث نسوة يقطعن قطعاً من جلد فرسٍ مات منذ
أشهر ويأكلنه وكانت الجلود تطبخ وتباع في الأسواق، وكان الناس إذا ذُبحت البقر أخذوا
دماءها فأكلوها !

(72) الحديث عن هذه الشخصية وعن تاريخها مما استأثر به الرحّالة ابن بطوطة – 369، III.

(73) يراجع التعليق رقم 39 حول المجاعة التي أصابت البلاد.

373/3 وحدّثني بعض طلبة خراسان انّهم دخلوا بلدة تسمّى أكروهة (74) بين حَانْسِي ‖ وسَرْسَتِي فوجدوها خالية فقصدوا بعض المنازل ليبيتوا به فوجدوا في بعض بيوته رجلاً قد أضرم ناراً وبيده رجلُ آدميّ وهو يشويها في النار ويأكل منها والعياذ بالله !

ولمّا اشتدّت الحال أمر السلطان أن يعطى لجميع أهل دهلي نفقة ستّة أشهر فكانت القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقّة والحارات، ويكتبون الناس ويعطون لكلّ أحدٍ نفقة ستّة أشهر بحساب رطلٍ ونصف من أرطال المغرب في اليوم لكلّ واحد، وكنت في تلك المدّة أطعم الناس من الطعام الذي أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين (75)، حسبما يذكر، فكان الناس ينتعشون بذلك، والله تعالى ينفع بالقصد فيه.

374/3 وإذْ قد ذكرنا من أخبار السلطان وما كان في أيّامه ‖ من الحوادث ما فيه الكفاية فلنعد إلى ما يخصّنا من ذلك ونذكر كيفيّة وصولنا أوّلاً إلى حضرته (76) وتنقُّل الحال إلى خروجنا عن الخدمة، ثمّ خروجنا عن السلطان في الرسالة إلى الصين وعودنا منها إلى بلادنا ان شاء الله تعالى.

ذكر وصولنا إلى دار السلطان عند قدومنا وهو غائب

ولمّا دخلنا حضرة دهلي قصدنا باب السلطان ودخلنا الباب الأوّل ثمّ الثاني ثمّ الثالث ووجدنا عليه النقباء وقد تقدّم ذكرهم فلمّا وصلْنا إليهم تقدّم بنا نقيبهم إلى مشور عظيم متّسع فوجدنا به الوزير خواجة جهان ينتظرنا، فتقدّم ضياء الدين خُذَاوند زاده، ثمّ تلاه أخوه قوام الدين ثمّ أخوهما ‖ عماد الدين (77) ثمّ تلوتُهم ثمّ تلاني أخوهم برهان الدين، ثمّ 375/3

---

(74) أكْروهة (Aqruha) تُسمّى اليوم (Hisar) – ورأيت ضبطها بضم الهمزة : أُكْروهة بوزن أعجوبة.

(75) قطب الدين مبارك 1316-1320=716-720 شخصية جد محترمة من طرف محمد بن تغلق. وقد طلب إلى ابن بطوطة أن يتعهد ضريحه ويقوم بصيانته...

(76) هنا نرى ابن بطوطة يستأنف الحديث من جديد عن خط سيره الذي تركه عند بداية الحديث عن سلطنة دهلي III، 146 ليقوم بهذا الاستطراد الطويل حول اخبار السلطنة وملكها محمد ابن تغلق...

(77) كان ابن بطوطة قد لقي قبل هذا قوام الدين وإخوانه في تِرمِذ حيث كان قوام الدّين قاضياً. عائلة هذا كانت تمارس السلطة تحت سيادة المغول – III، 56-58.
لقد قام الرحالة المغربي بزيارة الهند في نفس الوقت الذي قام فيه أولئك بالزيارة، وكذلك لقيهم في ملتان وستذكر مهماتهم التشريفية...

الأمير مبارك السمرقنديّ، ثمّ أَرُن بُغاَ التركيّ (78) ثمّ ملك زادة، ابن اخت خُذاوند زادة (79)، ثمّ بدر الدين الفصّال.

ولمّا دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمّى هَزار أُسطُون ومعنى ذلك ألف سارية (80)، وبه يجلس السلطان الجلوس العامّ، فخدم الوزير عند ذلك حتّى قرب رأسه من الأرض وخَدَمْنا نحن بالركوع، وأوصلنا أصابعنا إلى الأرض وخدمتُنا لناحية سرير السلطان، وخدم جميع من معنا، فلمّا فرغنا من الخدمة صاح النقباء باصوات عالية : بسم الله، وخرجنا . 376/3

ذكر وصولنا لدار أمّ السلطان وذكر فضائلها

وامّ السلطان تُدعى المخدومة جهان، وهي من أفضل النساء، كثيرة الصدقات عمّرت زوايا كثيرة، وجعلت فيها الطّعام للوارد والصادر وهي مكفوفة البصر، وسبب ذلك انّه لمّا ملك ابنها جاء اليها جميع الخواتين وبنات الملوك والأمراء في أحسن زيّ وهي على سرير الذهب المرصّع بالجوهر فخدمن بين يديها جميعاً، فذهب بصرها للحين، وعولجت بأنواع العلاج فلم ينفع.

وولدها أشدّ الناس بروراً بها، ومن بروره أنّها سافرت معه مرّة، فقدم السلطان قبلها بمدّة فلمّا قدمت خرج لاستقبالها وترجّل عن فرسه وقبّل رجلَها وهي في المحفّة بمرأى من الناس أجمعين.

377/3 ولْنعد لما قصدناه فنقول : ولمّا انصرفنا عن دار السلطان خرج الوزير ونحن معه إلى باب الصّرف وهم يسمّونه باب الحرم، وهنالك سكنى المخدومة جهان، فلمّا وصلنا بابها نزلنا عن الدوّاب وكلٌّ واحد منّا قد أتى بهديّة على قدر حاله، ودخل معنا قاضي قضاة المماليك كمال الدّين بن البرهان، فخدم الوزير والقاضي عند بابها، وخدمنا كخدمتهم، وكتب كاتب بابها هدايانا، ثمّ خرج من الفتيان جماعة وتقدّم كبارهم إلى الوزير فكلّموه سرّاً ثم

(78) هاتان الشخصيتان كذلك تم الحديث عنهما في ملتان III، 120-121-122.

(79) يتعلق الأمر، على ما يظهر، بشخصيتين مختلفتين الأولى التي قد سبق ذكرها في ملتان الخ (121, III)، وستنعت فيما بعد بالتِّرمِذي نسبة إلى أصله تِرمذ كسائر الخُذَاوَنْدزَادية، بينما ابن أخي خُذَاوَند زاده هو المنعوت بأمير بخث الذي سيلقب بشريف الملك، وقد ذكر عدة مرات. بعد نكبةٍ عَابرةٍ أصبح ملازماً وصهراً للسلطان، وقد سمي في حنديري ثم كلف بتهدئة كنباية أثناء الثورة الأولى للجزرات – II 72-74-III 310-358-361-368-394-398.

(80) يعتبر هذا القصر من المعالم القليلة التي صمدت أثارها من التي شيدها محمد بن تغلق في مكان المدينة الرابعة القديمة المسماة (Djahanpenah) (217, III).

عادوا إلى القصر ثمّ رجعوا إلى الوزير ثمّ عادوا إلى القصر ونحن وقوف ثمّ أمِرنا بالجلوس في سقيف هنالك، ثمّ أتوا بالطعام واتو بقلالٍ من الذهب يسمّونها السُّيُن، بضمّ السين والياء آخر ‖ الحروف، وهي مثل القدور، ولها مرافع من الذهب تجلس عليها، بسمّونها السُّبُك، بضمّ السين وبضم الباء الموحدة، وأتوا بأقداح وطسوتٍ وأباريق كلّها ذهب، وجعلوا الطعام سماطين، وعلى كلّ سماطٍ صقّان، ويكون في رأس الصفّ كبير القوم الواردين. 378/3

ولمّا تقدّمنا للطعام خَدَم الحجّاب والنقباء، وخدمنا لخدمتهم، ثمّ أتوا بالشربة فشربنا، وقال الحجّاب : بسم الله، ثمّ أكلنا واتوا بالفقّاع ثمّ بالتنبول، ثمّ قال الحجّاب : بسم اللّه، فخدمنا جميعاً، ثمّ دُعينا إلى موضع هنالك فخُلع علينا خِلع الحرير المذهّبة، ثمّ أتوا بنا إلى باب القصر فخدمنا عنده، وقال الحجّاب : بسم اللّه، ووقف الوزير ووقفنا معه، ثمّ أُخرج من داخل القصر تختُ ثياب غير مخيطة ‖ من حرير وكتّان وقطن، فأعطى كلّ واحد منّا نصيبه منها، ثمّ أتوا بطيفور ذهب فيه الفاكهة اليابسة، وبطيفور مثله فيه الجلاّب وطيفور ثالث فيه التنبول. 379/3

ومن عادتهم انّ الذي يُخرَج له ذلك يأخذ الطيفور بيده ويجعله على كاهله ثمّ يخدم بيده الأخرى إلى الأرض، فأخذ الوزير الطيفور بيده قصد أن يعلمني كيف أفعل إيناسا منه وتواضعاً ومبرّة، جزاه اللّه خيراً ففعلت كفعله، ثمّ انصرفنا إلى الدار المعدّة لنزولنا بمدينة دهلي، وبمقربة من دَرْوَازة بَالِم منها (81)، وبعثت لنا الضيافة.

ذكر الضيافة

ولمّا وصلتُ إلى الدار التي أعدّت لنزولي وجدت فيها ما يُحتلج إليه من فرش وبسط وحصر واوانٍ ‖ وسرير الرُّقاد، وأسرَّتُهم بالهند خفيفة الحمل، يحمل السريرَ منها الرجُل الواحد، ولا بدّ لكلّ احد أن يستصحب السرير في السفر يحمله غلامه على رأسه وهو أربع قوائم مخروطة، يعرض عليها أربعة أعواد، وتنسج عليها ضفائر من الحرير أو القطن، فإذا نام الانسان عليه لم يحتج إلى ما يرطّبه به لأنّه يعطي الرطوبة من ذاته. 380/3

وجاءوا مع السرير بمضرَّبتين ومخدّتين ولِحاف، كلّ ذلك من الحرير وعادتهم أن يجعلوا للمضرَّبات واللّحوف وجوهاً تُغشيها من كتّان أو قطن بيضاً، فمتى توسّخت غسلوا الوجوه المذكورة وبقى ما في داخلها مصوناً.

(81) تقع هذه الدّار جنوب غربي المدينة – III، 149.

وأتوا تلك الليلة برجلين أحدهما الطاحوني وسمونه الخرّاص والآخر الجزّار ويسمّونه القصّاب، فقالوا لنا : خُذُوا من هذا كذا وكذا من ‖ الدقيق، ومن هذا كذا وكذا من اللحم، لأوزانٍ لا أذْكرها الآن. 381/3

وعادتهم أن يكون اللحم الذي يعطون بقدر وزن الدقيق، وهذا الذي ذكرناه ضيافةُ أمّ السلطان، وبعد ذلك وصلتنا ضيافة السلطان، وسنذكرها، ولمّا كان من غد ذلك اليوم ركبنا إلى دار السلطان وسلّمنا على الوزير فأعطاني بدْرتين : كلُّ بدرة من ألف دينار دراهم، وقال لي هذه سَرْشُشْتي (82) ومعناه لغسل رأسك وأعطاني خلعة من المرعزّ، وكتب جميع أصحابي وخدّامي وغلماني فجُعلوا أربعة أصناف، فالصنف الأول منها أعطى كلّ واحد منهم مائتي دينار، والصنف الثاني أعطى كلّ واحد منهم مائة وخمسين ديناراً، والصنف الثالث اعطى كلّ واحد مائة دينار، والصنف الرابع اعطى كلّ واحد خمسة وس‖بعين ديناراً، وكانوا نحو أربعين، وكان جملة ما أعطوه اربعة آلاف دينار ونيفاً. 382/3

وبعد ذلك عيّنت ضيافة السلطان، وهي ألف رطلٍ هنديّة من الدقيق، ثلثها من الميرا، وهو الدّرمك، وثلثاها من الخُشكار وهو المدهون، وألف رطل من اللحم، ومن السكّر والسمن والسليف (83) والفوفل أرطال كثيرة لا أذكر عددها، والألف من ورق التنبول، والرطل الهنديّ عشرون رطلا من أرطال المغرب، وخمسة وعشرون من أرطال مصر، وكانت ضيافة خُذا وندزادة أربعة آلاف رطل من الدقيق ومثلها من اللحم مع ما يناسبها مما ذكرناه.

ذكر وفاة بنتي وما فعلوا في ذلك.

ولمّا كان بعد شهر ونصفٍ من مقدمنا توفّيت بنت لي سنّها دون السنة (84)، فاتّصل خبر ‖ وفاتها بالوزير فأمر أن تدفن في زاويةٍ بناها خارج دروازة بالم بقرب مقبرةٍ هنالك لشيخنا ابراهيم القُونويّ، فدفنّاها بها، وكتب بخبرها إلى السلطان فأتاه الجواب في عشّى اليوم الثاني، وكان بين متصيّد السلطان وبين الحضرة مسيرة عشرة ايّام. 383/3

وعادتهم أن يخرجوا إلى قبر الميت صبيحة الثالث من دفنه ويفرشون جوانب القبر بالبسط وثياب الحرير ويجعلون على القبر الأزاهير، وهي لا تنقطع هنالك في فصلٍ من

(82) يعني لأجل الوضوء والقصد في المصطلح إلى الاكرامية... راجع 226, III.

(83) سائر النسخ التي بين أيدينا تكتب السليف بالفاء وربما كان هناك تحريف عن كلمة السليب (بالباء) (باللغة الهندية) وهو نوع من الشراب السخن الخاثر : مصنوع من مواد نباتية غنية بالمواد الغذائية.

(84) يتعلق الامر بالبنت التي ولدت في اليوم الذي وصل فيه إلى معسكر طَرْمَشِيرين في منتصف مارس 1333 = رجب 733 الامر الذي يجعل وصوله إلى دهلي في شهر يناير 1334.

الفصول كالياسمين وقُل شُبه (85)، وهي زهر أصفر، وريبول وهو ابيض، والنسرين وهو على صنفين أبيض واصفر، ويجعلون أغصان النارنج والليمون بثمارها، وان لم يكن فيها ثمار علّقوا منها حبّات بالخيوط، ويصبّون على القبر الفواكه اليابسة، وجوز النارجيل، ويجتمع 384/3 الناس ويؤتى بالمصاحف فيقرءون القرآن فإذا ختموه أتوا بماء الجلاّب فسقوه الناس، ثمّ يصبّ عليهم ماء الورد صبًا ويُعطون التنبول وينصرفون.

ولمّا كان صبيحة الثالث من دفن البنت خرجتُ عند الصبح على العادة وأعددت ما تيسّر من ذلك كلّه، فوجدت الوزير قد أمر بترتيب ذلك، وأمر بسراجة فضربت على القبر، وجاء الحاجب شمس الدين الفُوشَنْجيّ الذي تلقّانا بالسند، والقاضي نظام الدين الكَرواني، وجملة من كبار اهل المدينة ولم آت إلاّ والقوم المذكورون قد اخذوا مجالسهم والحاجب بين أيديهم وهم يقرأون القرآن، فقعدت مع أصحابي بمقربة من القبر فلمّا فرغوا من القراءة، قرأ 385/3 القراء بأصوات حسان ثمّ قام القاضي فقرأ رثاءً في البنت المتوفّاة وثناء على السلطان، وعند ذكر اسمه قام الناس جميعاً قياماً فخدموا ثمّ جلسوا ودعا القاضي دعاءً حسنا.

ثمّ اخذ الحاجب واصحابه براميل ماء الورد فصبّوه على الناس ثمّ داروا عليهم بأقداح شربة النّبات ثمّ فرقوا عليهم التنبول، ثمّ أتي بإحدى عشرة خلعة لي ولأصحابي، ثمّ ركب الحاجب وركبنا معه إلى دار السلطان فخدمنا للسّرير على العادة وانصرفتُ إلى منزلي، فما وصلت الاّ وقد جاء الطعام من دار المخدومة جهان ماملأ الدارَ ودورَ أصحابي وأكلوا جميعا وأكل المساكين وفضلت الأقراص والحلواء والنبات فأقامت بقاياها إيّاماً، وكان فعل 386/3 ذلك كلّه بامر السلطان.

وبعد ايّام جاء الفتيان من دار المخدومة جهان بالدولة (86) وهي المحفّة التي يحمل فيها النساء ويركبها الرجال أيضا وهي شبه السرير سطحها من ضفائر الحرير أو القطن وعليها عود شبه الذي على البوجات عندنا معوّج من القصب الهندي المغلوق، ويحملها ثمانية رجال في نوبتين : يستريح أربعة ويحمل أربعة، وهذه الدّول بالهند كالحمير بديار مصر، عليها يتصرّف أكثر الناس، فمن كان له عبيد حملوه ومن لم يكن له عبيد اكترى رجالاً يحملونه، وبالبلد منهم جماعة يسيرة يقفون في الأسواق، وعند باب السلطان وعند ابواب 387/3 الناس للكراء وتكون دول النساء مغشاةً بغشاء حرير، وكذلك كانت هذه الدولة التي اتى الفتيان بها من دار امّ السلطان فحملوا فيها جاريتي التي هي امّ البنت المتوفّاة، وبعثت أنا معها عن هديّة جارية تركيّة، فأقامت الجارية امّ البنت عندهم ليلة وجاءت في اليوم الثاني وقد

(85) انظر (III، 150... 86) انظر III، 304.

اعطوها الف دينار دراهم وأساور ذهب مرصّعة وتهليلاً (87) من الذهب مرصّعاً أيضا وقميص كتّان مزركشا بالذهب وخلعة حرير مذهّبة وتختاً بأثواب، ولمّا جاءت بذلك كلّه أعطيتُه لأصحابي، وللتجار الذين لهم عليّ الدّين محافظةً على نفسي وصونًا لعرضي لأنّ المخبرين يكتبون إلى السلطان بجميع أحوالي . 388/3

ذكر إحسان السلطان والوزير إليّ في ايّام غيبة السلطان عن الحضرة

وفي أثناء مقامي أمر السلطان أن يُعيّن لي من القُرَى ما يكون فائدة خمسة آلاف دينار في السنة، فعيّنها لي الوزير وأهل الديوان وخرجت إليها فمنْها قريةٌ تسمّى بَدَلِي، بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وكسر اللام، وقرية تسمّى بَسَهِي، بفتح الباء الموحدة والسين المهمل وكسر الهاء، ونصف قرية تسمّى بَلَرَة (88)، بفتح الباء الموحدة واللام والراء، وهذه القُرى على مسافة ستّة عشر كُروهًا وهو الميل بصَدِي، يعرف بصدي هِندُبت، والصَّدي عندهم مجموع ماية قرية، وأحواز المدينة مقسومة أصداء، كلّ صدِي له جَوْطري (89) وهو شيخ من كفار تلك البلاد، ومتصرف، وهو الذي يضمّ مجابيها.

389/3 وكان قد وصل في ذلك الوقت سبى من الكفار فبعث الوزير اليّ عشر جوارٍ منه فأعطيت للذي جاء بهنّ واحدة منهنّ، فما رضي بذلك ! وأخذ أصحابي ثلاثا صغارا منهن، وباقيهنّ لا أعرف ما اتّفق لهنّ، والسبى هنالك رخيصُ الثمن لانّهن قذرات لا يعرفن مصالح الحَضَر والمعلّمات رخيصات الأثمان، فلا يفتقر أحدٌ إلى شراء السبى.

والكفار ببلاد الهند في برّ متّصل وبلاد متّصلة مع المسلمين، والمسلمون غالبون عليهم، وانّما يمتنع الكفار بالجبال والأوعار، ولهم غيضاتٌ من القصب، وقصبُهم غير مجوف، ويعظم، والتفّ بعضه على بعضه على بعض ولا تؤثر فيه النّار، وله قوّة عظيمة فيسكنون تلك الغياض، وهي لهم مثل السور وبداخلها تكون مواشيهم وزروعهم، ولهم فيها المياه مما يجتمع من ماء المطر فلا يُقدَر عليهم إلاّ بالعساكر القوية من الرجال الذين يدخلون تلك الغياض ويقطعون تلك القصب بآلات معدّة لذلك. 390/3

(87) (التهليل) في الاصطلاح المغربي ظرف صغير يكون من جلد أو من معدن تجعل فيه الأغراض الثمينة كالمصحف أو نحوه، وكان مما يهدي من المغرب إلى رؤساء الدول في العصور القديمة... التاريخ الدبلوماسي للمغرب تأليف د. التازي ... ج 2 – ص 89.

(88) هذه القرى توجد دائما في الشمال والشمال الشرقي للمدينة وتكوّن جميعها الضواحي الكبرى لدهلي الجديدة – صدي : تعني مائة.

(89) جيوطري (Tchoudhri) حسب ما يستفاد من بَرَاني (BARANI) فإنه شخصية تمثل أهل البادية مكلفة بإخبار الادارة بظروفهم ومطالبهم.

ذكر العيد الذي شهدته أيام غيبة السلطان

وأظلّ عيد الفطر (90) والسلطان لم يعد بعدُ إلى الحضرة فلمّا كان يوم العيد ركب الخطيب على الفيل وقد مُهّد له على ظهره شبه السرير وركزت أربعة أعلام في أركانه الأربعة ولبس الخطيب ثياب السَّواد وركب المؤذنون على الفيلة يكبّرون أمامه وركب فقهاء المدينة وقضاتها وكلّ واحد منهم يستصحب صدقةً يتصدّق بها حين الخروج إلى المصلّى، ونُصب على المصلّى صيوان قطن وفُرش ببسط، واجتمع الناس ذاكرين لله، تعالى، ثمّ صلّى بهم الخطيب وخطب وانصرف الناس إلى منازلهم وانصرفنا إلى دار السلطان، وجُعل الطعام، فحضره الملوك والأمراء والأعزّة وهم الغرباء وأكلوا وانصرفوا. 391/3

ذكر قدوم السلطان ولقائنا له

ولما كان في رابع شوّال نزل السلطان (91) بقصر يسمّى تِلْبت (92)، بكسر التاء المعلوّة الأولى وسكون اللام وفتح الباء الموحدة ثمّ تاء كالأولى، وهي على مسافة سبعة أميال من الحضرة، فأمرنا الوزير بالخروج إليه فخرجنا، ومع كلّ إنسان هديّة من الخيل والجمال والفواكه الخراسانيّة والسيوف المصريّة والمماليك، والغَنَم المجلوبة من بلاد الأتراك، فوصلنا إلى باب القصر وقد اجتمع جميع القادمين فكانوا يُدخلون إلى السلطان على قدر مراتبهم ويخلع عليهم ثياب الكتّان المزركشة بالذهب. 392/3

ولمّا وصلت النوبة إليّ دخلت فوجدت السلطان قاعداً على كرسيّ فظننته أحد الحجّاب حتّى رأيت معه ملك النُّدماء ناصر الدين الكافيّ الهرويّ، وكنت عرفته ايّام غيبة السلطان، فخدم الحاجب فخدمت، واستقبلني أمير حاجب وهو ابن عمّ السلطان المسمّى بفيروز، وخدمت ثانية لخدمته، ثمّ قال لي ملك النُّدماء : بسم اللّه، مولانا بدر الدين، وكانوا يدعونني بأرض الهند بدر الدين وكلّ من كان من أهل الطلب إنّما يقال له مولانا، فقُربت من السلطان حتّى أخذ بيدي وصافحني وامسك يدي وجعل يخاطبني بأحسن خطاب، ويقول لي باللسان

---

(90) يوافق 4 يونيه 1334.

(91) رابع شوال يوافق 8 يونيه 1334– تزايد الضرائب في دواب (DOAB) تسبَّب في قيام ثورة بدون شك حوالي سنة 733=1333. محمد بن تغلق الذي كان في تلك الفترة أنشأ عاصمته في دولة أباد وقام هناك بحملة تأديبية أدّت إلى دمار الأقاليم التي تقع في الجنوب الشرقي لدهلي من بولاند شهر (Bulandshahr) إلى كانودج (Kannoudj).

(92) تِلْبَت : ذُكِر هذا العَلَم الجغرافي كذلك من قبل المصادر كمكان ميعاد للصيد لعلاء الدين الخلجي حيث كان الأخير على وشك أن يُغتال فيه من لدن ابن أخيه (III، 183) وهو يقع شرق دهلي بيد أن قدر المسافة يختلف من مصدر إلى آخر.

الفارسيّ : حلّت البركة، قدومك مبارك أجْمعْ خَاطرك، أعمل معك من المراحم وأعطيك من الإنعام ما يسمع به ‖ أهل بلادك فياتون إليك. ثم سألني عن بلادي فقلت له : بلاد المغرب، فقال لي : بلاد عبد المؤمن (93) ؟ فقلت له : نعم. وكان كلّما قال لي كلاما جيّداً قبّلتُ يده حتّى قبّلتُها سبع مرّات، وخلع عليّ وانصرفت. 393/3

واجتمع الواردون فمُدّ لهم سماط ووقف على رؤوسهم قاضي القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارزميّ، وكان من كبار الفقهاء، وقاضي قضاة المماليك صدر الجهان كمال الدين الغزنويّ، وعماد المُلك عَرض المماليك، والملك جلال الدين الكيجيّ (94)، وجماعة من الحجّاب والأمراء، وحضر لذلك خُذَاوندزادة غياث الدين ابن عمّ خذا وندزادة قوام الدين قاضي التّرمذ الذي قدم معنا، وكان السلطان يعظّمه ويخاطبه بالأخ وتردّد إليه مراراً من بلاده ‖. 394/3

والواردون الذين خُلع عليهم في ذلك هم خُذَا وندزادة قوام الدين وإخوته ضياء الدّين، وعماد الدين، وبرهان الدين وابن اخته أمير بخت ابن السيّد تاج الدين، وكان جدّه وجيه الدين وزير خرسان، وكان خاله علاء الدين أمير الهند ووزيرًا أيضا، والأمير هبة اللّه بن الفلكّي التبريزيّ، وكان أبوه نائب الوزير بالعراق، وهو الذي بنى المدرسة الفلكيّة بتِبريز (95)، وملك كِراي من أولاد بَهرام جُور (96) صاحب كسرى، وهو من أهل جبل بَذَخْشَان (97) الذي منه يجلب الياقوت البَلَخْش واللازورد، والأمير مبارك شاه السّمر قَندي وأرُون بُغا البخاريّ وملك زادة ‖ الترمذيّ وشهاب الدين الكازروني (98) التاجر الذي قدم من تبريز بالهديّة إلى السلطان فسُلب في طريقه. 395/3

---

(93) عبد المومن بن علي الكومي : أبو محمد أمير المومنين مؤسس دولة الموحدين المؤمنية حج والتقى بابن تومرت ... وانتهى الأمْر – بعد وفاة ابن تومرت – إلى مبايعته البيعة العامة عام 524=1129 وجاءته بيعة أهل الاندلس فخضعت له المغارب، وأنشأ الأساطيل وضرب الخراج على قبائل المغرب، أدركه أجله في رباط سلا عام 558=1163 ونقل إلى تينملّل جنوب المغرب فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة... HOPKINS : IBN SAHIB AL SALAT, ENCY. N.E.

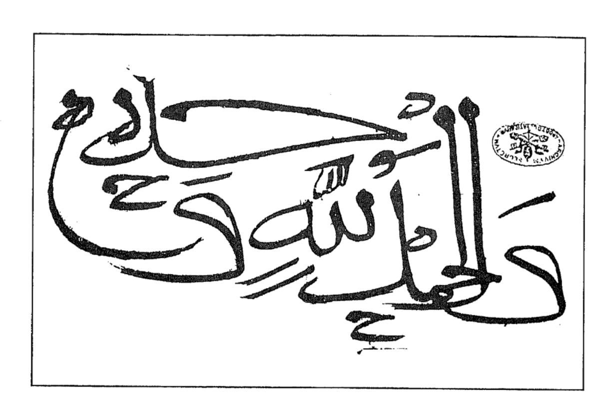
(94) جلال الدين حاكم أوجه كما تقدم III 115-116-359.

(95) المدرسة الفلكية توجد في الحقيقة بمراغة التي لاتبعد عن مدينة تبريز سوى بنحو 150 ك. م. على ماأخبرنا به رفاقنا ونحن في تبريز يوم 1996/6/5

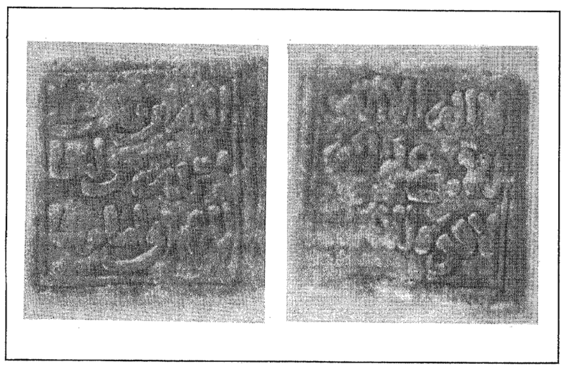
(96) بهرام گور الساساني بطل الشاهنامه : الملحمة الفارسية نظم أبي القاسم الفردوسي ترجمة الفتح البنداري، تصحيح وتعليق د. عبد الوهاب عزّام – مكتبة الأسدي – طهران 1970.

(97) حول بدخشان انظر III 59-86.

(98) حول تاريخ هذه الشخصية، انظر III 244-248.



علامة الخليفة عبد المؤمن



قيراط مومني ضرب بسبتة عثرت عليه في مدينة (مافرا) جنوب البرتغال

ذكر دخول السلطان إلى حضرته وما أمر لنا به من المراكب

وفي الغد من يوم خروجنا إلى السلطان أعطى كلّ واحد منّا فرساً من مراكب السلطان عليه سرج ولجام مُحلّيان، وركب السلطان لدخول حضرته وركبنا في مقدّمته مع صدر الجهان وزيّنت الفيلة أمام السلطان وجعلت عليها الأعلام ورفعت عليها ستّة عشر شطراً، منها مزركشة ومنها مرصّعة ورفع فوق رأس السلطان شطر منها وحملت أمامه الغاشية، وهي ستارة مرصّعة، وجعل على بعض الفيلة رعّادات صغار، فلمّا وصل 396/3 السلطان إلى قرب المدينة رُمي في تلك الرّعادات بالدّنانير والدراهم مختلطة، والمشاة بين يدي السلطان وسواهم ممّن حضر يلتقطون ذلك، ولم يزالوا ينثرونها إلى أن وصلوا إلى القصر (99) وكان بين يديه الآفٌ من المشاة على الأقدام وصنعت قباب الخشب المكسوّة بثياب الحرير وفيها المغنّيات حسبما ذكرنا ذلك.

ذكر دخولنا إليه وما أنعم به من الإحسان والولاية

ولّما كان يوم الجمعة ثاني يوم دخول السلطان أتينا باب المشور فجلسنا في سقائف الباب الثالث، ولم يكن الإذن حصل لنا بالدخول وخرج الحاجب شمس الدين الفوشنجيّ فأمر 397/3 الكتّاب أن يكتبوا اسماءنا وأذن لهم في دخولنا ودخول بعض أصحابنا وعيّن للدخول معي ثمانية، فدخلنا ودخلوا معَنا ثمّ جاءوا بالبِدَر والقَبّان، وهو الميزان، وقعد قاضي القضاة والكتّاب ودعوا مَن بالباب من الأعزّة، وهم الغرباء، فعيّنوا لكلّ إنسان نصيبه من تلك البِدَر فحصل لي منها خمسة آلاف دينار، وكان مبلغ المال مائة ألف دينار تصدّقتْ به امّ السلطان لّما قدِم ابنها، وانصرفنا ذلك اليوم.

وكان السلطان بعد ذلك يستدعينا للطّعام بين يديه ويسأل عن أحوالنا ويخاطبنا بأجمل كلام، ولقد قال لنا في بعض الأيام : انتم شرّفتمونا بقدومكم فما نقدر على مكافأتكم، فالكبير منكم مقام والدي والكهل مقام أخي 398/3 والصغير مقام ولدي، ومافي ملكي أعظم من مدينتي هذه أعطيكم إيّاها ! فشكرناه، ودعونا له، ثمّ بعد ذلك أمَر لنا بالمرتّبات فعيّن لي اثنى عشر ألف دينار في السنة وزادني قريتين على الثلاث التي أمر لي بها قبل، إحداهما قرية جَوْزَة والثانية قرية مَلِك بُور.

وفي بعض الأيّام بعث لنا خذا وندزاده غياث الدين وقطب الملك صاحب السند فقالا لنا : إن خوند عالم يقول لكم : مَن كان منكم يصلح للوزارة أو الكتابة أو الامارة أو القضاء

(99) كان مثل هذه المعلومات الطريفة مما لم تتسع له صدور خصوم الرحالة المغربي !!

أو التدريس أو المشيخة أعطيته ذلك ! فسكت الجميع لأنّهم كانوا يريدون تحصيل الأموال والانصراف إلى بلادهم ! وتكلّم أمير بخت ابن السيّد تاج الدين الذي تقدّم ذكره، فقال : أمّا الوزارة فميراثي، وأمّا الكتابة فشغلي، وغير ذلك لا أعرفه، وتكلّم هبة اللّه ابن الفلكيّ فقال مثل ذلك، وقال لي خُذَا وندْزادة بالعربيّ : ما تقول أنت ياسيّدي ؟ وأهل تلك البلاد لا يدعون العربيّ الاّ بالتّسويد، وبذلك يخاطبه السلطان تعظيماً للعرب، فقلت له : أمّا الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأمّا القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي، وامّا الامارة فتعلمون أن الأعاجم ما أسلمت إلاّ بأسياف العرب ! فلما بلغ ذلك إلى السلطان أعجبه كلامي. وكان السلطان بهزار أُسْطون يأكل الطعام فبعث عنّا فأكلنا بين يديه وهو يأكل، ثم انصرفنا إلى خارج هَزَار اسطون وقعد أصحابي، وانصرفت بسبب دُمّل كان يمنعني الجلوس فاستدعانا السلطان ثانية فحضر أصحابي واعتذروا عنّي، وجئت بعد صلاة العصر فصلّيت بالمشور المغربَ والعشاء الآخرة.

399/3

400/3

ثمّ خرج الحاجب فاستدعانا فدخل خُذَاوند زادة ضياء الدين، وهو أكبر الإخوة المذكورين فجعله السلطان أمير داد (100)، وهو من الأمراء الكبار فجلس بمجلس القاضي، فمن كان له حق على أمير أو كبير أحضره بين يديه، وجعل مرتّبه على هذه الخطّة خمسين ألف دينار في السنة، عيّن له مجاشر (101) فائدها ذلك المقدار، فأمر له بخمسين ألفاً عن يدٍ، وخلع عليه خلعة حرير مزركشة تسمّى صورة الشير، ومعناه صورة السبع لأنّه يكون في صدرها وظهرها صورة سبع، وقد خيط في باطن الخلعة بطاقة بمقدار مازُرْكِش فيها من الذّهب، وأمر له بفرسٍ من الجنس الأوّل، والخيل عندهم أربعة اجناس، وسروجهم كسروج أهل مصر، ويكسون أعظمها بالفضّة المذهّبة.

401/3

ثمّ دخل أمير بخت فأمره أن يجلس مع الوزير في مسنده، ويقف على محاسبات الدّواوين، وعيّن له مرتّباً أربعين الف دينار في السنة، أعطى مجاشر فائدُها بمقدار ذلك، وأعطى أربعين ألفاً عن يد، وأعطى فرساً مجهّزاً، وخُلع عليه كخلعة الذي قبله، ولقّب شرف الملك.

ثمّ دخل هبة اللّه ابن الفلكي فجعله رَسُول دار (102)، ومعناه حاجب الأَرسال وعيّن له مرتباً أربعة وعشرين الف دينار في السنة، أعطي مجاشر يكون فائدها بمقدار ذلك، وأعطى

(100) حاكم التحقيق القضائي مكلف كذلك بتطبيق العقوبات.

(101) المجاشر ج مجشر تستعمل في بلاد المغرب بمعنى القرية الصغيرة، وربما اختصر مجشر إلى كلمة دشر ... يقال فلان من دشر قبيلة كذا وقد خفى المصطلح على بعض المعلقين الأجانب...

(102) رسول دار : تعني ما يشبه وزير الخارجية ويعني بالأرْسال : السفراء، وقد وردت صيغة هذا الجمع على هذا النحو عند كثير من المؤرخين بمن فيهم ابن خلدون، ويظهر أنه جمع الجمع : رُسل (جمع رسول) على وزن قُفل، ج أرسال كأقفال... وفي بعض المخطوطات (صاحب) عوض حاجب.

402/3 اربعة ▒ وعشرين الفاً عن يد، وأعطى فرسا مجهّزاً، وخلعة، وجعل لقبه بهاء الملك، ثمّ دخلت فوجدت السلطان على سطح القصر مستنداً إلى السرير والوزير خواجة جهان بين يديه والملك الكبير قَبُولة واقفٌ بين يديه فلمّا سلّمت عليه، قال لي الملك الكبير : اِخدِم، فقد جعلك خوند عالم قاضي دار الملك : دهلي، وجعل مرتّبك اثنى عشر الف دينار في السنة، وعيّن لك مجاشر بمقدارها وامر لك باثنى عشر الفاً نقداً تاخذها من الخزانة غداً إن شاء الله واعطاك فرساً بسرجه ولجامه، وأمر لك بخُلعة مَحارِبيّ وهي التي يكون في صدْرها وظهرها شكل
403/3 محراب، فخدمتُ وأخذ بيدي فتقدّم بي إلى السلطان فقال لي السلطان ▒ لا تحسب قضاء دهلي من أصغر الأشغال، وهو اكبر الأشغال عندنا، وكنت أفهم قوله ولا أحسن الجواب عنه وكان السلطان يفهم العربي ولا يحسن الجواب عنه، فقلت له : يامولانا على مذهب مالك وهؤلاء حنفيّة، وأنا لا أعرف اللّسان، فقال لي : قد عيّنت بهاء الدين الملتانّي وكمال الدين البِجْنَوْرِيّ ينوبان عنك ويشاورانك وتكون أنت تسجّل على العقود، وأنت عندنا بمقام الولد، فقلت له : بل عبدكم وخديمكم، فقال لي باللسان العربيّ : بل أنت سيّدنا ومخدومنا، تواضعًا منه وفضلاً وإيناساً، ثمّ قال لشرف الملك أمير بخت، وإن كان الذي رتّبت له لا يكفيه لانّه كثير
404/3 الانفاق فأنا أعطيه زاوية إن قدر على اقامة حال ▒ الفقراء وقال : قل له هذا بالعربيّ، وكان يظنّ أنّه يحسن العربيّ، ولم يكن كذلك، وفهم السلطان ذلك، فقال له بِرَوْوَيكْجَا بِخُصْبي وآنْ حِكايه برْأ وبِگُوي وَتَفْهيم كُنِي تَا فَرْدَا إنْ شاء الله بِيش مَن بِيَايِي جَوَاب أُو بُگوي (103)، معناه امشوا الليلة فارقُدوا في موضع واحد، وفهّمه هذه الحكاية فإذا كان بالغد إن شاء الله تجيء اليّ وتعلّمني بكلامه.

فانصرفنا وذلك في ثلث الليل، وقد ضُربت النوبة، والعادة عندهم إذا ضربت لا يخرج أحد فانتظرنا الوزير حتّى خرج وخرجنا معه، ووجدنا أبواب دهلي مسدودةً فبتنا عند السيّد
405/3 أبى الحسن العبّادي العراقي بزقاقٍ يعرف سَرَابُور خان، وكان هذا الشيخ ▒ يتّجر بمال السلطان ويشتري له الأسلحة والأمتعة بالعراق وخراسان.

ولّما كان بالغد بعث عنّا فقبضنا الأموال والخيل والخُلع وأخذ كلّ واحد منّا البدْرة بالمال فجعلها على كاهله، ودخلنا كذلك على السُّلطان فخدمْنا، وأُتينا بالأفراس فقبّلنا حوافرها بعد أن جعلت عليها الخرق، وقُدناها بأنفسنا إلى باب دار السلطان فركبناها، وذلك كلّه عادة عندهم ثمّ انصرفنا وأمر السلطان لأصحابي بألفَيْ دينار وعشر خلع ولم يعُط

(103) نقتبس من البروفيسور گيب هذه العبارة الفارسية الواردة في النص :
BIRAY WA-Yakja bikhusbi Wa-an hikayah bar u bigu'i Wa-Tafhim Kuni ta farda in sha'allah pish man biya'i jawabi u bigu'i - III P. 748.

لأصحاب أحدٍ سواي شيئا، وكان أصحابي لهم رواء ومنظر فأعجبوا السلطان وخدموا بين يديه وشكرهم. 406/3

ذكر عطاء ثان أمر لي به وتوقّفه مدّة

وكنت يوما بالمشور بعد أيّام من توليتي القضاء والاحسان اليّ وأنا قاعد تحت شجرة هنالك، وإلى جانبي مولانا ناصر الدين الترمذيّ (104) العالم الواعظ فأتى بعض الحجّاب فدعا مولانا ناصر الدين فدخل إلى السلطان فخلع عليه وأعطاه مصحفا مكلّلا بالجوهر.

ثم أتاني بعض الحجّاب فقال : أعطني شيئا وآخذ خَطّ خُرد باثنى عشر الفاً أمر لك بها خوند عالم، فلم أصدقه وظننته يريد الحيلة عليّ، وهو مجدّ في كلامه، فقال بعض الأصحاب أنا أعطيه، فأعطاه دينارين أو ثلاثة وجاء بخطّ خرد، ومعناه الخط الأصغر مكتوباً بتعريف الحاجب، ومعناه : أمر خوند عالَم أن يُعطى من الخزانة 407/3 الموفورة كذا لفلان بتبليغ فلان أي بتعريفه، ويكتب المبلّغ اسمه ثمّ يكتب على تلك البراءة ثلاثة من الأمراء وهم الخان الأعظم قطلو خان معلّم السلطان، والخريطة دار، وهو صاحب خريطة الكاغد والاقلام، والأمير نُكْبية الدّوادار صاحب الدَّواة، فإذا كتب كلّ واحد منهم خطّه يذهب بالبراءة إلى ديوان الوزارة فينسخها كُتّاب الديوان عندهم ثمّ تُثبت في ديوان الأشراف، ثمّ تثبت في ديوان النظر ثمّ تُكتب البَرُوانة، وهي الحُكم من الوزير للخازن بالعَطَاء، ثمّ يثبتها الخازن في ديوانه، ويكتب تلخيصا في كلّ يومٍ بمبلغ ما أمر به السلطان ذلك اليوم من المال ويعرضه عليه، فمن أراد التعجيل بعطائه أمر بتعجيله 408/3 ومن أراد التوقيف وقّف له، ولاكن لا بدّ من عطاء ذلك، ولو طالت المدّة فقد توقّفت هذه الاثنا عشر ألفاً ستّة أشهر، ثمّ أخذتُها معَ غيرها حسبما يأتي.

وعادتهم إذا أمر السلطان باحسان لأحدٍ يُحطّ منه العشر، فمن أمر له مثلاً بمائة ألف أعطى تسعين ألفاً أو بعشرة آلاف أعطى تسعة آلاف !

ذكر طلب الغرماء مالَهم قِبلي ومدحي للسلطان وأمرِه بخلاص ديني وتوقّف ذلك مدّة.

وكنت حسبما ذكرته، قد استدنت من التّجار مالاً انفقته في طريقي وما صنعت به الهدية للسلطان، وما انفقته في إقامتي فلمّا أرادوا السفر إلى 409/3 بلادهم ألحّوا عليّ في طلب ديونهم فمدحت السلطان بقصيدة طويلة أولها :

(104) ورد ذكر هذه الشخصية الذي ستغادر دهلي آخر عام 1334 وبداية 1335 ج III 250-252 في الفصل الذي خصّصه 259.

إليك أمـيـرَ المؤمنين المبـجّـلا ... أتينا نجدّ السير نحوك في الفَلا
فجئتُ مَحَلاً من عَلائِك زائراً ... ومغناك كهفُ للزيارة أُهّلاَ
فلو انّ فوق الشّمس للمجدِ رتبةً ... لكُنت لأعلاها إماماً مؤهَّلاَ
فانت الإمامُ الماجدُ الا وَحَدُ الذي ... سجاياه حتْماً أنْ يقول ويفعلا !
ولي حاجةُ من فيض جودك أرتَجِي ... قضاها، وقصدي عند مجْدِك سُهِّلا
410/3 أأذْكُرُها أم قد كَفَاني حياؤكم ... فانّ حَياكُم ذكره كان أجْمَلا ! ‖
فعجِّلْ لمَن وافى محلَّك زائِراً ... قَضَا دَيْنِه، إنّ الغريمَ تعجّلاَ !!

فقدّمتها بين يديه، وهو قاعد على كرسيّ، فجعلها على ركبته، وأمسك طرفها بيده وطرفها الثاني بيدي وكنت إذا أكملت بيتاً منها أقول لقاضي القضاة كمال الدين الغزنويّ : بيّن معناه لخوند عالَم ! فيبيّنه ويعجب السلطان، وهم يحبّون الشعر العربيّ، فلمّا بلغت إلى قولي : فعجِّلْ لمن وافى، البيت قال : مَرْحمة، ومعناه ترحّمتُ عليك، فأخذ الحجّاب حينئذ بيدي ليذهبوا بي إلى موقفهم، وأخدم على العادة، فقال السلطان : اتركوه حتّى يكملها، فاكملتها وخدمت وهنّأني الناس بذلك واقمت مدّةً وكتبت ‖ رقْعاً، وهم يسمونه عَرْض داشت، فدفعته 411/3 إلى قطب الملك صاحب السّند، فدفعه للسلطان، فقال له : امضِ إلى خواجة جهان، فقل له يُعطي دينه، فمضى إليه وأعلمه، فقال : نعم، وأبطأ ذلك أيّاماً، وأمره السلطان في خلالها بالسفر إلى دولة آباد، وفي أثناء ذلك خرج السلطان إلى الصيد وسافر الوزير فلم آخذ شيئا منها الاّ بعد مدة، والسبب الذي توقّف به عطاؤها أذكره مستوفى وهو انّه لمّا عزم الذين كان لهم عليّ الدين على السفر، قلت لهم : إذا أنا أتيت دار السلطان فدَرُهُوني على العادة في تلك البلاد، لعلمي أن السلطان متى يعلم بذلك خلّصهم، وعادتهم أنّه متى كان لأحدٍ دين على رجل من ذوي العناية وأعوزه ‖ خلاصه وقف له بباب دار السلطان، فإذا أراد الدّخول قال له: 412/3 دَرُوهَيْ السلطان (105)، وحقِّ رأس السلطان، ما تدخل حتّى تخلّصني، فلا يمكنه أن يبرح من مكانه حتّى يخلّصه أو يرغب إليه في تأخيره!

فاتّفق يوماً أن خرج السلطان إلى زيارة قبر أبيه ونزل بقصرٍ هنالك، فقلت لهم : هذا وقتكم، فلمّا اردت الدخول وقفوا لي بباب القصر، فقالوا لي : دَرُوهَي السلطان، ما تدخل حتّى تخلّصنا ! وكتب كتّاب الباب بذلك إلى السلطان فخرج حاجب قِصّة، شمس الدين وكان من كبار الفقهاء فسألهم : لأي شيء دَرُهْتُموه ؟ فقالوا : لنا عليه الدين، فرجع إلى السلطان فأعلمه بذلك، فقال له : إسألهم كم مبلغ الدين؟ فسألهم، فقالوا له ‖ خمسة وخمسون ألف 413/3

(105) الكلمة تعني التوسل للسُّلطان حتى ينصف المظلوم، دروهاي تعني العدل...

دينار، فعاد إليه فأعلمه فامره أن يعود إليهم، ويقول لهم : إن خوند عالَم يقول لكم : المال عندي وأنا أنصفكم منه فلا تطلبوه به !

وأمر عماد الدين السمنانّي وخذاوند زادة غياث الدين أن يقعدوا بهَزَار أسطون، ويأتي أهل الدَّين بعقودهم وينظروا إليها ويتحقّقوها، ففعلا ذلك، وأتى الغرماء بعقودهم، فدخلا إلى السلطان وأعلماه بثبوت العقود فضحك، وقال ممازحاً : أنا أعلم أنّه قاضٍ جهّزَ شغلَه فيها ! ثم أمر خذاوند زادة أن يعطيني ذلك من الخزانة فطمع في الرشوة على ذلك وامتنع أن يكتب خطّ خرد، فبعثت إليه مائتي تَنْكَة، فردّها ولم يأخذها، وقال لي عنه بعض خدّامه : إنه طلب خمسمائة تنْكة فامتنعت من ذلك، وأعلمت عميد الملك بن عماد الدين السمنانيّ بذلك، فأعلم به أباه وعلمه الوزير وكانت بينه وبين خذاوند زادة عداوة، فأعلم السلطان بذلك وذكر له كثيراً من أفعال خذاوند زادة فغُيِّر خاطر السلطان عليه، فأمربحبسه في المدينة وقال : لأي شيء أعطاه فلان ما أعطاه، ووقّفوا ذلك حتّى يُعْلَمَ هلْ يُعطي خذاوند زادة شيئاً اذا منعتُه أو يمنعه إذا أعطيته ؟! فبهذا السبب توقّف عطاء ديني.

414/3

ذكر خروج السلطان إلى الصيد وخروجي معه وما صنعتُ في ذلك

ولمّا خرج السلطان إلى الصيد خرجت معه من غير تربّص وكنت قد أعددت ما يحتاج إليه وعملت ترتيب أهل الهند فاشتريت سراجة وهي أفراج، وضربُها هنالك مباح ولا بدّ منها لكبار الناس وتمتاز سراجة السلطان بكونها حمراء وسواها بيضا، منقوشة بالأزرق، واشتريت الصيوان، وهو الذي يظلّل به داخل السراجة، ويرفع على عمودين كبيرين ويحمل ذلك الرجالُ على أعناقهم، ويقال لهم : الكَيْوَانيّة.

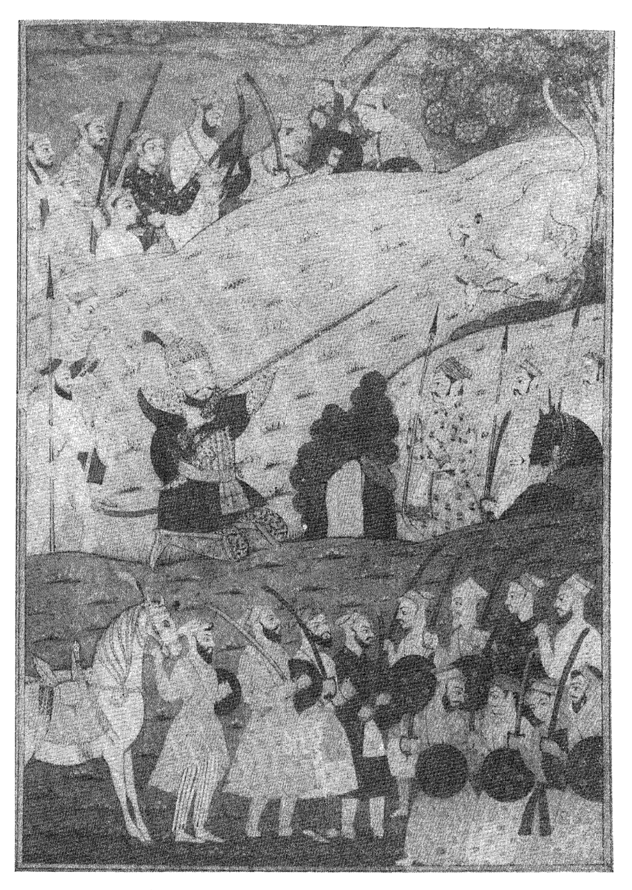
415/3

والعادة هنالك أن يكتري المسافر الكَيوانيّة، وقد ذكرناهم، ويكتري من يسوق له العشب لعلف الدوابّ لأنّهم لا يطعمونها التّبن، ويكتري الكَهارين (106) وهم الذين يحملون أواني المطبخ، ويكتري من يحمله في الدولة، وقد ذكرناها، ويحملها فارغة، ويكتري الفرّاشين وهم الذين يضربون السراجة ويفرشونها ويرفعون الأحمال على الجِمال، ويكتري الدَّوادَويّة وهم الذين يمشون بين يديه ويحملون المشاعل بالليل فاكتريت أنا جميع من احتجت له منهم، واظهرت القوّة والهمّة ! وخرجت يوم خروج السلطان، وغيري أقام بعده اليومين والثلاثة.

416/3

فلمّا كان بعد العصر من يوم خروجه ركب الفيل، وقصدُه أن يتطلّع على أحوال الناس

(106) الكَهّارين ج كَهّار (KAHARS) : حاملوا الماء، ما نسميه في المغرب الكَرّاب نسبة إلى القِرْبة – انظر III، 44-369 حول افراج والكيوانية ص 427.



رحلة صيد – عن المكتبة الوطنية بباريز رقم M 39302

ويعرف من تسارع إلى الخروج ومن أبطأ ! وجلس خارج السراجة على كرسيّ فجئت وسلّمت ووقفت في موقفي بالميمنة، فبعث إليّ الملك الكبير قبولة سَرْجَامَدَار (107) وهو الذي يشرّدُ الذباب عنه، فأمرني بالجلوس عنايةً بي ولم يجلس في ذلك اليوم سواي ثمّ ‖ أُتِي بالفيل وألصق به سُلَّم، فركب ورُفع الشطر فوق رأسه، وركب معه الخواصّ وجال ساعةً ثمّ عاد إلى السّراجة. 417/3

وعادتُه إذا ركب أن يركب الأمراء أفواجاً، كلّ أمير بفوجه وعلاماته وطبوله وأنفاره وصرّنا ياته، ويسمّون ذلك المراتب، ولا يركب أمام السلطان إلاّ الحجّاب وأهل الطرب والطبّالة الذين يتقلّدون الأطبال الصغار والذين يضربون الصّرنايات، ويكون عن يمين السلطان نحو خمسة عشر رجلاً، وعن يساره مثل ذلك، منهم قضاة القضاة والوزير وبعض الأمراء الكبار وبعض الأعزّة، وكنت أنا من أهل ميمنته، ويكون بين يديه المشّاؤون والأدلاّء، ويكون خلفه علاماته وهي من الحرير المذهّب، والأطبال على الجِمال، وخلف ‖ ذلك مماليكه وأهل دِخْلته، وخلفهم الأمراء وجميع الناس، ولا يعلم أحد أين يكون النزول، فإذا مرّ السلطان بمكان يعجبه النزول به أمر بالنزول، ولا تُضرب سراجة أحد حتّى تضرب سراجته، ثمّ ياتي الموكّلون بالنزول فينزّلون كلّ أحدٍ في منزله! 418/3

وفي خلال ذلك ينزل السلطان على نهرٍ أو بين أشجار، وتقدّم بين يديه لحوم الأغنام والدجاج المسمّنة والكراكّي وغيرها من أنواع الصيد، ويحضر أبناء الملوك، وفي يد كلّ واحد منهم سفّود، ويوقدون النار ويشْتوون ذلك، ويوتي بسراجة صغيرة فتُضرب للسلطان ويجلس من معه من الخواصّ خارجها، ويؤتى بالطعام ويستدعى مَن شاء فيأكل معه. وكان في بعض تلك الأيّام، وهو بداخل السراجة، يسأل عمّن بخارجها، فقال له السيّد ناصر ‖ الدين مطهّر الأوهرّي، أحد ندمائه : ثَمّ فلان المغربي، وهو متغيّر ! فقال : لماذا؟ فقال : بسبب الدّين الذي عليه وغرماؤه يلحّون في الطلب، وكان خوند عالم قد أمر الوزير باعطائه فسافر قبل ذلك، فإن أمر مولانا أن يصبّر أهل الدّين حتّى يقدم الوزير أوامر بإنصافهم؟ وحضر لهذا الملِك دولة شاه، وكان السلطان يخاطبه بالعمّ، فقال : ياخوند عالَم ! كلّ يوم هو يكلّمني بالعربية ولا أدري ما يقول. يا سيدي ناصر الدين : ماذا؟ وقصد أن يكرّر ذلك الكلام، فقال : يتكلّم لأجل الدّين الذي عليه، فقال السلطان : إذا دخلنا دار الملك فامضِ أنت يا أُومَار، ومعناه : ياعمّ إلى الخزانة فأعطه ذلك المال، وكان خذا وند زادة حاضراً ‖ فقال : ياخوند عالم، إنه كثير الإنفاق وقد رأيته ببلادنا عند السلطان طرْمشِيرين. 419/3 420/3

---

(107) السرجامَدَار SAR-Jamadar المشرف على دولا ب ملابس السلطان ونرى أنه هنا بمعنى الذي يطرد الذباب عن السلطان، ويصحب هذا الموظف منديلٌ أبيض ويتقدم الرَّكْب الملكي وهو يلوّح بين الفينة والأخرى بمنديله في الهواء لطرد الذباب وتلطيف المناخ...

وبعد هذا الكلام استحضرني السلطان للطعام ولا علم عندي بما جرى، فلمّا خرجت قال لي السيّد ناصر الدين : اشكر للملك دولة شاه، وقال لي الملك دولة شاه : أشكر لخذاوند زادة!

وفي بعض تلك الأيّام، ونحن مع السلطان في الصيد ركب في المحلّة وكان طريقه على منزلي وأنا معه في الميمنة وأصحابي في الساقة، وكان لي خباء عند السرّاجة فوقف أصحابي عندها وسلّموا على السلطان، فبعث عماد الملك وملك دولة شاه ليسألا : لِمَن تلك الأخبية والسراجة ؟ فقيل لهما : لفلان، فأخبراه بذلك، فتبسّم، فلما كان الغد نفذ الأمرُ أنّ أعود ‖ أنا وناصر الدين مطهّر الأوْهَري (108) وابنُ قاضي مصر وملك صبيح إلى البلد فخُلع علينا وعدنا إلى الحضرة. 421/3

ذكر الجمل الذي أهديته للسلطان

وكان السلطان في تلك الأيّام سألني عن الملك الناصر، هل يركب الجَمَل فقلت له : نعم يركب المهاري في أيّام الحجّ، فيسير إلى مكة من مصر في عشرة أيّام، ولكن تلك الجمال ليست كجمال هذه البلاد، وأخبرته أن عندي جملاً منها فلمّا عدت إلى الحضرة بعثت عن بعض عرب مصر، فصوَّر لي صورة الكور الذي تُركب المهاري به، من القير، وأريتُها بعض النجّارين، فعمل الكور واتقنه وكسوته بالملفّ، وصنعتُ له رُكبا وجعلت على الجَمل عباءةً حسنة وجعلت له خطام حرير.

422/3 وكان عندي رجل من أهل اليمن يُحسن عمل ‖ الحلواء فصنع منها ما يشبه التمر وغيره، وبعثت الجمل والحلواء إلى السلطان وأمرت الذي حملها أن يدفعها على يد ملك دولة شاه، وبعثت له بفرس وجملين، فلمّا وصله ذلك دخل على السلطان، وقال : ياخوند عالَم، رأيتُ العجب قال : وما ذلك؟ قال : فلان بعث جملاً عليه سرج ! فقال : ائتوا به ! فأدخل الجمل داخل السراجة، وأعجب به السلطان، وقال لراجلي : إركبه، فركبه ومشّاه بين يديه، وأمر له بمائتي دينار دراهم وخلعة، وعاد الرجل إليّ فأعلمني فسرّني ذلك، وأهديتُ له جملين بعد عودته إلى الحضرة ‖ . 423/3

(108) حول ناصر الدّين هذا انظر I، 420-III 145-345-348-318-418-419-441

ذكر الجملين الّذين أهديتهما إليه والحلواء، وأمره بخلاص ديني وما تعلّق بذلك.

ولمّا عاد إليّ راجلي الذي بعثته بالجمل فأخبرني بما كان من شأنه صَنَعت كُورين اثنين وجعلت مُقدم كلّ واحد ومؤخّره مكسوًّا بصفائح الفضّة المذهّبة وكسوتُهما بالملفّ، وصنعت رَسَناً مصفّحاً بصفائح الفضّة، وجعلت لهما جَلَّين من زرد خانة مبطّنين بالكَمْخا، وجعلت للجملين الخلاخيل من الفضّة، وصنعتُ أحد عشر طيفوراً وملأتها بالحلواء، وغطيت كلّ طيفور بمنديل حرير، فلمّا قدم السلطان من الصيد وقعد ثاني يوم قدومه بموضع جلوسه العامّ، غدوت عليه بالجمال فأمر بها فحرّكت بين يديه وهرْولت، فطار خلخال أحدها 424/3 فقال لبهاء الدين بن الفلكيّ : بَايل ورْدَاري، معنى ذلك ارفع الخلخال، فرفعه، ثمّ نظر إلى الطيافير، فقال : جِدّاري دِرْآنْ طبقْها حَلْوَا إسْت، معنى ذلك : ما معك في تلك الأطباق ؟ حلواء هي ؟ فقلت له : نعم فقال للفقيه ناصر الدين الترمذيّ الواعظ : ما أكلتُ قط ولا رأيت مثل الحلواء التي بعثها إلينا ونحن بالمعسكر.

ثمّ أمر بتلك الطّيافير أن ترفع لموضع جلوسه الخاصّ، فرفعت وقام إلى مجلسه واستدعاني، وأمر بالطّعام، فأكلت، ثمّ سألني عن نوع من الحلْواء الذي بعثت له قبل، فقلت له يا خُوند عالَم، تلك الحلواء أنواعها كثيرة ولا أدْري عن أيّ نوع تسألون منها؟ فقال : ائتو بتلك الأطباق، وهم يسمّون الطيفور 425/3 طبقاً، فأتوا بها وقدّموها بين يديه وكشفوا عنها فقال عن هذا سألتك، وأخذ الصحن الذي هي فيه فقلت له : هذه يقال لها : المقرضة (109)، ثمّ اخذ نوعاً آخر فقال : وما اسم هذه فقلت له : هي لُقَيمات القاضي، وكان بين يديه تاجرٌ من شيوخ بغداد يعرف بالسّامريّ، وينتسب إلى آل العبّاس رضي اللّه تعالى عنه، وهو كثير المال ويقول له السلطان : والدي، فحسدني وأراد أن يُخجلني، فقال : ليست هذه لُقيمات القاضي بل هي هذه، وأخذ قطعةً من التي تسمّى جِلْد الفرس (110)، وكان بازائه ملك الندماء ناصر الدين الكافيّ الهرويّ، وكان كثيراً ما يمازح هذا الشيخ بين يدى السلطان، فقال له : ياخواجة أنت تكذب، والقاضي يقول الحقّ 426/3 فقال له السلطان : وكيف ذلك ؟ فقال : ياخوند عالَم ! هو القاضي وهي لُقيماته فانّه أتى بها، فضحك السلطان، وقال : صدقت !

(109) سائر النسخ ترسم المقرضة (بالصاد) الا النسخة التي تحتفظ به الخزانة العامة بالرباط... فترسم (الضاد) عوض الصاد : المقرضة وهو الاستعمال الذي يجري على الألسنة إلى اليوم في بلاد المغرب وبخاصة في تونس...

(110) عند ما كان ابن بطوطة في زيارته لبعلبك تحدث عن حلواء تصنع من مربّى يجعل فيها الفستق واللوز ويسمُّونها بالملبَّن، كما يسمُّونها أيضا بجلد الفرس I، 186.

فلمّا فرغنا من الطعام أكل الحلواء، ثمّ شُرب الفقّاع بعد ذلك، وأخذنا التنبول وانصرفنا، فلم يكن غير هنيهة وأتاني الخازن، فقال : ابعث أصحابك يقبضون المال فبعثتهم وعدت إلى داري بعد المغرب، فوجدت المال بها وهو ثلاث بِدَر فيها ستّة آلاف ومايتان وثلاث وثلاثون تَنْكة، وذلك صرف الخمسة والخمسين الفاً التي هي دين عليّ، وصرف الاثنى عشر الفا التي أمر لي بها فيما تقدّم بعد حط العُشُر على عادتهم، وصرف التّكنة ديناران ونصف 427/3 دينار من ذهب المغرب ▒ .

ذكر خروج السلطان وأمره لي بالإقامة بالحضرة

وفي تاسع جمادى الأولى خرج السلطان برسم قصد بلاد المعبر (111)، وقتال القائم بها وكنت قد خلّصت أصحاب الدّين وعزمت على السفر وأعطيت مرتّب تسعة اشهر للكهارين والفرّاشين والكيوانية والدوادويّة، وقد تقدّم ذكرهم، فخرج الأمر بإقامتي في جملة ناس وأخذ الحاجبُ خطوطنا بذلك لتكون حجّة له،، وتلك عادتهم خوفاً من أن ينكر المبلّغ، وأمر لي بستّة آلاف دينار دراهم، وأمر لابن قاضي مصر بعشرة آلاف، وكذلك كلّ من أقام من الأعزّة (112)، وامّا البلديّون فلم يعطوا شيئاً وأمرني السلطان أن اتولى النظر ▒ في مقبرة 428/3 السلطان قطب الدّين الذي تقدّم ذكره (113) وكان السلطان يعظّم تربته تعظيماً شديداً لانّه كان خديماً له، ولقد رأيته إذا أتى قبره يأخذ نعله فيقبّله ويجعله فوق رأسه.

وعادتهم أن يجعلوا نعل الميت عند قبره فوق متّكأة، وكان اذا وصل القبر خدم له كما كان يخدم أيّام حياته، وكان يعظّم زوجته ويدعوها بالأخت وجعلها مع حرمه، وزوّجها بعد ذلك لابن قاضي مصر، واعتنى به من أجْلها وكان يمضي لزيارتها في كلّ جمعة.

ولّما خرج السلطان بعث عنّا للوداع فقام ابن قاضي مصر فقال : أنا لا أوادع ولا أفارق خوند عالَم، فكان له في ذلك الخير فقال له السلطان : اِمض فتجهّزْ للسّفر ! وقدمت بعده للوداع ▒ وكنت احبّ الإقامة ولم تكن عاقبتها محمودة ! فقال : مالك من حاجة؟ 429/3 فاخرجت بطاقةً فيها ستّ مسائل، فقال لي : تكلّم بلسانك ! فقلت له : إن خوند عالم أمر لي بالقضاء وما قعدت لذلك بعدُ، وليس مرادي من القضاء الاّ حرمته، فأمرني بالقعود للقضاء وقعود النّائبين معي، ثمّ قال لي : إيه، فقلت : وروضة السلطان قطب الدين ماذا أفعل فيها ؟ فإني رتّبت فيها أربع مائة وستّين شخصاً، ومحصولُ أوقافها لا يفي بمرتّباتهم وطعامهم ؟

(111) كان يوم تاسع جمادى الأولى من عام 741 يوافق 21 أكتوبر 1341.

(112) يعنون بالأعزة الغرباء وهو تعبير حضاري جميل كما أسلفنا III، 98-222-229 الخ.

(113) انظر التعليق الماضي رقم 75

فقال للوزير : پَنْجاه هزار، ومعناه خمسون ألفاً، ثمّ قال : لا بدّ لك من غلّةٍ بَدِية، يعني : أعطه مائة ألف مَنّ من المغلّة، وهي القمح والأرز يُنفقها في ‖ هذه السنة حتّى تأتي غلّة الروضة، والمنّ عشرون رطلاً مغربية، ثمّ قال لي : وماذا أيضا؟ فقلت : إن أصحابي سجنوا بسبب القُرى التي أعطيتموني، فإني عوّضتُها بغيرها، فطلب أهل الديوان ما وصلني منها أو الاستظهار بأمر خوند عالَم أن يرفع عنّي ذلك، فقال : كم وَصَلك منها ؟ فقلت : خمسة آلاف دينار، فقال : هي إنعام عليك، فقلت له : وداري التي أمرتم لي بها مفتقرة إلى البناء، فقال للوزير عِمَارة كُنيد، أي معناه عمّروها، ثمّ قال لي : دِيكر نَماند، فقلت له (114) : لا، معناه هلّ بقي لك كلام؟ فقال لي : وصيّة دِكَر هَسْت معناه أوصيك أن لا تاخذ الدّين لئلاّ تُطلب فلا تجد مَن ‖ يبلّغ خبرك إليّ، أنفق على قدر ما أعطيتُك، قال اللّه تعالى : ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط (115)، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا (116)، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (117). فأردت أن أقبّل قدمه فمنعني، وأمسك رأسي بيده فقبّلتُها وانصرفت.

430/3

431/3

وعدت إلى الحضرة فاشتغلت بعمارة داري وانفقت فيها اربعة آلاف دينار، أُعطيت منها من الديوان ستّماية دينار، وزدت عليها الباقي وبنيت بازائها مسجداً، واشتغلت بترتيب مقبرة السلطان قطب الذين وكان السلطان قد أمر أن تبنى عليه قبّة يكون ارتفاعها في الهواء ماية ذراع بزيادة‖ عشرين ذراعاً على اتفاع القبّة المبنيّة على قازان ملك العراق (118)، وأمر أن تشتري ثلاثون قرية تكون وقفاً عليها وجعلها بيدي على أن يكون لي العشر من فائدها على العادة.

432/3

ذكر ما فعلتُه في ترتيب المقبرة

وعادة أهل الهند أن يرتّبوا لأمواتهم ترتيباً كترتيبهم بقيد الحياة، ويوتي بالفيلة والخيل فتربط عند باب التربة وهي مزيّنة، فرتّبت أنا في هذه التربة بحسب ذلك ورتّبت من قرّاء القرآن مائة وخمسين، وهم يسمّونهم الختْميّين، ورتّبت من الطلبة ثمانين، ورتّبت الإمام

(114) بقي مع ذلك طلبان اثنان، بيد أن ابن بطوطة – على ما يظهر – لم يجرؤ على مواصلة الكلام... وهذه تهجية الكلمات الفارسية حسب إفادة گيب 'Imarat Kunid - Digar Namanad-Wasiyat – GIbb digar hast

(115) السورة 17، الآية 29.

(116) السورة 7، الآية 31.

(117) السورة 25، الآية 67.

(118) قازان هذا يوجد قبره في ضواحي تبريز... I، 148 II 115-129-144.

433/3 والمؤذّنين والقرّاء بالأصوات الحِسان، والمدّاحين ‖ وكتّاب الغيبة والمعرّفين، وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بالأرباب ورتّبت صنفاً آخر يعرفون بالحاشية وهو الفرّاشون والطبّاخون والدوادويّة والآبداريّة، وهم السقّاؤون والشربداريّة الذين يسقون الشّربة، والتنبول داريّة الذين يعطون التنبول والسلحداريّة والنيزداريّة والشطرداريّة والطشت داريّة والحجّاب والنقباء، فكان جميعهم أربعمائة وستّين.

وكان السلطان أمر أن يكون الطعام بها، كلّ يوم اثنى عشر منّا من الدقيق، ومثلها من اللحم فرأيت أنّ ذلك قليل، والزرع الذي أمر به كثيرا، فكنت أنفق كلّ يوم خمسة وثلاثين

434/3 منّاً من الدقيق، ومثلها من اللحم مع ما يتبع ذلك من السكّر والنبات والسّمن والتنبول ‖ وكنت أطعم المرتّبين وغيرهم من صادر ووارد، وكان الغلاء (119) شديدا فارتفق الناس بهذا الطعام وشاع خيره.

وسافر الملك صبيح إلى السلطان بدولة آباد فسأله عن حال الناس، فقال له : لو كان بدهلي اثنان مثل فلان لما شكا الجهد ! فأعجب ذلك السلطان، وبعث اليّ بخلعةٍ من ثيابه، وكنت أصنع في المواسم، وهي العيدان والمولد الكريم (120) ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان، ويوم وفاة السلطان قطب الدين ماية منٍّ من الدقيق ومثلها لحماً، فيأكل منها الفقراء والمساكين، وأمّا أهل الوظيفة فيُجعل امام كلّ انسان مهم ما يخصّه، ولنذكر عادتهم

435/3 في ذلك ‖

• ذكر عادتهم في اطعام الناس في الولائم.

وعادتهم ببلاد الهند وببلاد السَّرا (121) أنّه إذا فُرغ من أكل الطعام في الوليمة جُعل أمام كلّ إنسان من الشرفاء والفقهاء والمشائخ والقضاة وعاءً شبه المهد له أربع قوائم منسوج سطحه من الخوص وجعل عليه الرقاق ورأسُ غنم مشويّ وأربعة أقراص معجونة بالسمن مملوّة بالحلواء الصابونية (122) مُغطاةٍ بأربع قطع من الحلواء كأنها الآجر، وطبقاً صغيراً مصنوعاً من الجلد فيه الحلواء والسموسك ويغطّى ذلك الوعاء بثوب قطنٍ جديد، ومَن كان

(119) يتعلق الأمر بالقحط الكبير الذي ابتدأ عام 736=1336 يراجع التعليق رقم 39 من هذا الفصل.

(120) يلاحظ الاهتمام بعيد المولد الذي كان من المستحدثات الحسنة في المغرب والمشرق في تلك الفترة من التاريخ – د. التازي : لماذا عيد المولد في المغرب الاسلامي دعوة الحق، دجنبر 1989.

(121) حول السَّرا عاصمة خان قفجق... انظر II، 446-450-449-450.

(122) الصابون القصد إلى حلواء تصنع من الزيت والسمسم. والنشاء واللوز والعسل III، 421.

436/3 دون من ذكرناه جُعل أمامه نصف رأس غنم ويسمّونه الزلّة (123) ومقدار النصف ممّا ذكرناه، ومن كان دون هؤلاء أيضا جعل أمامه مثل الربع من ذلك، ويرفع رجال كلّ أحد ما جعل أمامه.

وأوّل ما رأيتهم يصنعون هذا بمدينة السرا حضرة السلطان أوزبك، فامتنعتُ أن يرفع رجالي ذلك إذْ لم يكن لي به عهد،! وكذلك يبعثون أيضا لدار كُبَراء الناس من طعام الولائم.

ذكر خروجي إلى هَزَار أمْرُوها

وكان الوزير قد اعطاني من الغلة المأمور بها للزاوية عشرةَ آلاف منّ، ونفّذ لي الباقي في هَزار (124) أمْروها، وكان والي الخراج بها عزيز الخمّار (125)، وأميرها شمس الدين البذخشانّي فبعثتُ رجالي فاخذوا بعض الإحالة، وتشكّوا من 437/3 تعسّف عزيز الخمّار فخرجت بنفسي لاستخلص ذلك، وبين دهلي وهذه العمالة ثلاثة أيّام، وكان ذلك أوان نزول المطر (126) فخرجت في نحو ثلاثين من أصحابي واستصحبتُ معي اخوين من المغنّيين المُحسنين يغنيّان لي في الطريق! فوصلنا إلى بلدة بِجْنَوَر (127) وضبط اسمها بكسر الباء الموحدة وسكون الجيم وفتح النون وآخره راء، فوجدت بها أيضا ثلاثة اخوة من المغنّيين فاستصحبتهم فكانوا يغنّون لي نوبة والآخران نوبة!

ثم وصلنا إلى أمْرُوها، وهي بلدة صغيرة حسنة، فخرج عمالها للقائي وجاء قاضيها الشريف أمير عليّ وشيخ زاويتها وأضافاني معاً ضيافة حسنة، وكان عزيز الخمّار بموضعٍ يقال له أفْغان بُور على نهر السَّرُو (128)، وبيننا وبينه النهر، ولا معدية فيه، فأخذنا الاثقال في معدية 438/3 صنعناها من الخشب والنّبات وجزنا في اليوم الثاني وجاء نجيبٌ أخو عزيز في جماعةٍ من أصحابه وضرب لنا سراجة، ثمّ جاء أخوه إليّ الوالي، وكان معروفا بالظلم، وكانت القُرى التي في عمالته ألفاً وخمسمائة قرية، ومجْباها ستّون لكّاً في السنة، له فيها نصف العشر، ومن عجائب النهر الذي نزلنا عليه انّه لا يشرب منه أحد في أيام نزول المطر

(123) الزلّة تعني الطعام الخفيف الذي يمكن أن يحمله المرء معه.

(124) إقليم أمروها (Amroha)، على بعد 130 كـ.م شرق دهلي.

(125) ظهر هذا الشخص لأول مرة مشهورا بإبتزازه ونهبه في إقليم أمْروها يراجع التعليق رقم 61 من هذا الفصل.

(126) من المحتمل أن يكون هذا تمّ في يونيه 1336...

(127) بِجْنَور (BIJNOR) إقليم يحمل نفس الاسم، يقع شمال أمروها.

(128) كلمة السَّرو (SARU) التي تعني أعالي غاغْرا (Ghaghra) (تعليق 49) يظهر هنا أنها تعني الكانج.

ولا تسقى منه دابّة، ولقد أقمنا عليه ثلاثا فما غرف منه أحد غرفة ولا كدنا نقرب منه لأنّه ينزل من جبل قراجيل (129) التي بها معادن الذهب، ويمرّ على الخشاش المسمومة فمن شرب منه مات (129).

439/3 وهذا الجبل متّصل مسيرة ثلاثة ‖ اشهر، وينزلُ منه إلى بلاد تُبَّت حيث غزلان المسك، وقد ذكرنا ما اتّفق على جيش المسلمين بهذا الجبل، وبهذا الموضع جاء إليّ جماعة من الفقراء الحيدريّة وعملوا السّماع واوقدوا النيران فدخلوها ولم تضرّهم، وقد ذكرنا ذلك (130).

وكانت قد نشأت بين أمير هذه البلاد شمس الدين البذ خشانيّ وبين واليها عزيز الخمّار منازعة وجاء شمس الدين لقتاله، فامتنع منه بداره وبلغت شكاية أحدهما الوزيرَ بدهلي، فبعث إليّ الوزيرُ وإلى الملك شاه أمير المماليك بأمْروها، وهم أربعة آلاف مملوك للسلطان، وإلى شهاب الدين الروميّ أن ننظر في قضيّتهما، فمن كان على ‖ الباطل بعثناه 440/3 مثقفا إلى الحضرة، فاجتمعوا جميعاً بمنزلي وادّعى عزيز على شمس الدين دعاوي منها أنّ خديماً له يعرف بالرّضَى الملتانيّ نزل بدار خازن عزيز المذكور، فشرب بها الخمر وسرق خمسة آلاف دينار من المال الذي عند الخازن، فاستفهمت الرِّضَى عن ذلك، فقال لي : ما شربت الخمر منذ خروجي من مُلتان، وذلك ثمانية اعوام، فقلت له : أوشربتَها بمُلتان؟ قال نعم ! فأمرت بجلده ثمانين وسجنته بسبب الدعوى لِلَوْثٍ ظهر عليه.

وانصرفت عن أمروها فكانت غيبتي نحو شهرين، وكنت في كلّ يوم اذبح لأصحابي بقرة وتركت أصحابي ليأتوا بالزرع المنقّد على عزيز، وحملُه عليه، فوُزّع على أهل القرى التي لنظره ثلاثين ألف منٍّ يحملونها على ‖ ثلاثة آلاف بقرة، وأهل الهند لا يحملون الاّ على البقرة 441/3 وعليه يرفعون أثقالهم في الأسفار، وركوب الحمير عندهم عيب كبير وحميرهم صغار الأجرام يسمّونها اللاشة (131)، واذا أرادوا إشهار أحد بعد ضربه أركبوه الحمار!

ذكر مكرمة لبعض الأصحاب

وكان السيّد ناصر الدين الا وهريّ قد ترك عندي لمّا سافر ألفا وستّين تنْكة فتصرّفت فيها، فلمّا عُدت إلى دهلي وجدته قد أحال في ذلك المال خُذاوند زادة قوام الدين، وكان قدم نائبا عن الوزير، فاستقبحت أن أقول له : تصرّفت في المال، فأعطيته نحو ثلثه، وأقمت بداري أياما.

---

(129) انظر II 6 III، 325-438 – يلاحظ گيب أنه لا يوجد ذهَب في الهيمالايا.

(130) يراجع حديث ابن بطوطة في II، 6-7 – حول التُّبَّت انظر جIV، 216 وانظر معجم البلدان.

(131) تعبير فارسي يعني الجثة والهيكل.

وشاع عني أني مرضت، فأتى ناصر الدين الخوارزميّ صدر الجهان لزيارتي فلمّا
442/3 رءآني قال : ما أرى بك مرضاً، فقلت : إني مريض القلب ! فقال لي : عرفْني بذلك ! فقلت له : ابعث إليّ نائبك شيخ الاسلام اعرّفْه به، فبعثه إليّ فاعلمته، فعاد إليه فأعلمه، فبعث إليّ بألف دينار دراهم، وكان له عندي قبل ذلك ألفُ ثان ثمّ طلب منّي بقيّة المال، فقلت في نفسي : ما يخلّصني منه الاّ صدر الجهان المذكور لأنه كثير المال، فبعثت اليه بفرسٍ مسرج قيمة سرجه ألف وستّماية دينار، وبفرسٍ ثان قيمته وقيمة سرجه ثمانمائة دينار وببغلتين قيمتهما ألف ومايتا دينار، وبتركش فضّة وبسيفين غمدهما مغشّيان بالفضّة، وقلت له : انظر قيمة
443/3 الجميع وابعث إليّ ذلك، فأخذ ذلك وعمل لجميعه قيمة ثلاثة آلاف دينار، فبعث إليّ الفاً واقتطع الالفين، فتغيّر خاطري، ومرضتُ بالحمّى، وقلت في نفسي : إن شكوت به إلى الوزير افتضحتُ، فأخذت خمسة أفراس وجاريتين ومملوكين، وبعثتُ الجميع للملك مغيث الدين محمّد بن ملك الملوك عماد الدين السّمناني، وهو فَتِيُّ السنّ، فردّ عليّ ذلك وبعث إليّ مايتي تنْكة واعتذر وخلّصتُ من ذلك المال، فشتّان بين فِعل محمّد ومحمّد !

ذكر خروجي إلى محلّة السلطان.

وكان السلطان لمّا توجّه إلى بلاد المَعْبر وصل إلى التّلنِك ووقع الوباء بعسكره فعاد إلى دولة آباد، ثمّ وصل إلى نهر الكنك فنزل عليه، وأمر الناس بالبناء، وخرجت في تلك الأيّام إلى
444/3 محلّته واتّفق ما سردناه من مخالفة عيْن (132) المُلك، ولازمت السلطان في تلك الأيّام وأعطاني من عتاق الخيل لمّا قسّمها على خواصّه، وجعلني فيهم وحضرت معه الوقيعة على عَيْن المُلك والقبض عليه وجزت معه نهر الكنك ونهر السَّرُو لزيارة قبر الصالح سالار عود، وقد استوفيت ذلك كلّه، وعدت معه إلى حضرة دهلي لمّا عاد اليها.

ذكر ما همّ به السلطان من عقابي وما تداركني من لطف اللّه تعالى!

وكان سبب ذلك أنّي ذهبتُ يوما لزيارة الشيخ شهاب الدين بن الشيخ الجام بالغار الذي احتفره خارج دهلي (133).

وكان قصدي رؤية ذلك الغار، فلمّا أخذه السلطان سأل أولاده عمّن كان يزوره فذكروا
445/3 ناساً أنا من جملتهم، فأمر السلطان أربعة من عبيده بملازمتي بالمشور.

---

(132) يراجع III 342-344-350.

(133) لقد عرض ابن بطّوطة نفسه للخطر عندما كان يعتقد أن السلطان سينسى استخفاف الشيخ شهاب الدّين بقوته وتحدّيه له !! يراجع III، 294-295.

وعادته أنّه متى فعل ذلك مع أحد قلّما يتخلّص، فكان أوّل يومٍ من ملازمتهم لي يوم الجمعة فألهمني الله تعالى إلى تلاوة قوله : حسبنا الله ونعم الوكيل (134)، فقرأتها ذلك اليوم ثلاثة وثلاثين ألف مرّة، وبتّ بالمشور وواصلت إلى خمسة أيّام، في كلّ يوم منها اختم القرآن وافطر على الماء خاصّة، ثمّ افطرت بعد خمس وواصلت أربعاً وتخلّصت بعد قتل الشيخ والحمد لله تعالى !

ذكر انقباضي عن الخدمة وخروجي عن الدنيا.

ولّما كان بعد مدّة انقبضت عن الخدمة ولازمت الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الخاشع الورع فريد الدهر ووحيد العصر كمال || الدين عبد الله الغاريّ وكان من الأولياء، وله كرامات قد ذكرت منها ما شاهدته عند ذكر اسمه (135)، وانقطعت إلى خدمة هذا الشيخ ووهبت ما عندي للفقراء والمساكين! 446/3

وكان الشيخ يواصل عشرة أيّام وربّما واصل عشرين، فكنت أحبّ أن أواصل فكان ينهاني ويأمرني بالرفق على نفسي في العبادة ويقول لي : إنّ المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى،(135) وظهر لي من نفسي تكاسل بسبب شيء بقى معي، فخرجت عن جميع ما عندي من قليل وكثير وأعطيت ثياب ظهري لفقير ولبست ثيابه، ولزمت هذا الشيخ خمسة أشهر والسلطان اذ ذاك غائبٌ ببلاد السند || . 447/3

ذكر بعث السلطان عنّي وإبايتي عن الرجوع إلى الخدمة واجتهادي في العبادة.

ولّما بلغ السلطان خبر خروجي عن الدنيا استدعاني، وهو يومئذ بسيوستان (136)، فدخلت عليه في زيّ الفقراء، فكلّمني أحسن كلام وألطفه، وأراد منّي الرجوع إلى الخدمة فأبيت وطلبت منه الإذن في السفر إلى الحجاز، فأذن لي فيه وانصرفت عنه، ونزلت بزاوية

---

(134) السورة 3، الآية 167.

(135) انظر III، 160-161. مقولة ذكيّة سائرة وقد نسبها بعضهم للرسول عليه الصلوات لكن الذي ذكره ابن منظور في لسان العرب أنها لمطرّف (ابن الشخير) المشهور بمقالاته في الحكمة ووردت كذلك في كتاب الأمثال للميداني... وتضرب مثلا لتنّبيه للذين يحاولون أن يقضوا اغراضهم بسرعة دون ما تريُّث كنت أجعلها نصب عيني وأنا أقدم على بعض أعمالي وقد ترجمت هكذا :

Certes, celui qui veut aller vite et devancer les autres, ne fait pas de chemin et ne sauve point de monture !

(136) سيوستان (SEHWAN) على نهر السند شمال حيدر أباد، محمد ابن تغلق كان يوجَدُ بالسند في أعقاب ثورة الملك شاهُولُودي – راجع بداية هذا الفصل الخاص بمملكة محمد ابن تغلق.

تعرف بالنسبة إلى الملك بشير، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ثنتين وأربعين (137)، فاعتكفت بها شهر رجب وعشراً من شعبان، وانتهيت إلى مواصلة خمسة أيّام وافطرت بعدها على قليل أرز دون إدام، وكنت أقرأ القرآن كلّ يوم واتهجّد بما شاء الله، وكنت إذا أكلت الطعام أذاني، فإذا طرحتُه وجدت الراحة، وأقمت كذلك أربعين يوما ثمّ بعث عنّي ثانيةً.

448/3

ذكر ما أمرني به من التوجّه إلى الصين في الرسالة

ولمّا كملتْ لي اربعون يوماً بعث إليّ السلطان خيلاً مسرجةً وجواري وغلماناً وثياباً ونفقةً فلبست ثيابه وقصدته، وكانت لي جبّة قطن زرقاء مبطّنة لبستها أيّام اعتكافي فلمّا جرّدتُها ولبست ثياب السلطان أنكرت نفسي ! وكنت متى نظرت إلى تلك الجبّة أجد نوراً في باطني، ولم تزل عندي إلى أن سلبني الكفّار في البحر. ولمّا وصلت إلى السلطان زاد في إكرامي على ما كنت أعهده، وقال لي : إنّما بعثت إليك لتتوجّه عنّي رسولاً إلى ملك الصين فإنّي أعلم حبك في الأسفار والجولان، فجهّزني بما احتاج له وعيّن للسفر معي من يُذكر بعد (138).

449/3

(137) 742 = دجنبر 1341.

(138) هنا فقط شعر الناشران .D.S بالحاجة إلى الاتيان بالنص الكامل لما قاله ابن خلدون في مقدمته عن رحلة ابن بطوطة وتناجي الناس بتكذيبه مما بسطته بإسهاب في المقدمة وسنذكره في ملاحق هذا التاليف.

فهرس موضوعات المجلد الثالث

الصفحة	الموضوع

فهرس الرسوم والصور بالمجلد الثالث

تم طبع هذا الكتاب في مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
الهاتف : 28.06.67/68 (07) - 79.47.08/09/15 (07)
الفاكس : 79.47.38 (07)

Bibliotheca Alexandrina
0609853